

نحو و دراسات عربية وأخرى قوية

في اللغة والتاريخ والادب



الدكتور ابراهيم السامرائي

وزارة الاعلام
 مديرية الثقافة العامة

سُلْسلَةُ الْكِتَبُ الْحَدِيثَةُ
٣٦

نَصْوُصُ
وَدِرَاسَاتُ
عَرَبِيَّةٍ
وَأَفْرِيقِيَّةٍ

فِي الْلُّغَةِ وَالتَّارِيخِ وَالادْبُ

الدُّكْتُورُ ابْرَاهِيمُ السَّاعِدِيُّ



المُقدِّمة

أيها القارئ الكريم

هذه فصول أدبية وتاريخية تتصل بالثقافة المعاصرة وبالثقافة
القديمة الشمالي الأفريقي والأندلسي . آثرت أن أسلكها في هذا
المجموع لتيسير منها الفائدة ولتسهيل مراجعتها ، والله الموفق المصوّب .



مَنْ أَلْدَبَ التَّرْسِي

اللون التقليدي المحافظ

لقد حجب الاستعمار الفرنسي الشمالي الافريقي عنسائر بلدان المشرق العربي وقد طال أمد هذه القطيعة ، فلم يتح للمغاربة على وجه العموم أن يتصلوا بأخوانهم عرب المشرق الا بعد أن نقض أخواننا المغاربة عنهم ظلام المستعمر وظلمه 。 ولم يتح لنا - نحن المشارقة - أيضاً أن نعرف عنهم الا ما تكتبه كتب الثقافة الفرنسية عنهم وفي هذا ما فيه من جور على الحقيقة وابتعاد عن الواقع وظلم لثقافة الحرية 。

والادب العربي في تونس بسبب هذا الاستعمار البغيض لم يتهيأ له أن ينبعث وظل متأثراً بالاساليب القديمة 。 والاديب عند القوم هو الزيتوني 。 وأقصد بالزيتوني الذي تلقى العلم والادب في المعهد التونسي الكبير الجامع الاعظم جامع الزيتونة الشهير 。 وقد ظل هذا المعهد العظيم منارة للعلم وحامياً للعربية والحضارة الاسلامية ، وواقفاً في وجه هذه الثقافة الدخيلة التي جاء بها الاستعمار والتي أريد منها أن تسود في هذه البلاد المسلمة وأن تبقى فيها آثاراً واضحة 。 ولن يتسع لها ذلك إلا بالقضاء على العربية ما وسعهم العمل 。

وهذا العنف الاستعماري الذي أراد السيطرة على ثقافة امة بمحو حضارتها وابعادها عن اصولها العربية ، بعث في الامة التونسية اوثبة الكبرى في الحفاظ على العربية وآدابها ، وهذا الحفاظ أو قل هذه الحماسة هي التي حملت أهل الادب على أن يحتفظوا بما ورثوه من ثقافة ومنهج في فهم هذه الثقافة 。

فإذا تهياً للباحث أن يدرس هذا الأدب التونسي فلا بد أن ينهج في ذلك منهجاً علمياً فيتقصى اللون التقليدي المحافظ الذي درج عليه الأدباء التونسيون في مطلع هذا القرن ، حتى إذا اتيح لنفر منهم أن يتصلوا بالنهضة التي بدأت أنوارها تسقط في الشرق العربي من الناحية الثقافية ، أخذ هؤلاء بشيء من المنهج الجديد الذي سعرض له في هذه الدراسة .

أقول : إن هذا الأدب التونسي لم يكن شيئاً غير الذي وجدناه في ديار الشرق ان لم يكن صورة تقليدية له . غير أن هؤلاء المغاربة قد شعروا بأنهم في أقليم يفصله عن الشرق أكثر من فاصل واحد ، وقد يمما كن المغاربة يشعرون هذا الشعور ، فقد كان فيهم الأديب والعالم وانشاعر والمحدث والفيلسوف وغير هؤلاء من أصحاب الاختصاص . أما الحال في عصرنا الحديث فلم تكن شيئاً يختلف عما كانت عليه في الأعصر الخالية ، فالتونسيون وغيرهم من المغاربة يشعرون بهذه الأقليمية الأدبية ، وأية ذلك أنهم قلدوا المشارقة في تنصيب أمير للشعراء عندهم سموه أمير شعراء الخضراء . ويفيدو من ذلك ان الأجماع لم يحصل على بيعة شوقي من شعراء الشرق ، وهم في ذلك يريدون أن يقولوا للمشارقة : انتا مثلكم أو خير منكم ، أو كأنتم أرادوا أن يقولوا مقالة السلف : « منا أمير ومنكم أمير » .

وهذا التونسي الذي بويع على أمارة الشعر هو محمد الشاذلي خزنهدار^(١) من البارزين بين الشعراء التونسيين في مطلع هذا القرن .

(١) محمد الشاذلي خزنهدار من شعراء تونس . ولد سنة ١٢٩٩ للهجرة وقد نشأ في البلاط التونسي وترعرع في الترف والنعيم غير أن هذه النشأة لم تنسه الشعب التونسي ففضل يتحسّن بآلامه ويشيد ببطولته ومفاخره . ومن أجل هذا فقد ابعد عن أي منصب من مناصب الدولة العالية .

وانتظر في شعره لا يؤيد هذا اللقب الخطير الذي بويع عليه ، فهو رصاف لـ المقوافي ليس غير ، وما أكثر رصاف المقوافي في كل مصر من الامصار ، ولكنه يرصفها بشكل جعلت محمد انفائز القيروانى ينعته « بـ هزار الخضراء »^(٢) والخضراء تونس كما هو مشهور معروف ، وإن « هذا الـ هزار » تفاخر به الخضراء « أرض الـ الـ كنانة » في « يوم الـ رهان » . اذن فالمـ سـ الـ مـ سـ الـ سـ بـ قـ وـ رـ هـ اـ نـ ، وـ اـ ذـ كـ دـ اـ نـ من سـ بـ قـ فـ لـ اـ بـ دـ مـ نـ قـ صـ بـ يـ حـ رـ زـ هـ السـ اـ بـ قـ وـ قـ صـ بـ السـ بـ قـ عـ رـ شـ الـ اـ مـ اـ رـ ةـ . وـ نـ رـ جـ عـ الـ شـ يـ ءـ مـ نـ شـ عـ اـ مـ يـ اـ رـ الشـ عـ رـ اـ خـ زـ نـ هـ دـ اـ فـ سـ مـ عـ يـ قـ وـ لـ فـ : في « الـ حرـ » :

آخر من لا يستكين لمرهف
وأصدع بحقك في الحياة ولا تقل
فلى م تستجدي وحقك بين
تبأ لمن ألف الخنوع لغاشم
أولى وأخرى أن يبيت على ظما
فيم احتمالك والكوارث جمة
حسمْ وعُمّي ساخرين تطاولاً

الى آخر هذه الابيات التي لم تتوقع أن تكون لناظم خامل اذكر في أيامنا فضلا عن أنها لشاعر ، بل أمير للشعراء ، فهذه الابيات أعلق باننظم وألصق بالرصف ، فلا تقرب من مادة الفن التي تقضي أدوات وآلات لا يملكها السيد الخزنadar ، وليس في هذه الابيات

(٢) لقد بايغ الشاعر التونسي مع آخرين الشاعر خزنه دار بامارة الشعر قائلا له :

أمير القــوافي وحارســها
فــائــت الــهــزار بــخــضرــائــنا

الا جملة معانٍ مختلفة متباعدة افرغ الناظم كلا منها في بيت من عدة هذه الابيات بطريقة تقريرية حكائية لا تبعد كثيراً عما يخوض الناس فيه من شؤونهم اليومية . فأنـت اذا رجـعت الى هـذه المقطـوعـة وجدـتها أجزاء منفصلة لا توحـي ان صـاحبـها قد نـظر لـمـوضـوع « الـحـرـ » نـظـرة الفنان الذي يريد أن يصنع الصورة الموحية للحر في عالم ينسقـ فيها . وأين هذه الصورة التي نـريـدـها من أـبيـاتـهـ الاـخـيرـةـ التي اقتصرـت على النـسـحةـ والـعـظـةـ .

ومن المظاهر التقليدية في شعر الشاعر أنه عارض الشعراء
القدemين . ومن الطريف أنه عارض بائمة أبي نواس الخمرية المشهورة
التي مطلعها :

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب
وكذلك فعل شوقي فعارضها قائلاً :
حفل كأسها الحب وهي فضة ذهب
أما صاحبنا التونسي أمير شعراء الخضراء فقد قال :
راحة النهى الطرب الدنان متربة
هاته فلأ عتب والخمرور تنسكب
طاف فوقها الحب والكؤوس جارية
نعم ذلك النسب بنت كرمة جليت
زقها لنا العنبر حبوا بآنسة

وهكذا يستمر في وصف الخمرة ومجلسها وأيتها وما يصاحب
هذا المجلس من انس وقصف ولهو وغناء • والمعارضة باب من أبواب
التقليد وأصحاب المعارضة يترسمون القديم وقد يأتون بالنظير في
تحريف طفيف • والغلب في المعارضة ان المعانى مستعارة من الشعر

القديم الا ما أملته ظروف الواقع الجديد .

ويجري على هذا النمط التقليدي شعر أبي الحسن بن شعبان^(٣) من الشعراء التونسيين في مطلع عصرنا الحديث . والتونسيون يرونـه الشاعر الكبير ولكن النظر في شعره لا يخولـنا تـصديق هـذا الزعم فـلا نـستمع لـأبي الحسن في رثـاء الشاعـر الـامـير (محمد الصـاحـب بـأـيـ) يـعزـي فـيـها السـيد الشـاذـلـي خـزـنـهـدارـأـمـيرـالـشـعـراءـفـيـقـوـلـ :

أـمـيرـالـشـعـرـقـدـعـظـمـالـمـصـابـ وـحـلـبـدارـنـدوـتـنـاـالـخـرـابـ
وـفـاجـأـنـاـالـزـمـانـبـفـقـدـخـدـنـ

إـلـىـأـنـيـقـوـلـ :

فـاسـدـلـدـوـنـهـاـعـنـاـالـحـجـابـ
فـسـاءـجـمـيعـنـاـهـذـاـالـغـيـابـ
عـنـالـاـنـشـادـأـلـفـاظـعـذـابـ
دـوـاـمـاـكـلـمـاـعـزـاـقـتـرـابـ
وـأـرـجـوـأـنـتـرـازـأـنـبـهـرـحـابـ
فـأـرـقـمـهـجـتـيـهـذـاـالـجـوـنـبـ
فـمـسـمـكـامـنـالـقـلـبـاـضـطـرـابـ
عـيـونـيـمـلـمـاـسـحـالـسـحـابـ

وـكـانـتـفـيـهـآـمـالـكـبـارـ
تـغـيـبـعـنـمـجـالـسـنـاـاـضـطـرـارـاـ
وـاـظـلـمـعـنـهـذـاـنـادـيـوـصـدـتـ
وـكـنـتـاـسـائـلـالـاـتـرـابـعـنـهـ
وـأـرـجـوـأـنـتـطـيـبـلـهـحـيـةـ
فـقـانـوـاـاـنـهـأـمـسـىـعـلـيـلـاـ
وـقـانـوـاـبـاتـفـيـخـطـرـعـظـيمـ
وـقـالـوـمـاتـمـنـأـلـمـفـسـحـتـ

وـاـذـاـعـدـتـإـلـىـهـذـهـالـاـبـيـاتـلـتـقـلـبـهـفـرـادـىـوـجـدـتـهـاـتـشـكـوـضـعـفـ
الـبـنـاءـ،ـفـاـذـاـنـظـرـتـإـلـىـالـبـيـتـالـثـانـيـوـجـدـتـالـشـاعـرـيـقـوـلـ«ـتـفـانـتـفـيـ»ـ

(٣) أبو الحسن بن شعبان من مشاهير الشعراء التونسيين . ولد سنة ١٨٩٧ في اسرة عرفت بالنبل والزهد والتقوى . ومن اجل ذلك فقد شب على ثقافة دينية ، ثم دخل الجامع الاعظم وتخرج في « الزيتونة » العammerة .

محبته الصحاب » فاستعمل فعل التفاني الاستعمال المألوف فكأنه يريد
به «الفناء» • وال الصحيح في دلالة الفعل «تفاني» أن يحصل الفناء كما
تفني جماعة أخرى كما في قول الشاعر اقدم :

تدار كتما عبسا وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر متنسم

ثم انك تشعر أن الشاعر يتضيد الكلمات لتسليم له عدة من
الآيات على قافية واحدة وهو في ذلك يسلك كل مسلك وعر ، فادا
قرأت البيتين الآتيين :

وأظلم عنه ذا النادي وصدت عن الانشاد ألفاظ عذاب
و كنت اسائل الاتراب عنه دواما كلما عز اقتراب

تبينت ضعف التركيب في « وأظلم عنه ذا النادي » وفي قوله
« كلما عز اقتراب » • ولا أريد أن اعلق على « الاتراب » الذين
جعلهم وصفا للمذكر ، وإنكلمة لم يرد استعمالها الا في المؤنث كما
في قوله تعالى : « عرباً أتراباً » ، وان قيل أنها تصلح للمذكر •

ثم يتوجه الشاعر الى « أمير الشعر » فيذكره بيوم وفاة نمرئي
وكيف جاءوا به وواروه التراب بأسلوب لا يختلف عما رأينا في
الآيات التي أبتناها ، والقصيدة في جملتها غير جيدة • ولصاحبنا
مقطوعة يبدو فيها ميل الشاعر الى النهج القديم • وهي آيات في رثاء
قطب من أقطاب الصوفية • والمتصوفة يومئذ قد فقدوا الحظوة لدى
ال العامة ذلك أنهم شارعوا المستعمر الفرنسي • وأنت تقرأ هذه الآيات
فلا ترى فيها مادة شعرية بل هي ألفاظ جرب فيها صاحبها صنعة
النظم التي تفتقر الى عناصر الفن الاصيل • يقول الشاعر في رثاء
صاحبه :

قد عاش طول حياته متبعدا في خلوة وتباؤ المحرابا

يَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ وَهُوَ أَعْزَى مَا
يَتَلَوْهُ مِنْ قَدْ لَازِمَ الْأَدَابِ
فَاللَّهُ جَلَ جَلَالَهُ قَدْ خَصَّهُ
بِمَزِيرَةٍ يَعْلُو بِهَا الْأَقْطَابِ

وَمَا أَظْنَانِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مِنْ مَادَةٍ أَشْعُرُ ، وَلَكِنَ النَّاقدُ التُّونْسِيُّ
يَعْوِدُ فَيَعْقِبُ عَلَى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ بِأَبْيَاتٍ أُخْرَى تَصُورُ عِوَاطِفَهُ نَحْوَ ذَلِكَ
«القطب» فيقول :

قد كنت أمل أن أفوز بزورة
 وأنا من ذاك المحيى نظره
 أكرم بها من زورة لو عجلت
 قد كنت أرقبها بلوعة مغرم
 حتى أنت أباء موتك بقته
 من ذا الذي من بعد موتك يرجي
 أم من يكون الى ابلاد نصيرها
 ان أطعت فيها السنون مصابها
 فيما يسوق لنا الاله سحابها
 فبقيت بعده لا أسيغ شرابها
 وأريد أن أشقي بها أوصاما
 لرجعت منها قد ملأت وطنها
 تحبي فؤادا بالجوى قد ذاما
 لعلكم وأقبل الاقطابا

تقرأ هذه الأبيات فلا تثير في نفسك شيئاً . فأين هي العواطف
الحرار ؟ وأين هي الالتفاتة الفنية الشاعرة ؟ ولكنك من غير شـ
وأجد في هذه الأبيات ضيق الشاعر وحرجه ومعاناته لتصيد أـفـاـدـ
قوافيه لتهيأ له عدة هذه الأبيات التي لم تنصف الرثاء .

وشعر أبي الحسن بن شعبان لا يمكن أن يتخذ مادة للحكم له بشيء، فهو نظم لا يصح أن يكون شعراً . من ذلك قصيدة التي أسمتها «انشودة التونسي» وهي موشحة طويلة اشتغلت على قواف عددة ، ولنسمعه في شيء منها :

أيا تونس الانس مَاذا الاقي
وكم لك من عاشق ذى احتراق
بحبك من موجعات الغرام
براه الخننى وجفاه المنام

لقد أودع الله فيك جمالا
وأجري بك الماء عذباً زلاً
وأكسب فيك الهواء اعتلاً
به قد تفردت بين البلاد
بهم الربا وبطون اوهاد
فكان عليلاً يداوي الفؤاد

وهذا النظم لا يفصح عن أغنية خفيفة عذبة لعاشق براء الصنني
وجفاه النام • انما يشير الى عناء صاحبها في اعداد هذه المقطية
التي يعوزها شيء من لطف الصنعة وبراعة الاداء •

وقد قيد اشعار نفسه في هذه الابيات فجعل الاعاريف على
قايفية والاضرب على قافية أخرى وفي هذا أصبح سجين الالفاظ يصل
اليها بجهد ويتشبث فيها بكل وسيلة فهو يقول :

أنا منك يا موطنني في رواق وفيك هنا وافر مستدام
وجودك لي كان أكرم ساف به ترتوى النفس بعد الاوام
ويختتم هذا الحشد بقوله :

لتصبح تونس ذات اعتناق
واذ ذاك ينكشف دمع المآقى
لعز ثوى اليوم تحت الرجمام
واذ ذاك تحيى حياة الكرام

وما أظن هذا الضعف يخفى على الشدة •

ويستقبل اشعار سنة ١٣٣٥هـ من سني الحرب الكبرى فيقول:

أهلًا بطلعة بدر لاح في الافق
لقد تجلت لنا أنوار طلعته
ومذ بدا والاسى في القلب منبعث
اني لأمل أن يبدو بطالعه
سلم يعم بلاد الله قاطبة
يزييل ما في نفوس الناس من فلق
والجو يختال في برد من الشفق
والجسم في تعب من شدة الارق
للناس سلم به يرتاح ذو قلق
به يزول الذي قد كان من حنق

بالارض حتى يسير الكون في نسق
كماصفت من فنون الزور نفس نقى
تبعدو علينا بثوب أبيض يقق
وأن تزول الحروبات التي ظهرت
ويصفو العيش مما حلّ من كدرٍ
وتتنزع الارض أنواب انداد لكي

وعلى هذا النحو من البناء الركيك ينظم أبو الحسن بن شعبان
فضيده في استقبال سنة ١٣٣٥ ° وليس بي حاجة إلى أن أدل القارئ
على مواطن الضعف ذلك أنه يعرف أن هذه الأبيات تتبع كل البعد
عن الفن الأصيل °

ويستقبل سنة ١٩٣٦ من سني الحرب الكونية الأولى بقصيدة
كصحابتها من حيث البناء الذي لا ترمه مادة عاصرة فهي ألفاظ صفت
تسعين شيء من الوزن ° والوزن ليس كل شيء في الشعر ،
 فهو يقول :

أم أنت مثل أخيك تنذر بالشقا
وسواه في الذهان لن يتحققنا
كم جر من جيش الحوادث فيلتنا
وتليله ما لا يكون إلا وفقا
بعد لما لاقى (غدا) متشوفا
في ذلك الامر الذي لا ينفي

هل لاح بدرك بالمسرة مشرعا
يدري الفتى ما مر من أيامه
واندھر فيه عجائب مكنونة
اني أرى الايام تبعث بالفتى
لو يعلم الانسان ما سيصيبه
وتخل عن أعماله متثيرا

إلى أن يقول :

يجري الزمان بنا كراكب أبلغها
مهل وكن بالمنتظر مترفقا

عام مضى فأتى سواه وهكذا
خفف خطاك أي زمان وسر على

وبعد فما أظنتي قد جانت الصواب في حكمي على الشاعر ،
فصاحب هذه المقطوعات لا يمكن أن يكون في زمرة شعراء ، فهو

نظام والنظم غير اشعر ° وما أظننا نعطي صورة صحيحة عن أدب
قوم اذا استقرينا نماذجه في نظم لا يرقى الى الشعر الرفيع °

ولا بد أن نختم هذا الفصل فنأتي على أبيات تكلم فيها اشعار
على « الخلافة العثمانية والكماليين » والقصيدة لا تخرج عن المستوى
الذى أشرنا اليه فهو يقول :

نلت بفضل الدين أعظم عزة
وأرتديوا الامر الذي قد زلزلت
ونكبتوا الاسلام عن عمد وقد
أنزلتموا ذاك الخليفة من منا
ورضيتموا بعاده عن موطن
يا مصطفى أغضبته المصطفى
وأردتموا لعظيمه اذلا
من هوله أقطارنا زلزا
كتم عليه مع الزمان وبلا
زل عزة وأذقتموه نكلا
قضت به آباءه أجيلا
وأضعت مجدنا نلتة وكاما

ربما أيقنت معي أن هذه الابيات لا تملك من الشعر الا هذه
الموسيقى ° أما معانيها فكلام مما يسرده عوام الناس °

ومن التونسيين الذين لم يكن شعرهم الا نظما خلا من الكثير
من أدوات الفن المقتضاة السيد حسين الجزيري^(٤) °

والنظر في مختارات هذا الاديب يدل على انه لم يرزق القرية
الخيبة ولم يكن له في هذه المعاناة الا التقرير ° ولنقرأ قصيده
« سائلوني » لنعرف صدق هذا القول :

(٤) حسين الجزيري من الشعراء التونسيين الذين انصرفا
للسجدة وكان صاحب « النديم » وهي صحيفه ادبية
فكاهية اصدرها عام ١٩٢١ °

وأردم وففة عن خبري
 دام قومي همهم في الوتر
 دار ما بيني وبين الغرد
 وهو في سن ألف النكبة
 أترى مثلي أخي في رغد
 كيف لا يبكي عديم السنن
 هكذا حرتي من أند
 وأنا اليوم جريح الكبد
 لم يكن يخطر لي في خلده
 وأخو الفرا بها لم يشعر
 وأردم وففة عن خبري
 دام قومي همهم في الوتر

سائلوني ان رأيتكم كدربي
 أنا مهموم حسیر الطرف ما
 سائلوني ما الذي وقت الصباح
 طائر أودى به فرط التواح
 قلت مهلا ما الذي تشکو ؟ فصاح
 كيف يسلو الوجدمقصوص الجناح
 يا ترى مقتصبي كيف استباح
 كنت أشدوا في غدو ورواح
 قلت ويلى ! هذا جداً أم مزاح
 طائر من ضره في ضجر
 سائلوني ان رأيتكم كدربي
 أنا مهموم حسیر الطرف ما

الى أن يقول :

من نفوس في الملاهي مارحة
 وهي للهو بجد جانحة
 وعجب للتفور المازحة
 وأطلالت يا لقومي سهرى

عجبي لا يتهمي مما أرى
 امة قد حلق العسف بها
 حق للاجفان أن تسقى الترى
 فهـي والله أهاجـت فـكري

وأظن أن هذه الأبيات لم ترتفع عن النظم الذي ليس له من
 الشعر الا هذه القوافي وهذه الموسيقى : موضوع الأبيات الشكوى ،
 والشكوى من الموضوعات العاطفية التي لو تهيأ لها صاحب الفن
 الموهوب لجاء بالموجع المؤلم في ثوب قد اتسق لعاطفاته الحرار .

أما السيد الجزيري فهو على شکواه الباردة التي تفتقر للدفء
فقد جاء بناؤه ضعيفاً يتسبّب بالوزن بكل زحاف معيب ، فلا أرى
شاعراً سلمت له المقدرة الشعرية وهو يقول مثل هذا :

قلت ويلى ! هذا جد أم مزاح ٠٠٠

ومثل هذا لا يقوله الا الصبية المبتدئون ممن يلوكون اشعار
فلا يأتون عليه الا بعد سنين من معالجة النظم ٠

ويدخل الشاعر السجن جراء ما قدم لوطنه الحبيب من جليل
العمل فيضيق ذرعاً بهذه البيئة البغيضة ويُشكو بشه ويطلق عواطفه
حزينة كثيبة فيقول :

ولَا يذوب لَمَا يلْقَى مِنَ الْكَبَدِ
سَهَامَهُ كُلُّهَا آتَى إِلَى جَسْدِي
وَكُمْ يَقْاسُونَ مِنْ ضُرٍ وَمِنْ نَكَدٍ
يَعْدُو عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَرْزاَ بِلَا عَدْ
نَارٌ بِأَفْسَدَةِ مِنْ بَاطِنِ الْجَسَدِ
بِمَا يَسِيرُ لِعَهْدِ الشَّيْبِ بِالْوَنَدِ
يَنْوَبُ مِنْ يَبْتَغِي الْاَصْلَاحَ لِلْبَلَدِ
فَيَغْتَدِي قَائِلاً مَاذَا جَنَّتْهُ يَدِي
يَغْدُو رَهِيْنًا عَدِيمَ الْخَلِ وَالسَّنْدِ

أَيِّ الْقُلُوبُ يَرَى مَاقِدَ عَرِيْكَبِي
لَمْ يَبْقِ لِلْدَهْرِ سَهْمٌ فِي كَنَاتِهِ
آمَنَتْ بِاللَّهِ كَمْ يَلْقَى الرَّجَالُ عَنَّا
وَكَمْ تَقْطَعُ أَسْبَابُ بَهْمِ وَلَكَمْ
هُوَ اتَّجَلَدُ لَوْ لَا الصَّبْرُ لَا بَعْتَ
تَبَّتْ يَدَا زَمِنٍ لَا زَالَ يَرْهَقْنَا
وَامْقَتَ الضَّيْمَ مِنْ كُلِّ النَّوَائِبِ مَا
يَسْعِي لِتَرْقِيَةِ الْأَوْطَانِ مَجْتَهَداً
فَالْوَلِيلُ يَطْلُبُهُ وَالسَّجْنُ يَخْطُبُهُ

وعلى هذا النحو يطلق الشاعر عواطفه ، وليس من شك ان
هذه الابيات لا ترتفع كثيراً عما أثبتناه في المقطوعة الاولى ٠

ويخاطب الشاعر العصفور على نحو ما يفعل الشعراً فيُشكو

إِلَيْهِ مَا يَعْنِي مِنْ آلَامٍ فَيَقُولُ :

وَمَا هُوَ إِلَّا نَوَاحُ الْأَسْيَرِ
وَمِثْلُكَ كُنْتُ أَوْدَ أَطْيَرِ
يَقُولُونَ عَنِي أَسْيَرٌ طَرَوْنَ
وَمَا الشِّعْرُ إِلَّا دَمْوعُ الْمُلْهُوبِ
أَسْيَرًا بِرِئَاتِ عَدِيمِ الذُّنُوبِ
لَشْجُوكَ مَعْنَى يَهْيِيجُ الْضَّمِيرِ

غَنَاؤكَ يَذْكُرُ لَهِبَّا بَصَدْرِي
لَقَدْ كُنْتَ مُثْلِكَ إِذْ طَالَ أَسْرِي
وَكُنْتَ إِذَا مَا نَظَمْتَ قَرِيبَـا
وَشِعْرِي يَفِيضُ مِنَ الْقَلْبِ فَيَضَـا
أَرَاكَ بِرِئَاتِـا وَقَدْ كُنْتَ أَيْضًا
فَصَرْتَ إِذَا مَا سَمِعْتَ أَدْرِي

تَقْرَأُ هَذِهِ الْمَقْطُوْعَةَ فَلَا تَحْسُنْ حَرَارَةَ النَّجْوَى وَلَا لَذْعَ الْأَلْمِ
وَإِذَا افْقَرَ الشِّعْرَ الْمُعْطَفِيَ الْوَجْدَانِيَ إِلَى الْحَرَارَةِ فَمَاذَا عَسَى أَنْ
يَكُونَ !

ثُمَّ يَخْتَمُ هَذِهِ الْمَقْطُوْعَةَ بِقَوْلِهِ :

يَذْكُرُ قَفْصَكَ نَفْسِي مُضِيقًا
فَقْبَلِي لِقَبْلِكَ أَضْحَى شَقِيقًا
لَكَ اللَّهُ أَنِّي أَرَاكَ خَلِيقًا
إِذَا مَا أَهَاجْتَ يَا طَيرَ شِعْرِي

بِذَكْرِهِ تَذَكَّرُ نَارُ الْجَحِيمِ
وَهَاجَ بِحَزْنِكَ حَزْنِي الْقَدِيمِ
بِعَطْفِي وَإِنِّي الشَّفِيقُ الْجَبِيمُ
فَشَعْرُكَ أَذْكُرُ فَوَادِي الْكَسِيرِ

وَجَمِيلَةُ هَذِهِ الْأَيَّاتِ تَفَقَّرُ فِيمَا عَدَا ذَلِكَ إِلَى الْبَنَاءِ السَّلِيمِ ،
فَهِيَ أَبْعَدُ مَا تَكُونُ عَنْ صَفَاءِ الدِّبَابِجَةِ وَهِيَ تَشْعُرُ أَنْ صَاحِبَهَا كَانَ
قَدْ عَانَى كَثِيرًا فِي جَمْعِ شَتَّاتِهَا عَلَى هَذَا النِّحْوِ الَّذِي لَا يَدْعُوكَ إِلَى
سَمَاعِهِ ٠ ثُمَّ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ مَادَتِهِ الْلُّغُوِيَّةَ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ ٠ أَلَا تَرَاهُ قَدْ
اسْتَعْمَلَ « أَهَاجَ » رِبَاعِيًّا مِنْ يَدِهِ وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ التَّلَانِيَّ فِي
هَذَا الْمَعْنَى ، لَأَنَّ الرِّبَاعِيَّ لَا يَؤْدِي مَعْنَى « هَاجَ » فَقَدْ قَالُوا : أَهَاجْتَ
الرِّيحَ النَّبْتَ أَيْ أَبْسَتَهُ ٠ وَهَذَا الْاسْتَعْمَالُ مِنَ الدَّارِجِ الْمُشْهُورِ فِي
الْمَلْغَةِ الْعَامَةِ حَمْلًا عَلَى « أَثَارَ » مَا هُوَ فِي مَعْنَاهُ ٠

ويحب الشاعر وطنه فيشرح هذا الحب بالأسلوب هو اسلوب الغزل فيقول :

برى الحب جسمى فكيف العمل
يعيد الى القلب ميت الأمل
أنا الصب لكن غرامي عجيب
وأهوى الذي بات يهوى الحبيب
فأمزج حزني ودمعي الصبيب
فقلب بنار الغرام اشتعل
وهل للاسى من حميم شقيق
فينجى من الغرق جفني الغريف
أحب المزاحم في ذا الغرام
ويحرم ملي لذى النام
بحزن ودموع له في انسجام
بعمرى أراه لقلبي شقيق

قلت انه يحب وطنه ولكنه لم يكن له أن يجعلو هذا الحب في
لون أنيق جميل . ويرى الشاعر أن الخمر ألم الشر وأصل البلاء،
فيقول في هذا المعنى :

أفكارنا تضطرب من نراهم كلبوا
فالجرم أضحم هيناً أنواعه ترتكب
والخمر هوَ السبب
ان البلايا كثرت والاشقياء انتشرت
كم من رءوس كسرت من يد قوم شربوا
والخمر هوَ السبب
هذا قتيل مرئى فد عام ليلا في الدم
فتش عن المجرم وابحث تجده يشرب
والخمر هوَ السبب
ما دام في الناس الخمور شيئاً مسحاً كالقطور
والآمن قد طار بخور لا تنتهي ذى النوب
والخمر هوَ السبب

نقرأ هذه الآيات فلا نرى حاجة الى صوغ هذه المعاني بهذا القالب الشعري وما أغنانا عن سماع هذه الافكار التي لا يمكن أن تسمى شعراً ، والتي جاءت أقرب الى اللون العامي منها الى الفصيح . إلا ترى أن الوزن لا يستقيم الا بتشديد « الواو » في « هو » على الاسلوب انعامي ، ولكن ما العمل فقد حال افتقر الشاعر الى الشعر . وانشاعر لا يعلو عن هذا المستوى فكأنه ينقل بكلام معرب ما يتحدث عنه الناس اذا اضطربوا سحابة يومهم . ومن هذا الباب قوله في وصف حفلة :

ليلة قالوا حوت كل سرور	وانشراح
بنبات الخبث ربات الفجور	في ارتياح
وأنا كتكتشور يفسور	للصبح
دارت الخمرة ما بين الرجال	والاوانس
واذا القوم تولاهم خيال	أو مجانس
قلت ويلي اني وسط جمال	بالبرانس
وبنات الدار ينظرن اعجب	بانشبابك
حاسدات ربة الحلوي الذهب	والسنابك
قل لرب الدار ذراء الكلب	قد أصابك

أقول هذا كلام عامي وان جاء فيه شيء من الاعراب الفصيح وهو من غير شك نظام بارد ضعيف لا ترقى مادته الى مستوى الكلام المقبول .
وله قصيدة شرح فيها « عجائب السجن » بأسلوب قصصي ، والذي نلاحظه في هذه القصيدة ان الشاعر قد استعمل فيها الالفاظ التي يستعملها السجناء في مطلع هذا القرن في تونس . وهذه الالفاظ فرن西ة أكسي بها الاستعمال المحلي لونا خاصا فاندست في العربية المدارجة التونسية .

علمت به ما لم تكن قبل تعلم
ومن عجب عند الطليقين تكتم
وما لم يزل كم هو الله أعلم

هو انسجن ان اسعدت يوما بزوره
عجبائيه ما جاء عصر بمثلها
ثلاثة أعوام قطعت بحورها

الى ان يقول :

جيوببي وما فيها الى الحجز صائر
حديدا لها حد حكته البوادر
توامر قوم عند قوم خساجر
تبعث خطاه تعرني الهوا جس

دنا خادم مني وظل مفتشا
وناولني من بعد ذلك نمرة
فقلت اذا للقطع يستعملونها
وسلمني ذاك (القريف) لحارس

فالنمرة تعنى قطعة معدنية محفور عليها رقم يخصص به الجاني عند
حبسه وجمعها نوامر لأنها عربت على هذا النحو من الاستعمال ° والقريف
هو المفظة الفرنسية Greffier يطلقها السجناء على الكاتب °

ثم يقول :

فنظمنا « الكبران » متى وبعضا
فآخر جت منديلي وقلت لمن معى
وفي هذين البيتين نقرأ « انكيران » ° وما أظن القاري يستطيع رد
هذه الكلمة الى أصلها بيسر ولكن النظر فيها يهدى الى أنها لفظة
فرنسية هي Caporale وتعنى ضابط السجن ° وفي البيت الثاني شيء
من الاستعمال المحلي الذي لا نعرفه نحن او لمشاركة ، فالسحائب جمع سحابة
وهي لا تصرف للمعروف من معناها الفصيح وإنما تعنى الفصيح وإنما
تعنى ما نطلق عليه « شمسية » وهي الاداة التي تستعملها توقيا من الشمس
والمطر °

ويصف الشاعر في هذه القصيدة كيف أخذ جماعة من كتاب السجن

في تحرير الرسائل للسجناء كما يصف طرفا من حياتهم فيقول :

عدا واحد أضحي يرى وهو حائم
بمعرفة جاءت يراعا يلائم
مغارف قوم عند قوم بلايم
أقام الى أن حنكته التجارب
وأعوزه التحديد والأمر واجب
اطربوشة فيما تسوى الجوانب
« قوامل » قوم عند قوم قوالب

وقد وزعوا الأقلام جمعا عليهم
ولكنه قد شد بالخيط ريشه
فقلت وذاك الخيط حبر اقد ارتوى
وقد كان بين القوم شاب مطربش
رأى ذات يوم أن طربوشة التوى
فأدخل من جراء ذاك « قميلا »
فقلت وقلبي ضاحك أسفما معا

فهو يصف كيف يتهيأ الكتبة ليحرروا رسائل للسجناء ، فالكاتب
يشد ريشة بالخيط والريشة معروفة وهي الاداة التي يكتب بها والريشة
هذه قد شدت « بمعرفة » والمعرفة الكلمة افريقيه تعنى ما نطلق عليه الملعقة ،
وهي من الادوات المعروفة عند الاكل . ثم ان هذه « الريشة » صارت
يراعا ، وهذه « المغارف » « بلايم » ، وما أظن ان القاري يهتم بيسر
الى مذول هذه الكلمة الاعجمية ، وصورتها تشير الى أنها جمع غير
مفرد ، وهي جمع « بلومة » على نحو ما ينطق بها التونسيون وهي تعریب

française • Porte-Piume

ويعرض الشاعر في منظومته هذه لشيء آخر فيقول : انه كان بين
ال القوم شاب مطربش وان طربوشة قد رث من طول العهد ، وأعوزه
« التحديد » زاتتحديد الكلمة عامية تونسية وتعنى « الکي » الذي تعالج له
الملابس لتجيء مرتبة أنيقة ، والکي يتم بالأداة الحديدية المعروفة ، اما
اصطلاحهم « التحديد » فهو ترجمة للكلمة الفرنسية فالمکواة التي تعانج
بها الملابس تسمى بالفرنسية "Fer" وهي تعنى أيضا مادة الحديد .

ويعرض الشاعر لهذه الطرفة فيذكر ان « التحديد » قد تم بوضع الطربوش
في « قميلا » وهذه أخرى لا نستطيع أن نردها الى اصلها بيسر وهي تعریب

للكلمة الفرنسية Gammel وهي انانة يحمل فيه الماء وقد تم تعریبها فجاءت أيضا مجموّعة على « قوامل » .
ومثـل هـذا استـعمالـه « بـوانـت » جـمع « بـونـته » وـهي عـقب « السـيـكارـة » وـهي كـلمـة أـعـجمـية فـهـو يـقـول :

فـتـخـطـفـها الـاـيـدي سـرـاعـاً وـهـكـذـا « بـوانـت » قـوم عـنـدـ قـوم سـكـائـرـ .
وـمـنـ الشـعـرـاءـ التـوـنـسـيـنـ فـيـ هـذـاـ العـصـرـ الشـيـخـ صالحـ الـنيـفـرـ⁽⁵⁾ وـلـابـدـ
أـنـ نـعـرـضـ لـشـيـءـ مـنـ شـعـرـهـ فـنـرـىـ قـصـيـدـتـهـ « اـرـدـنـاـ السـلـامـ » الـتـيـ يـقـولـ فـيـهـاـ :

على عزمـتـنـا منـ الشـاهـدـينـ فـكـنـاـ عـلـىـ سـلـهـ قـادـرـيـنـ وـسـيـلـ الدـمـاءـ يـرـيـنـاـ الـيـقـيـنـ وـكـنـاـ عـلـىـ حـقـنـاـ مـذـنبـيـنـ لـتـرـبـةـ أـجـدـادـنـاـ طـالـبـيـنـ وـكـمـ مـنـ لـجـيـنـ لـهـمـ باـذـلـيـنـ وـبعـضـ تـولـىـ مـعـ الـهـارـبـيـنـ	بـياـضـ الـهـلـالـ وـقـانـيـ الـمـحـيطـ أـرـدـنـاـ السـلـامـ وـرـامـوـاـ الـحـسـامـ وـقـالـوـاـ الـظـبـاةـ لـتـأـدـيـنـاـ وـرـمـنـاـ اـعـتـدـلاـ وـرـامـوـاـ اـشـتـطـاطـاـ وـأـعـظـمـ بـجـرـمـ نـدـيـهـمـ أـنـاـ فـكـمـ جـيـشـواـ مـنـ طـغـامـ اـنـوـحـوشـ وـأـنـكـ بـعـضـ اـحـتـلـالـ الـرـبـوعـ
---	---

وـاجـتـزـيـ بـهـذـاـ الـقـدـرـ مـنـ قـصـيـدـةـ عـدـتـهـاـ عـشـرـونـ بـيـتاـ تـسـرـبـ عـلـىـ هـذـهـ
الـوـتـيرـةـ الـبـارـدـةـ فـأـنـتـ لـاـ تـجـدـ فـيـهـاـ عـنـيـةـ بـالـشـكـلـ ،ـ كـمـاـ لـاـ تـلـمـسـ فـيـ أـبـيـاتـهـاـ
عـمـقاـ فيـ الـافـكـارـ .ـ وـهـيـ خـلـوـ مـنـ خـصـائـصـ الـاثـرـ الـفـنـيـ .ـ وـلـاـ اـشـكـ انـ
الـقـارـيـءـ النـاقـدـ لـاـ يـحـسـ أـنـ صـاحـبـ الـأـبـيـاتـ مـجـهـدـ مـتـعبـ يـفـتـشـ عـنـ مـادـتـهـ
الـلـفـظـيـةـ فـلـاـ يـظـفـرـ مـنـهـاـ بـشـيـءـ ذـيـ بالـ ،ـ وـهـوـ مـنـ بـعـدـ هـذـاـ يـلـمـ هـذـاـ الشـتـيـتـ
الـمـتـنـافـرـ الـذـيـ يـفـقـرـ أـحـيـاـنـاـ حـتـىـ إـلـىـ الـمـشـهـورـ الـمـعـرـوفـ مـنـ مـعـانـيـ الـأـلـفـاظـ

(5) الشـيـخـ صالحـ الـنيـفـرـ مـنـ عـلـمـاءـ الـزـيـتونـةـ الـمـشـهـورـيـنـ ،ـ وـهـوـ مـنـ
شـعـرـاءـ الـحـمـاسـةـ فـقـدـ هـتـمـ بـدـيـوـانـ عـنـتـرـةـ .ـ وـشـعـرـهـ اـنـحـمـاسـيـ جـزـلـ الـأـلـفـاظـ
مـتـنـيـنـ الـعـبـارـةـ .ـ

وصورها ، ويبلغ به الجهد الى ان يتتجاوز على المشهور من قواعد النحو والصرف ، والا فكيف تحكم على متاذب لا يعرف الظبي فيذهب الى « انظباء » وهي مادة لا وجود لها في مطان اللغة .

ولا أريد أن اترك هذه الابيات دون أن أقف على قوله :

ولولا القواط تبين الحقوق لما كان القوي الأمين

تدرك هذا الضعف الواضح الذي لا يهيم الشاعرية لصاحبه .
ويفخر الشاعر النifer في قصيدة عنوانها « الصدر أو القبر » وأشار بها الى اطلاق الشيخ عبدالعزيز الشعابي زعيم الحركة الدستورية في تونس في رمضان من سنة تسع وثلاثين وalf للهجرة فيقول :

حمدنا السرى الذى طلعا الصبح يفتر	وسمنا المعالى والثبات لها مهر
وطئنا السماء لتخضع الشهب للذى	نحاول وليس مع بما نرتجى المدهى
لآبائنا جيل فخاراً مكمل	لهم منه كل بر له ذكر
لهم عزمات طاولوا الشهب دونها	فهل عزمنا يوهى وانا البنو انغر
فلا والذى تجرى النجوم بأمره	ستثبت لو ان زايل البر والبحر

ربما من حقه ان يفخر ومن حقه أيضاً ان يشيد بما ثر قومه فيزهى بها ويتهي على ألاّ نجور على الفن بسبب من هذا الفخر الذي لا يخرج عن دائرة النظم . وربما تهياً لكثير من النظميين شيء يفوق هذه الابيات .

ويحب الشاعر وطنه ويتجلى هذا الحب في شعره كثيراً ، ولكن هذا الحب لا يعتلج في نفس الشاعر فتتأجج حماساً ينساب في قصيدة عامرة ، ولكنه لا يفارق أسلوبه ومنهجه . واذا كان أسلوب الشاعر مرآة تظهر فيها نفس الشاعر مرآة تظهر فيها نفس الشاعر متجالية بارزة ، فليس غريباً ان نرى ضآلة القدر الفني في قصيدة النifer « وطني » التي يقول فيها :

وقف عليك ون أمتْ فرفاتي
فوجدت كل الفوز في العزمات
بل ما بـدا من جانب القوات
تقضى بـند تجبر السادات
والسعـي للمجموع لا للذات

وطني إليك فـان كل حـياتي
اني بـلوـتـ الـدـهـرـ فيـ جـريـانـهـ
وـوـجـدـتـ لـيـسـ الحـقـ جـانـبـ نـهـجـهـ
ـقـالـواـ التـمـدـنـ شـرـعـةـ الـيـومـ اـتـيـ
ـوـتـأـلـفـ المـلـلـ العـدـيدـةـ بـالـاخـاـ

وفي مثل هذا الموضوع يقول الشاعر في « بـثـ شـكـواـهـ » ، وبـثـ الشـكـوىـ
ونداء الوطن من الموضوعات العاطفية التي تـسـعـ الشـاعـرـ أـنـ يـجـيدـ فـيهـ وـأـنـ
يـقـبـسـ مـنـ الفـنـ قـبـسـاتـ لـوـ أـنـهـ رـزـقـ الشـاعـرـيةـ الـأـصـيلـةـ ،ـ غـيرـ أـنـ صـاحـبـناـ الـنـيـفـ
لـمـ يـخـرـجـ عـنـ طـرـيـقـ النـظـامـينـ وـلـمـ يـخـرـجـ عـنـ نـطـقـ التـقـليـدـ وـالـحـفـاظـ عـلـىـ
الـقـدـيمـ وـهـاـ هـوـ يـقـولـ :

لـيـ مـسـتـكـىـ فـائـهـ سـمـاءـ مـغـشـاكـ غـضـيرـ
فـالـيـكـ تـونـسـ ماـ أـرـىـ لوـ أـنـهاـ الذـكـرىـ تـشـيرـ
فـلـكـمـ أـنـاـ مـتـسـائـلـ أـيـنـ المـنـاخـ بـذـاـ مـسـيرـ
وـأـخـافـ انـ لـبـيـ الـنـسـوـنـ بـنـوـ الـبـلـادـ فـلـاـ نـشـورـ
أـقـيمـتـ الـأـحـيـاءـ بـنـ مـاتـ مـشـاعـرـهـ تـشـورـ

إـلـىـ أـنـ يـقـولـ :

أـقـلـيـسـ فـيـ خـضـرـائـاـ
شـهـمـ عـلـىـ الـعـنـىـ غـيـورـ
أـوـ مـنـ أـبـيـ أـرـوعـ
بعـلاـجـ كـبـوـتـهـاـ خـبـيرـ
أـوـ مـنـ هـمـامـ صـادـقـ
دمـ حـبـ وـطـهـ يـفـورـ
وـهـكـذـاـ لـمـ يـوـقـقـ الـنـيـفـ فـيـ بـثـ شـكـواـهـ فـجـاءـتـ بـارـدـةـ جـافـةـ مـبـعـثـرـةـ فـيـ
مـبـنـاهـاـ وـمـعـنـاهـاـ •

ومن الشعراء التونسيين في مطلع هذا القرن الشاعر محمد انفائز^(٦) من شعراء القิروان وهو كسائر الشعراء التونسيين في هذه الفترة لم يخرج عن القديم في أفكاره ومعانيه ، ولكنه تميز عن غيره من شعراء تونس في تصرفه ببحور الشعر مفيداً من الموسحات ◦

وأخذ مما ابتكره السوريون والليانيون المهاجرون في الدنيا الجديدة ◦ ثم انك اذا قرأت شعر الشاعر وجدت فيه شوب العاطفة ، وفي ذلك فرقاً كثيراً من أقرانه من حيث صدق العاطفة ، والاصالة في التعبير عنها واليك شيئاً من « خطراته » :

يا رياض النرجس في الرياح انناصر
- فتقى في مجلسي وابعثي من خاطري
نفحات الزهر
تأثيرات رائحات
غاديات
وسط ذاك المحفل
وكؤوس الراح في كف ذاك الاغيد
طرحت من أسفى عباءة عن كبدي
وغدت في نظري
زاهرات حفلات
باسمات
عن حباب العسل

(٦) الشيخ محمد انفائز شاعر تونسي ولد في مدينة القิروان سنة ١٩٠٢ م عاصمة أفريقية منذ الفتح الاسلامي الى سنة ٣٠٣ . نشأ فيها وقرأ في كناتيبها ثم حل في العاصمة التونسية ودخل الجامع الاعظم سنة ١٩٢١ وبعد تخرجه اشتغل بالتعليم ◦

يا قوام البان قم غن باللحن الشجي
واتل هاتيك النغم لا تخف من حرج

بنات الفكر
حاطرات موحيات
بالحياة
مثل عهد الموصل

ومثل هذا المعب بالشكل الذي يذكر بابتكارات شعراء المهجـر قصيدة :
« خلني اندب » انتي يقول فيها :

وصباحي	خل جفني باكياً في سهرى
خير لاحي	لا تعنفي فما في كدرى
عن كفاحي	واتل في لوحى سطور الخبر
في نشيدى	خاني ابكي جدودي العربا
بالقدود	انتي ان لعبت ربع انصبا
من جدود	خلتها تبكي حياة النجبا
في هناء	أعلى الرمضاء بات الشعب ام
بالبكاء	أتري ندفع خطباً ان ألم
في شقاء	كم نقاسي من خطوب وألم

ثم اذا سمعت قصيـدة « على قبرـي » تبيـنـت صدق العاطـفة الـذـي يـشـيعـ في سـعـرهـ في لـفـظـ رـشـيقـ وـمعـنىـ قـرـيبـ الفـهمـ :

اهـلـ وـدىـ وـتـولـواـ زـمراـ	قفـ علىـ قـبـريـ اذاـ خـلـفـنيـ
ـكانـ دـمعـيـ سـابـقاـ مـنـهـمـراـ	ـواسـقـهـ مـنـ صـيـبـ الدـمـعـ كـماـ
ـهـكـذاـ كـنـتـ تـحـبـ الزـهـراـ	ـوـانـشـرـ اـنـزـهـرـ حـوـالـيـهـ وـقـلـ
ـعـادـيـ الدـهـرـ اـذـاـ مـاـ اـسـتـكـراـ	ـوـتـحـنـنـ عـنـدـهـ وـهـاشـكـ لـهـ

وترقب زورتي عند الكرى
تخشن سلواي بذياك الشرى
حدرها فاستجدها ان تصبرا
كنت من قبل اغنى اشغرا
ها هنا غصن ودادي هصرا

و اذا اعوزك الصبر فنم
ايني اهواك في رمسي فلا
اذا هرولت الشمس الى
وذر الورق تغبني كما
وخذ الغصن بكيفيك وقل

لما يظهر هذا اللون الماطفي في شعر اشعار وهو يحس بما يعانيه
وطه الحبيب فيقول في « صوت تونس » :

وتفريك التواهد والكعب
ونحن على المصائب لا ثاب
الى ما كاد تبلغه الخراب
وربع المهو ناطحه السحاب
وهذا انشاء فارقه انصواب
ونحوك قد تطاولت الرقاب
وهي كأنه اسد غضاب
قيود الاسر وارتفع النقاب
وخوفى صوت تونس لا يجاب

أتضبو بعد ما انصرم الشباب
وتطرب والاسى وقف علينا
فشرم والتفت يوماً قليلاً
ربوع العلم ويحك دارسات
جنا الآباء في حلق الزوايا
فما لك خادر الاعصاب نوماً
لند عاف الجهالة كل شعب
مزقت الشعوب على يديها
نهيب بنا فهل من مستيق

ويبدو التقليد في الادب التونسي في مطلع هذا القرن فيترسم نفر من
الشعراء التونسيين خطى المشارقة فهذا الهادي المدنى^(٧) الذي اعجب بجميل
صدقى الزهاوى فصار يحكىء فى طريقة النظم السهلة وفي طريقته فى تسخير
النظم لمعالجة ما جد في الحياة من أفكار وما ابتدع من وسائل ، لأن يتحدث
عن انكرباء وسره ومسألة الجذب والدفع فيقول في قصيدته « خواطر » :

انما هذه الحياة خيال سوف يبدو حقيقة بعد حين

(٧) اشيخ العادى المدنى من الشعراء التونسيين . ولد سنة ١٣١٨ هـ وتخرج في جامع الزيتونة سنة ١٣٤٠ هـ .

اجمع انكمرباء في هذه الدنيا جنین مستبع بجنین
انما نحن كهرباء بها نمشی وان كان اصلنا من طین
وأرى في دم الشرايين فکرآ لم ينزل في مواطن التخمين
خلف هذا انوجود تلقى قوى تبدو لفکر البحاثة المستعين
ان للبدر في البسيطة تأثيراً خفيأ وقد بدا لعيوني
وارى الدفع علة انجذب فالدفع اذاً أصل قوة اتمكين
ليس يلفي شيء احب الى نفسي وأهوى أراه مثل يقين

هذه الايات ذات فائدة في توضيح منهج الشاعر التقليدي ، فأنت تحس
أن صاحبها قد اتخذ من شاعرها الزهاوي مثلاً يحتذيه فهو يعرض لافكاره
وما سرح به من نظريات كقوله في مسألة الدفع وان قوة الدفع هي الغالبة
لا كم قالوا بالجذب . ولو لا اني اخبرتك ان هذه الايات هي للمهادي
المدني لقطعت من غير شك بنسبتها الى الزهاوي فهي زهاوية مبني ومعنى .
نم لا تترك هذه القصيدة دون ان نعرض للمقطوعة الاخيرة فيها التي
تبحث في مشكلة المرأة ، ومشكلة المرأة من « الزهاويات » أيضاً ، فالمعروف
ان الشاعر الزهاوي كان من أنصار المرأة ، وله في ذلك شعر كثير ، وقصيدة
السيد المدني هذه « زهاوية » في الشكل والمضمون . أقول : « في الشكل »
لانها لا تشعر بجودة البناء وانسجام البناء مع الموسيقى الشعرية . ونسمع
السيد المدني في هذه الايات :

وارى للنساء صوتاً سيدوا له في الخافقين اي رنين
علموهن علموهن ان المرأة اليوم ذات رأي ثمین
انظروا للنساء في الغرب كيف اليوم أصبحن في قرار مكين
علموا المرأة العلوم تروها بعد حين لكم كحسن حصين
لقنوها الآداب تنتبه لكم خير شباب يزهو بفكر متين
لقنوها مجد الجدود تروا ابناءها كالاسود عند العرين

أفهموها ان التباهي بالعفة لا بالافراط في التحسين
نوروا عقلها والا فأنتم لا تزالون في ضلال مبين
ان من شل عضوه عمدآ حق عليه سوط العذاب المهن

ولابد ان تعقب هذه الطريقة الزهاوية في شعر السيد المدنی ، وهي واضحة في أكثر قصائده . والطريقة الزهاوية تعتمد على تقرير أشياء مفهومة بأسلوب حكائي يفتقر الى الفن الأصيل . وهاك قصيدة شاعرنا التونسي التي أسماها « أترى » :

ام هكذا تبقى على استبعاد
ام هكذا تبقى كثقل جماد
ام هكذا تبقى كثقل جماد
فتعيد بعض الروح للاجساد
وتزيل ارجلها من الأصفاد
ايدي اباء قادة امجاد
جلّت مخازيها عن التعداد

أترى يعود المجد مجد بلادي
أترى نهب لنيل حق ضائع
أترى بنى الخضراء تنھض للعلا
اترى بنى الخضراء تنھض للعلا
وتليل تونس سؤدداً ومكانة
وتليل فخرأً احکمت بنيانه
ام هكذا ترضي حياة مذلة

هذه الایات ليس فيها من الشعر غير هذا الوزن الموسيقي . فلم يأت صاحبها الا بالالفاظ التي وصلت بعضها فيجاء موزونة تفتقر الى عناصر عدة لتكون شعراً . انظر استعمال الشاعر للإشارة « هكذا » في غير حاجة الى ذلك ، فقد أتى بها كما يأتي الرجل يتوكأ عليها ، وهي تشبه قبيل الزهاوي في تحية العلم :

عش هكذا في علو ايها العلم فاننا بك بعد الله نعتصم
وهذا اللون الادبي يفتقر الى الكثير من عناصر الشعر الحي ، وهو
نظم ليس غير .

ونستطيع ان نلمح شيئاً من طريقة الرصافي الشاعر العراقي في الادب

التونسي وذلك في شعر الشاعر محمد المكي بن الحسين^(٨) وذلك في الشعر الاجتماعي كأن يقول في « مكارم الاخلاق » أو يتحدث عن الفضيلة باكياً رائياً . وقد تثيره الحال في تونس وما آلت اليه من زوال مجدها القديم وحضارتها المشرقة .

لنسمع الى محمد المكي بن الحسين يقول في « مكارم الاخلاق » .

تبغى العلا وتعادي الفضل والادبا
خت النهي ورضيت النام والريبا
ففكر بنفسك هل شمت الثناء على
ان المعالي اذا خسلت معالهما
أبنت على حبها الأبناء من صغر
لا تشرفن المساعي والطبائع في
سود انطباع وماء الوجه قد نضا
وان تر العلم زين المرء فالخلق الزاكى يزين الفتى والعلم والشبا
والى آخر هذه القصيدة التي لا تبعد كثيراً في أفكارها عما أسلفناه
وهو ما يدخل في الحديث عن الاخلاق الحميدة وفضل العلم والادب .

قلت انا نلمح في شعر محمد المكي بن الحسين شيئاً من منهج شاعرنا
الرصافي ، وأنا واثق أنك حين تقرأ هذه الابيات تستذكر الكثير من شعر
الرصافي في هذا الباب وربما لم يفتك ان تذكر قصيده :

هي الاخلاق تنبت كالنبات اذا سقيت بماء المكرمات
ولابد من العود لشاعرنا التونسي لنقرأ قصيده « دمعة على الفضيلة » :
قف نبك من شجوئن به الصدر ونو حل في صخر لذاب به الصحر
شجون غدت ترمي الفؤاد وبالها تباعاً وما أبلى معاقلهما عصر
خطوب بها امسى الحشام جمع الاسى ومحمر دمعي لا ينهنه الزجر

(٨) ولد الشيخ محمد المكي بن الحسين سنة ١٣٠١ في مدينة نفطة من مدن الجنوب التونسي المواجهة لصحراء الجزائر وقد نشأ في زاوية أبيه ثم دخل « الزيتونة » وقد هاجر مع اسرته الى دمشق سنة ١٣٣١ وأشتغل بالتدريس في المدارس الاهلية ، ثم رجع الى تونس سنة ١٣٣٨ .

انوح لمنها و قد عدم الصبر
بدمع به يخصل من وبله العفر
يعجّد تذكاري لها كلما بدا

اقول على رسم لها غير باخل
لعني رسم او دھي مسمعي نكر

في هذه الابيات شيء من ديباجة صافية تستند على الادب القديم .
ومثل هذا كثير في شعر الرصافي الذي تشيع فيه أوابد الابيات القديمة يأبى
بها على سبيل الاقتراض اللطيف لا التضمين الواضح .

ومثل هذه الديباجة الصافية نلحظها في شعر السيد علي النيرف^(٩)
من شعراً تونس في مطلع هذا القرن . غير أن صفاء دويباجته شيئاً من
الادب القديم ، فاذا قرأت شعره خيل اليك انك تقرأ لشاعر من شعراً
الاعصر الخالية .

ومن أمثلة هذا التأثر بالقديم التزامه بالمعارضة على عادة الشعراء
المحافظين ومن ذلك قصيده « في الليل » التي عرض فيها « الحصري
المقرواني » :

الجفن هواك يسهده
من يسعده او ينجده
والقلب تخوف راحته
شجن بالنفس تردد
والجسم يذوب عليك جوى
ونبا بي الليلة مرقد
يسبي الرائين تأوده
يا بدر دجي في غصن نقا
الله نشدتك في كلف
دف ملتنه عوده

وفي هذه الابيات يبدو الشاعر في منهجه التقليدي في هذا الغزل
المصنوع . ثم نقرأ قصيده « دع ملامي » فيطالعنا شيء من الديباجة البحترية
الصافية فيقول :

(٩) وقد ولد الشيخ على النيرف سنة ١٣١٨ ونشأ في اسرة
اشتهرت بالفضل والعلم وقد التحق بالجامع الاعظم وقد تخرج فيه بعد
ست سنوات واستغل بالتعليم .

دع ملامي على الاهوى فهو دأبى
ليس أمر العذول فيه مطاعا
أنت لم تدر ما انهوى فدع اللو
م الى أن تزير عنه القناعا
خلبي اذكر الليالي الخوالى
وارجى لا نسهن ارتجانا

ومثل ذلك قوله في قصيده « صوت من وراء حجاب » :

أصيخ له مني المسامع والقلبا
لدى ظاميء اهدى لغلكه شربا
يرنح عطفى من يصيخ له عجبها
ملا اذني دراً يساقطه رطبا

بنفسى صوت قد غدوت به صبا
له موقع في السمع موقع عارض
اذا ببل يشدو على فرع ايكه
بلى صوت من اهوى على غير موعد

وفي مثل هذا المنهج التقليدي نقرأ للسيد مصطفى آغا^(١٠) من شعراء تونس البارزين في مطلع هذا القرن ولكنه يعيد الى سمعك الشعر القصصي الذي عرفته لدى الرصافي الشاعر العراقي في قصائده « اليتيم في العيد » و « ام اليتيم » و « المطلقة » وغيرها . وعلى هذا النحو نقرأ للسيد مصطفى آغا قصيده « حياة البغي » :

آنسات جئنها للسمير
حدثتها عن لعوب معصر
قلن « ريا » يا « رباب » مالها
من حليل طبق ذاك الخبر
بل بغي احرزت منزلة
عظمت عند العظيم الموسى
أكبروها مذ رأوها قمراً
برزت في حلقة من صفر

في مثل هذا الحوار الذي يقوم على السؤال والجواب والحديث والاعراب ، يستمر الشاعر في عرض حكاية فتاة نسبت لها الجبائل فجيء

(١٠) ولد مصطفى آغا في مدينة « الكرم » وهي مدينة صغيرة بالقرب من حاضرة تونس وهو حفيد مصطفى آغا الكبير مؤسس العائلة الشهير ببطولته وزير العربية للمملكة التونسية في عهد الحسينيين سنة ١٢٩٤ هـ . وهو من أصل مملوكي .

بها من عفاف وطهر الى حياة الرذيلة والعهر ٠

وهذا النمط الحكائي كثير في شعر مصطفى آغه ، وحديثه يدخل في باب الأدب الاجتماعي ٠ ومن ذلك قصيده « البريء المضطهد » وقصيده « الزواج » التي يعالج فيها اغراء المدينة ومشكلة المهر الذي لا يطيقه طالب الزواج وفيها يقول :

سل من رمت مهج الورى احداها
عشاوها
كم أحرفت كبدأ بنارِ صباها
قد حلَّ في شرع الهوى احراها
فاقت لواحظها سهامِ كنانةٍ
بين الوعى وقد انبرى فوقها
كسدت بضاعة صونها لكنما
راجت بحسن ظاهر اسوانها
اغراؤها ونفاقها انفاقها
ان القلوب اذا هوتها كلما
زادت خفوقاً زادها اخفاها

وأنت من غير شك واجد في هذه الآيات الصنعة الواضحة في العناية بالشكل مما لا يطيقه ذوق هذا العصر ، وهي من مخلفات الماضي القريب ٠

الجديد في الأدب التونسي

أبو القاسم الشابي

ليس أبو القاسم الشابي مشكلة من المشكلات ٠ لقد رزق أبو القاسم الشهرة ، شاع صيته ٠ وكثير على امرئٍ أن يرزق الشهرة ولم يسلّح من العمر في هذه الدنيا الفانية إلا ربع قرن ٠ اذن لا بد أن يكون لهذا الفتى مكان هيئاً له هذه الشهرة الفائقة وذلك أصحيت الدائم ٠

صاحبنا السيد أبو القاسم شاعر تونسي ، وفي تونس شعراء كثيرون وإن فاتنا – أن نعرف – نحن المشارقة – الكثير منهم ٠ ولكن هذا الفتى الناول قد بدأ جمهرة هؤلاء ، فلم يعرف في حيز هذه الخضراء التونسية حسب ، بل سبقه اسمه إلى أقاليم عدة وربما قرأ له أو سمع به قوم لا يعرفون من حاله إلا الشيء القليل ٠ وأنا لا أشك في أن كثيراً من هؤلاء لا يعرف « الشابة » من أعمال الجنوبي التونسي ، ولكنه سمع الشاعر الشابي في صوت أحدي مغنيات هذا العصر مرددة : إذا الشعب يوماً أراد الحياة ٠ ولا أريد أن أشير إلى أن هذه القصيدة كانت سبباً في هذه الشهرة التي أصابها الشاعر ، ذلك أن الشاعر قد اوتى هذه النعمة قبل أن تتبس شفتها المغنية بالنعم المطراب ٠

وقد : قلت ان في تونس شعراء كثيرين ، ومن عجب انهم لم يصيروا ما أصاب السيد الشابي من ذيوع الاسم في تونس نفسها أحياء أو أمواتاً ٠ قد تقول ان هذا الشابي قد سعى لنفسه ودعا لها وانه قد مل ما كان الغروم يضربون فيه من مادة الأدب ففيض له أن يعرف جماعة « ابو لو » في مصر فوجد فيهم شيئاً يطرب له ويصبو إليه ، فنشّ شعره على صفحات مجلتهم المعروفة منذ نحو ثلاثة عشر سنة ٠ وكانت هذه الزمرة من « الابوليين » حاملة

رأية التجديد في الادب ، وداعية الى الجديد ، فكان لهذه الدعوة انصار
يؤيدون ويغضدون ، وآخرون وجدوا فيها معل هدم لهذا التراث العتيق
الذي تفخر به العربية بين اللغات .

ولعل تونس دون سائر الشمالي الافريقي ، كانت على صلة بهذا
المعمان الفكري . والتونسيون انفسهم كانوا بين ناصر للقديم داع للحفاظ
عليه ، وآخر برم بالاساليب العتيقة التي درج عليها المتذوبون بخاصية وأهل
العلم بعامة ، فجامع الزيتونة معهد تونس الاكبر يؤمه أفواج كثيرة من
طلاب العلم تونسيين وأفارقة آخرين . وهو من مفاخرهم وعنوان مجدهم ،
وكان له أن حفظ للعربية مكانها في تونس التي أجهز عليها المستعمر الاجنبي
بخيله ورجله وعلمائه . ولكن شيوخ الزيتونة لم يبغوا حولا عما ألفوه من
اساليب الدرس العتيقة ، وان الجديد في رأيهم لون من التخليط والعبث .

وهكذا برمت الناشئة التونسية يومئذ بالأدب التونسي بحدوده
الضيقة ومفاهيمه التي تأبى أي لون من الوان الجديد . وقد بدأت تنفتح
لهؤلاء الشبان الوان جديدة من الادب ومن الفهم الثقافي عامه ، فاتخذوا
من هذه الواجهة البحرية بابا ينفرج عن العالم الحديث ، او قل عن فرنسا
التي بهر ادبها العقول والقلوب ، فاما الذين يملكون مفتاح هذا الباب ،
وهو الفهم الصحيح للغة الفرنسية فقد انصرفوا الى هذا المعين الاوربي
الجديد متخذين منه متعاما طيبا للعقل والنفس ، وأما من لم تتهيأ له معرفة
بالفرنسية ، وجل هؤلاء من الزيتونيين ، فقد بقى في حدوده ضجرا برمـا
بما يقدم اليه من زاد فكري . وكان الشابي من هذا الفريق الثاني المبرـم
ولكن برمـه بلغ أبلغ الحدود ، وربما سرى به الى النفرة من الادب العربي
عامه ، كأن الذي لا يمت الى العربية بسبـب . فقد غلا واستبد وبلغ به غرام
الشباب وطيسـه ان يجرد العرب من الادب والفن الرفيعـين فقد عاب عليهم
ضيق خيالهم وانصرافـهم لل المادة دون العاطفة وان « خـيـالـهـمـ لاـ يـطـيرـ

بجنابين » وأن بيئتهم القاسية الجافية لا يمكن ان تمنع أهلها السمو في التصوير والتلوين ، ومن أجل ذلك لم يبدعوا في مادة « الاساطير » ابداع الاغريق والرومان وقدماء المصريين⁽¹¹⁾ . وهذه فورة من فورات الشباب العارم التأثير ، وأن هذا الذي كتبه الشابي عن العرب وادبهم لم يكتبه واحد من الغلاة ، ولم يخطر على بال أحد من الشعوبية الاولين . ولكن هذا الفتى ثائر ، وثورته قد يكون من اسبابها عدم التشتت ، وعدم الاحراز على الكفاية من مواد البحث . وقد قيل : ان المرء عدو لما يجهل .

وقد تعجب أشد العجب اذا قلت لك : ان هذا الفتى الشاعر لم يحرز على ثقافة اوربية ، ولم يتهيأ له أن يعرف الفرنسيه لغة وثقافة . أذن فأين درس الادب الحديث في أنماطه الاوربية فصار يتخد منه مادة للموازنة والمقارنة ، او قل فصار بسبب من ذلك ينبع على الادب العربي جموده وجفافه وانعدام الصور الحية فيه وافتقاره الى الجانب الانساني ؟

والجواب عن ذلك أنه كان يقرأ ما يترجم من نماذج ادبية اوربية وبخاصة في المشرق العربي ، في مصر . فقد كانت مجلة الرسالة ومجلة « الرواية » وقبل ذلك بقليل كانت مجلة « ابو لو » ، وهذه المجالات قد عرفت القراء بشيء من نماذج الادب العالمي . واذا اتيح للسيد الشابي ان يعرف « لامرتين » من الشعراء الرومانتيكيين الفرنسيين ، فانما ذلك قد تم له فيماقرأ من ترجمة احمد حسن الزيات لقصته « رفائيل » فصار يتحدث عن بحيرة لامرتين .

وفي الحق ان هذه الراءات لا تمكن صاحبها من التزود بالزاد الكافي من هذا الادب الاوريبي بحيث يتصدر مثل ما تتصدر له الشاعر الشابي الذي اتخذ من هذا الزاد الغث معول هدم سلطه على الادب العربي ، وهذا من

(11) انظر الخيال الشعري عنده العرب لابي القاسم الشابي (تونس) الشركة القومية للنشر والتوزيع .

شر الثقافة الناقصة يغضدها طيش من شباب مندفع ٠

لقد قلت ان الشابي لم يجد في تونس شيئاً من ادب تستريح اليه نفسه ، ولكن وجد في أدب اللبنانيين المهاجرين في الدنيا الجديدة شيئاً يستهويه فاتخذ منه مادة وغذاء ، ثم وجد في أدب المجددين في المشرق وهم جماعة ابو لو شيئاً من ذلك ٠ وهكذا تم للسيد الشابي ان يفاجئ القاريء التونسي بمادة جديدة لم تنبت في « خضرائه التونسية » فهو مجدد ابداً اذا قيس بادباء عصره التونسيين الذين لم يتهيأ لهم أن يقلعوا عن الحفاظ على القديم في أشكاله ومعانيه ، والموازنة أو المقارنة بين أدب الشابي وأدب الجمهرة الكبيرة من شعراء تونس في تلك الفترة تؤيد هذا الذي نذهب اليه ٠ وقد ظل السيد الشابي من المجددين مع غيره من الادباء المشارقة في تلك الفترة ٠

وقد تقول : انه زيتوني ونهج الزيونة معروف في الحفاظ على القديم من الثقافة والتمسك بالتراث الاسلامي ، وطبعي ان يكون هذا الحفاظ سرى الى الناحية الادبية فالادباء الزيتونيون في تلك الحقبة نفر لم يستقبل الجديد بعين الرضا ، وان أساليب المجددين الوافدة عليهم ان هي الا قوالب عقيمة لا تخدم الادب العربي في شيء ٠ وطبعي ايضاً ان تبقى هذه المدرسة العتيقة آثاراً في أدب السيد الشابي ، والاستقراء يدل على شيء من هذا ٠ والنظر في « أغانيه » يطلعنا على نماذج قليلة تبين فيها القدر الذي تأثر به مما أملته عليه نشأته الاولى ، فاذا قرأت هذه « اللقطات » وجدتها بين « أغانيه » فلم تلبس لبوسها ، ولم تتحل بحليتها ٠ وهي مادة تعيد الى ذهنك ابيات المتنبي في ارساله الحكمة السائرة ، وفرائد المعري في التفاتاته الى سر من اسرار الحياة ، شامخة بوقارها وبهائها ٠ انظر مقطوعته التي أسمها

« المجد^(١٢) » :

وصد الخميس المجر والأسد الوردا
حقيقة ما رام من بينها مجدا
وتركب في هيجانها فرساً نهدا
عن العالم المرزوء فيض الأسى صدا

يود الفتى لو خاض عاصفة الردى
ليدرك أمجاد الحروب ولو درى
فما المجد في أن تسكر الأرض بالدماء
ولكنه في أن تصدّ بهمة

ومن غير شك أنك تحصى في هذه الآيات مادة لغوية هي ليست من آلات السيد الشابي في ديوانه ، وربما عاد إلى ذهنك شيء من شعر المتibi في وصف معارك سيف الدولة « فخوض عاصفة الردى » و « صد الخميس المجر » و « الأسد الورد » أدوات لم تألفها في شعر هذا الفتى الحزين الناحل الذي يغنى الحياة ويبكيها ، وما أطنك غير ذاكر قول المتibi :
ولا تحسبن المجد زفاً وقينة مما المجد الا السيف والفتكة البكر
وتضريب اعناق الملوك وأن ترى لك الهبوطات السود والعسكر المجر

ومثل هذا كثير في شعر المتibi °

ونعود إلى هذه « اللقطات » فقرأ قوله « سر مع الدهر »^(١٣) °
سر مع الدهر لا تصدقناك الأهوال ، او تفرعنك الأحداث
سر مع الدهر كيлемـا شاعت الدنيا ولا يخدعنك النفات
فالذـي يرهـب الـحياة شـقـى سـخرـتـ منـ مـصـيرـهـ الأـحداث

وهذا نمط آخر من ارسال الفكر على نحو ما عرفناه في شعر المتibi واخراجه من ارسلت الحكمة في شعرهم ارسال الامثال كأبي تمام والمعري ° والتزام « الدهر » شيء واضح في الادب القديم ، والامثلة كثيرة في مختلف العصور الادبية °

ولم يستطع الشاعر الشابي أن ينفلت من الوزن ، فلم يتصرف بالموسيقى الشعرية تصرف شعراء المذهب الجديد من انصار جماعة « ابو لو » مثلا °

وربما كان يرى في الحفاظ على الموسيقى الشعرية ابقاء على اهم ما يتتصف به الشعر العربي . وقد تبلغ به المحافظة على الوزن أنه يعمد إلى لون من الوان المعارضه فأنت حين تقرأ قصيده «صفحة من كتاب الدموع»^(١٤) ومطلعها :

غناه الأمس وأطربه وشجاه اليوم فما غده
لابد أن تعود إلى ذاكرتك قصيدة الشاعر الحصري القديم المشهورة
التي مطلعها :

يا ليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده
ومن عجيب ان هذا الوزن اوسيقي من بحر المتدارك قد شغف به
الشعراء . والاعجب من ذلك أنهم لم يكلفووا به الا بعد قصيدة الحصري
المعروفة ، فكان الحصري قد نبه الاسماع الى هذا النغم الرائق . وما اظن
أن قصيدة الحصري على رقتها وأناقتها قد لفت الشعراء اليها لبلوغها مرافق
الفن الاصليل ، والذي أراه ان خفة الوزن واطرائه قد يسرا لهذه القصيدة
أن تظل عالقة في اذهان الناس من قديم الزمان الى يومنا هذا وقد شاعت
معارضتها وذلك معروف . يأتي السيد الشابي فيدلی دلوه في الدلاء
ويعارض ولكن لم يكن مقلدا بل جاء مخلصا لفنه وأدبه باكتساه قصيده
هذا التوب الجديد الذي يشيع في شعر شاعرنا الشابي ، ولكنك لا تعلم
أن تقرأ في هذه الجدة الممتعة شيئا من أدب قديم فانظر اليه كيف يتحدث
عن الأيام فيقول :

يا للأيام فكم سرت قلباً في الناس لتكمده
هي مثل العاهر ، عاشقها تسقيه الخمر وتطرده
يطليكاليوم حلاوتها كالشهد ليبسها غده
فأنت اذا قرأت هذه الآيات وكان لك بصر بالادب القديم عرفت أن

(١٤) المصدر السابق ص ١٠٦

السيد الشريف الرضي قد قال في رثاء أمه شيئاً في قصيده الباكيه التي
مطلعها :

أبكك لو نفع الغليل بكائي وأقول لو نفع المقال بدائي

٠ ٠ ٠

وخلائق الدنيا خلائق مومن للمنع آونة وللإعطاء
طوراً تبادلك الصفاء وتارة تلقاء تذكرها من البغضاء

وقد اسلفت ان الشاعر قد شغف بشعراً المهجر ، ولا بد أن يكون
هذا الشغف قد أثر في أدبه ، ومن غير شك أن الانصراف إلى الطبيعة
والرُّكُونُ إليها على النحو الذي عمر به شعر الشابي كان نتيجة هذا التأثر
الجديد ، وعلى هذا فليس مؤرخ الأدب الحديث إلا أن يضع السيد الشابي
مع هذه الزمرة الجديدة من مهجرين وآخرين كجماعة « ابو لو » ٠ واستقراء
« أغاني الحياة » يدل على هذا المنحى الذي يجمع بين الشابي وأقرابه من
دعاة الجديد ٠

وأنت لا تقرأ « أغاني الحياة » الا عادت إليك صور من ميخائيل نعيمة
وجبران وابي ماضي وغيرهم من شعراً المهجر ، فإذا قرأت معي قصيده
« جدول الحب بين الامس واليوم » التي يقول فيها ٠

بالامس قد كانت حياتي كالسماء باسمه
والاليوم قد أمست كأعمق الكهوف الواجبه

ويستمر في هذا النغم الباكي الممتع على طريقته ٠ أقول تقرأ هذا
وتعود إلى « النهر المتجمد » لميخائيل نعيمة فتحسن أن شيئاً متقارباً يجمع
بين صاحبنا التونسي وشعر ميخائيل الذي قال في « النهر المتجمد » قصيده
باللغة الروسية ثم ترجمها إلى العربية قائلاً :

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخير

أم هل هرمت وخسار عزمك فانقطعت عن المسير

ولكن النغم يتدفق كموسيقى وترية عندما يسيل النهر في فصل
الربيع كما يقول جورج صيدح^(١٥) ، ثم يقارن بين النهر وبين قلبه الذي
يتضمن الربيع عيناً :

يا نهر ذا قلبي أراه
كما أراك مكبلاً
والفرق إنك سوف تنشط من عقالك وهو لا

هذا مثل من كثير من الأمثلة التي زخر بها شعر السيد الشابي والتي
تعيد إلى سمع القاريء صوراً مهجرية يستدل منها على أن بين الشاعر
الشابي وشعراء المهاجر صلة الفن الذي يجتمع في طريق واحد ٠

وبعد فالشابي من شعراء العربية الكبار الذين رزقوا الشهرة لما قدموه
من روائع الأدب ولما انصروا إليه من إجاده الفن والخلوص إليه ، والفناء
فيه ، والنظر في ديوانه « أغاني الحياة » يسعف على تأييد هذا القول ،
وإلا فماذا عساك أن تقول وأنت تسمع الشابي في « صلواته في هيكل
الحمد »^(١٦) قائلاً

عذبة أنت كالطفلة كالاحلام
كاللحن كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء
كالورد كابتسم الوليد
وشباب منعم املود
يا لها من وداعه وجمال
يا ابنة النور انتي أنا وحدي
من رأى فيك روعة المعبد
فدعيني أعيش في ظلك العذب وفي قرب حسنك المشهود
عيشة للجمال ، والفن والالهام والطهر والحسنا والاسجود
عيشة الناسك البطل ينادي رب في نشوة الذهول الشديد

(١٥) جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ص ٢٤٧

(١٦) أغاني الحياة ص ١٢١

لاشك انك تقرأ لشاعر او تي الشاعرية فأصاب من ذلك بسهام عده
وان كنا نأخذ عليه انه استعار مادة لا تمت الى بيته الاسلامية ، الا ترى ان
الهيكل من مصطلحات العمارة في الكنيسة النصرانية ٠ وما ارى ذلك الا من
تأثيره بهذا النمط المهجري الذي اسلفنا الكلام عليه ٠ ولا أدرى كيف جمع
بين « الناسك الذي ينادي الرب » و « البتوء » ذلك ان « البتوء » المرأة
التي انقطعت عن الازواج او التي انقطعت لله بعيدا وتنسقا فهي العذراء التي
أخلصت لله فهي صفة مؤنث ٠ ومثل هذا التجاوز اللغوي كثير في شعر
السيد الشابي ، الا تراه في القصيدة نفسها يقول :

خطوات سكرانة بالآنسيد وصوت كرجع ناي بعید
فاستعماله « سكرانة » مأخوذ من المستعمل المألف غير الفصحى ذلك
ان الوجه فيه (سكرى) ، وما اظن ان الشاعر استعمل الكلمة جريا على
لغةبني اسد في اجازتهم تأنيث « أ فعل » على « فعلاته » ٠^(١٧)
وعلى هذا التحو من التجاوز جاء قوله في قصidته « الغاب »^(١٨) :
والى انشيد الرعاة مرقة في الغاب ، شادية كسرب يمام
فقد التجأ الى « مرقة » مريدا بذلك « رافة » واستعمال الرباعي من هذا
الفعل غير وارد ، والثاني هو المعروف المألف ، اما التجاوه للرباعي فلم
يكن الا مراعاة للوزن وهذه الهنات لا تضر بناء السيد الشابي الانيق المنسجم ،
ونماذج الادب الجميل في شعره كثيرة اجزأت منها بهذا القدر اليسيير في
هذه الامامة الموجزة التي لم أرد منها ان تكون دراسة مسهبة وافية علما مني
أن مادتي لا تعين على ذلك فينبغي أن يكون من ادواتي شيء آخر افقره اليه
في هذه الامامة القصيرة ورحم الله الشابي ٠

ومن آثار الجديد في الادب ما نلمحه في شعر السيد سعيد ابو بكر^(١٩)

(١٧) اغاني الحياة ص ١١٨

(١٨) ولد سعيد ابو بكر في مدينة « المكينين » على الساحل الشرقي
التونسي سنة ١٨٩٩ ولم يتمهيا له ان يتثقف ثقافة عالية ولكنه زود
نفسه بالمعارف التي حصل عليها بدرسها وجده ٠

من الشعراء التونسيين في هذه الفترة °
اقول : الجديد في الادب التونسي ولا اريد بالجديد الشيء الذي
ابتكر في الادب التونسي ولكنني أقصد بالجديد ما قصدته في الكلام على
شعر أبي القاسم الشابي ذلك ان صاحبنا أبو بكر قد أحب اللون الجديد في
الادب المهجري وتتأثر به كما حصل لصاحبنا الشابي °

ويبدو هذا التأثر في موسحات أبي بكر التي خرجت عن المألوف
المحافظ من الادب التونسي في هذه الفترة ولنستمع الى قصيدة الشاعر
« ايها الليل » :

فوق هذا التل عن هذى الرمال	في انفرادي
ها انا ما بين فرسان الخيل	عن جوادي
ارمق الليل بعين الاندھال	وهو هادي
انت يا ليل حبيبي وأنا	في ارتياحي
ان لي فيك سويغات هنا	وانشراح
ولذا أبدوا اذا كنت هنا	غير صالح
هكذا ارנו بعيوني للسما	انت تدرى
فاستمع مني حديثاً عندما	نحو بدرى
	ضاق صدرى

وفي هذا النغمات تأثر واضح بالاسلوب المهجري في نجوى الليل مع
الالتزام بهذه العناية في النظام °

ايه يا افق الرزايا والنقم	لا تخن عهدي
ههنا وحدي انا جيك نعم	ههنا وحدي
أنت شوك ناعم في لمسه	طبيب الاوجاع
انت يوم مطرب في حسه	شنف الاسماع
انت موت مخرج من رمسه	ميتاً قد ضاع

ان يكن فيك انتقالٍ للعدم والهنا بعدِي
ههنا وحدي انا جيك نعم هنا وحدي
ثم اذا قرأت قصيده « الغصن المجرد » بدا لك هذا التأثر بالاسلوب
المهجري :

يا غصن كم غنت عليك بلا بدل الروض الجميل
من نعمة فيها ارتياح للمتيم والعيل
يا غصن كم لعب النسيم بما لديك من الورق
فلعبت مثله بالعقل تعتاً وبدون حق
الا ترى انك ذاكر قصيدة ميخائيل نعيمة في « النهر المتجمد » التي
يقول فيها :

يا نهر هل نضبت مياهك فانقطعت عن الخير
ام قد هرمت وخسار عزتك فانشيت عن المسير
وبعد فهذا جهدي في استقراء ما زال مفترا على اشياء كثيرة ، والكمال
معوز ولكنني ماض في هذا السبيل املا في المزيد من البحث والاستقصاء في
استجلاء الادب في هذا الجزء من المغرب العربي *

ويبدو هذا التأثر في موشحات ابي بكر التي خرجت على المألفوف
ربما انصرف ذهن القاريء الى اني سأتكلم على اللغة العامية الدارجة
في تونس ولكنني لم اقصد الى هذا ، وان كانت هذه الالوان العامية حرية
بالدرس والبحث عملا بالمنهج العلمي في درس اللغات دراسة تاريخية تعين
على فهم شيء من تاريخ فصيح العربية *

وقد تهيأ لي ان اقضي في تونس ما يقرب من سنة كاملة ، فكان لي
ان المت شيء يتصل بأدب القوم وطرف آخر من معارفهم وأسلوبهم في
الكتابة ولم اقتصر على النظر في هذه الامور فقد استوقفني لغة الصحيفة
اليومية بما فيها من خبر سياسي ، وآخر يتعلق بما يجري بين الناس في

معاملاتهم وشأنهم الخاصة وما يعرض من امور . ولم اقتصر كذلك على النظر في هذه الابواب في هذه الفترة التي ناشرها من تاريخينا المعاصر بل تخطيتها الى النظر في الصحف والمجلات التي ظهرت في عهد ما قبل الاستقلال .

وهذه الفترة الاخيرة مفيدة لنا نحن المشارقة الذين ضرب المستعمر بیننا وبين اخواننا في الشمالي الافريقي . وقد قلت اني وقفت على أشياء كثيرة تتصل بلغة التونسيين فرأيت ان اسجلها واشير اليها خدمة للتاريخ اللغوي . ولم ارد ان اسلك في هذا البحث مسلك التخطئة فادل على مكان التجاوز للفصيح في هذه الاستعمالات التونسية ، ذلك ان هذه الاستعمالات التونسية فصيحة وان عرض لها شيء يبعدها عن الفصيح المشهور فقد اتصفت بلون من الاقلية أو قل المحلية . ولهذا أسباب سأعرض لها عند الكلام على هذه الاستعمالات . ولا اريد ان انتهي هذه المقدمة القصيرة دون ان اشير الى ان هذه العربية التونسية قد حفلت بشيء من الفصيح القديم الذي ندر استعماله في بلاد المشرق .

يشيع في هذه اللغة صيغ عربية لم تجر على نحو ما نصت عليه كتب اللغة او على نحو ما جرى الاستعمال به في غير هذه الديار فمن ذلك : « الفعل حجر » فالمعلوم ان استعماله ان يجيء ثالثيا مجردا والقاعدة اللغوية تجر على انه اذا سمع المجرد فلا يلتجأ الى المزيد الا لفائدة مقتضاه . ولكن التونسيين يستعملون هذا الفعل بصيغة التضييف فيقولون مثلا « حجرت » الحكومة الافطار العلني في خلال شهر الصوم » .

او انك تقرأ على لافتة في الطريق « وقوف السيارات محجر هنا » ومعنى هذا ان صيغة المضعف من هذا الفعل هو الفصيح الجاري عندهم فهم يستعملونه كما يستعملون سائر الصيغ التي تأتي منه كاسم المفعول مثلا . هذا هو الاستعمال التونسي اما الفصيح المشهور فان الفعل « حجر »

الثلاثي المجرد يعني « منع » الحجر هو المنع وفي لغة التنزيل : « ويقولون حجرا محجورا » اي حراما محرما فقد استعمل الثلاثي المجرد في صيغة اسم الفعل ومنه قولهم « حجر القاضي يحجر حجرا » اذا منه من التصرف في ماله . وفي حديث عاشه وابن الزبير : « لقد همت ان احجر عليها » هو من الحجر المنع ، ومنه حجر القاضي على الصغير والسفيه اذا منعمها في التصرف بمالهما .

وينبني من هذا الفعل وزن « تفعل » فيقال تحجر على ما وسعه الله . أي حرمه وضيقه وفي الحديث « لقد تحجرت واسعا » أي ضيق ما وسعه الله وخصصت به نفسك دون غيرك وقد حجره وحجره .

وينصرف المضعف من هذا الفعل الى معانٍ أخرى فيقال : حجر القمر اذا استدار بخط دقيق من غير ان يغلط ، وكذلك اذا صارت حوله دارة في الغيم . والتحجير أيضاً ان تسمح له عين البعير بميسى مستدير ومن هذه الاستعمالات التونسية الفعل « تحصل » على وزن تفعل وهي تدخل في الباب المتقدم الذكر . يستعمل التونسيون هذه الصيغة ولا يفطرون الى أن المجرد يعني عنه ويسد مسلده ، وليس من ضرورة تستدعي اللجوء الى هذه الصيغة فهم يقولون مثلاً « تحصلت الحكومة على النتائج الباهرة في مقاومة التخلف الاقتصادي » فيعدون الفعل بـ « على » كما تعدى الفعل المجرد حصل بهذا الحرف نفسه . وهذه الصيغة غير معروفة على هذا النحو في الفصيح المشهور ذلك انهم يقولون « تحصل الشيء » بمعنى تجمع ونبت وهذه الزيادة في هذا الفعل قد نقلت الفعل الى معنى اخر . ومن هذه الافعال التي ترد في الاستعمال التونسي على نحو خاص الفعل « وقع » ولابد من النظر في هذا الفعل فقد كثر استعماله بشكل يدعو الى التأمل كان يقال « المسألة التي وقع بحثها » ولا يقال المسألة التي بحثت . ويقولون : (المشكل الذي وقع النقاش فيه) وانت واجد مثل هذا الاستعمال

في الصحف والمجلات والكتب العلمية وهو من الكثرة بحيث يجب الوقوف عليه . وأظن ان هذا الاستعمال قد حصل في العربية التونسية بسبب التأثر بالاستعمالات الفرنسية ولغة الفرنسية ذات اثر في الاستعمال التونسي كما ستبين .

ومن هذه الافعال ايضا الفعل « اطرد » والتونسيون لا يستعملون المجرد الفصيح المشهور الذي يعني عن هذه الصيغة المزيدة فيقولون مثلا : « اطرد العامل من عمله » وفي الفصيح المشهور الطرد الابعاد والرجل مطرود وطريد اما الفعل « أطرد » فله استعمال خاص فيقال « أطردت الابل » أي امرت بطردها ، وفلان اطرد السلطان اذا امر باخراجه عن بلده قال ابن السكيت : « أطردته اذا صيرته طريدا وطردته اذا نفيته عنك » وقلت له : اذهب عنا . وابن شمبل يقول اطردت الرجل أي جعلته طريدا لا يأمن . فأنت ترى ان صيغة « اطرد » تفيدفائدة وهي تؤدي خصوصية معنوية لاتأتي من المجرد « اطرد ». ومن هذه الاستعمالات التونسية قولهم « أقبل » فخامة الرئيس المؤذن التجاري على الساعة العاشرة صباحا » وفي هذه الجملة نجد الفعل (اقبل) فيثير استغرابنا ، ذلك اننا لم نألف هذه الزيادة في الفعل (قبل) والمراد منها (استقبل) المشهور الشائع وفي كتب اللغة : (اقبل) امره اذا استأنفه فالاستعمال التونسي استعمال خاص لم تذكره معجمات العربية وكتب اللغة الاخرى .

ثم انك تلمح في هذه الجملة شيئا اخر ذلك هو استعمال حرف الجر « على » للدلالة على الظرفية ، والمشهور المعروف ان الحرف « في » هو الذي يؤدي هذه الظروف الزمانية وليس لنا ان نلجأ الى التأويل فنقول ان الحرف « على » تضمن معنى « في » فنقول بالتضمين الذي يشيع في حروف الجر ذلك ان الخروج التضميني لم يؤيده السمعاء .

ومن هذه الافعال التي يتباوزون في استعمالها الفصيح المشهور الفعل

« أبهر » ويريدون به الثاني « بهر » فيقولون مثلاً « أبهرت » بما شاهدته في التقدم العلمي « وكان الأصوب والارشق أن يقال بهرت » .

وزيادة الهمزة في هذا الفعل تنقل الفعل الى معانٍ اخرى كما تنص على ذلك كتب اللغة ، فالفعل « أبهر » استغنى بعد فقر ، وأبهر تزوج سيدة وهي البهيرة ، وأبهر الرجل اذا تلون في اخلاقه دماثة مرة وخبثا اخرى .

وقد نقرأ في الصحف التونسية ولا سيما ما ظهر منها قبل الاستقلال قولهم : « ذكرت الرصيفة الثريا خبر استقالة الوزارة » وفي هذه الجملة بنوا من الفعل « رصف » لملي « فعيلة » للدلالة على ما نستعمل في عربتنا السائرة في ايامنا لفظة « الزميلة » وهو استعمال خاص بهم لا يدرك الا بهذا التوسيع في دلالة الفعل « رصف » .

ومن الفاظهم الاصطلاحية الكلمة « التصبير » وهي كلمة تدل على الوان من الوان الصناعة الحديثة وهو اصطلاح لا تعرفه في الشرق وانما نستعمل (التعليب) ومعناه خزن الفواكه واللحوم والخضر في الصفائح المعدنية واستخدامهم هذا الاصطلاح لا يخلو من اساس لغوي معروف فاصل الصبر الحبس وكل من حبس شيئاً فقد صبره ومنه الحديث : نهى عن المصورة ، ونهى عن صبر ذي الروح والمصورة التي نهى عنها هي المحبوسة على الموت . وفي الحديث آخر في رجل امسك رجلاً وقتله آخر : اقتلوا القاتل واصبروا الصابر أي احبسو الذي حبسه للموت حتى يموت كفعله به .

قال عنترة :

فصبّرت عارفةً لذلِكَ حرّةٌ ترسُّوْ اذاً نفسَ الجيَانَ تطلُّعَ
فأَنْتَ ترى انْهُمْ بنوا مصطلحُهُمْ منْ فَكْرَةِ الْجَبَسِ الَّذِي يُؤْدِي بِالْفَعْلِ
« صَبَرَ » كَمَا انَّ (التعليب) في استعمال المشارقة جاء من (علبة) والعلبة
في اللغة قدح ضخم من جلود الابل . وقيل العلبة من خشب كالقندح
الضخم يحلب فيها . وما زال العراقيون يستعملون العلبة لـ لاناء الذي

يضعون فيه اللبن الخائز ، وهي من خشب .
وانت تقرأ في كتبهم الفقهية مثلا « يجوز لتسويغ اراضي الدولة ان
يسنعوا بالفوائد التي تضمنها فصول القانون » والتسوغ من مصطلحاتهم
القانونية فهو المستأجر ويدو ان هذا الاستعمال قديم في لقفهم .

و « الفصول » عندهم تقابل « المواد » القانونية في اصطلاحنا .

وتأخذ الصحيفة اليومية فقرأ في الصفحة الاولى : « خطاب الممثل القار
للجمهوريه التونسيه في ندوة الامم المتحده » . وتعيد قراءة هذه الفقرة فتفق على
كلمة « القار » فتلمح فيها شيئا لم تألفه ، ثم تعرف ان التونسيين يريدون
بالقار كلمة « الدائم » أي الممثل الدائم . فقد بنوا من الفعل « قر » على
وزن فاعل للتعبير عن هذا المعنى وما أظن ان هذا الاستعمال يوصلهم الى
ما يريدون بيسر . وهذا لون من الوان التوسيع في الاستعمال .

وربما يدفعك حب التطلع فقرأ الاخبار القضائية فقرأ فيها :
« القرار المخدوش فيه » ويريدون بالخدش على سبيل المجاز لطعن كما في
استعمالنا « القرار المطعون فيه » .

وللقوم اساليب خاصة في التعبير عن شؤونهم وما يضطربون فيه وهذه
التعابير وان كانت عربية فهي موسومة باقليمية محلية فأنت تقرأ في الصحيفة
التونسية « ازدان فراش السيد فلان وعقيلته بمولد ذكر اسميه محمد »
فهذا اللون من التعبير لا نجده الا في الصحف التونسيه .

وقد نجد في هذه العربية التونسيه شيئا آخر هو ان المادة العربية
الفصحه استعملت في دلالة جديدة لا تمت الى الاصل بسبب او قل ان المادة
الفصحيه قد احالها الاستعمال الى مادة عامية دارجة . ومن ذلك مادة
(شيخ) فيبون منها الفعل (شاح) واسم الفاعل (شايح) لتدل على
الجفاف واليس فإذا قالوا : لحم شايع فيريدون به (جاف) وشاحت
الفاكهه جفت ويبست .

وإذا رجعنا إلى كتب اللغة نجد مادة « شيخ » ودلالتها على الحذر والجد والشائع والشيخ والشيخ هو الحذر الجاد ولا نعلم وجهها للتقرير بين الفصحى والمستعمل الدارج .

وقد تقرأ من استعمالاتهم ما يبني على أصول قديمة ولكنهم استخدموه بشيء من التوسيع لغارضه جديده ومن ذلك ما نجد أحياناً في الصحف من استعمالاتهم (الوسق) بمعنى التصدير للبضائع ° والوسق بالفتح للواو وكسرها هو حمل البعير ، وهو ستون صاعاً ، والوسق وقر النخلة ، ووسمت الشيء أسمه وسمّاً إذا حملته ° وفي لغتنا التجارية التصدير للبضاعة ويقابلها الاستيراد ، ولكن التونسيين يعدلون عن الاستيراد إلى التوريد ° قال ابن سيده تورده واستورده كوردة °

وتقرأ في هذا الباب قولهم « وردت الحكومة البضائع إلى نبتة صلوحتها » (للاستهلاك) ويريدون بالصلوية الصلاح ، والمصدر من (صلح) صلاح وصلاح وليس من حاجة إلى المصدر الصناعي « صلوحية » ، لأن هذا المصدر أكثر ما يلتجأ إليه في المصطلح الفني °

وهناك الفاظ ذات مدلولات تونسية اصطلاحية غير معروفة عند المشارقة مثلاً ومنها : « الترbus » ويراد به ما يراد بالكلمة الفرنسية stage وما يصطلح عليه « بالدورة التدريبية لاكتساب الخبرة والتجربة في فن من الفنون ° وليس من سبيل إلى استعارة « الترbus » في هذا المعنى إلا بالتوسيع بعيد ° ومثل هذا المصطلح : « المناظرة » بمعنى الاختبار والامتحان للحصول على السابق في النتيجة وفي هذا مجاوزة وابتعاد عن الامتحان والاختبار اللذين يراد بهما النجاح ليس غير ° على أن في أخبار الأدب القديم ما يشبه استعمال التونسيين لهذه الكلمة كالمؤشرة بين الكسائي وسيويه مثلاً °

وتقرأ في الصحف التونسية « السلم العالمية » و « استبنت السلم » وهو خلاف المشهور من تذكير السلم في لغة المشارقة وكتب اللغة تشير إلى جواز

هذا الاستعمال فقد جاء في لسان العرب السلم بفتح السين وكسرها : الصلح يذكر ويؤنث . وقد وردت هذه الكلمة في لغة التزييل فجاءت بكسر السين في سورة البقرة كما جاءت بفتح السين في سورة الانفال « وان جنحوا للسلم فاجنح لها » وقد جاء ضمير الغيبة الذي يعود للسلم مؤقتا في هذه الآية . كما جاءت بفتح السين واللام في اربع لغات اخرى في سور مختلفة . وترى التونسيين يستعملون الفاظا لا نجدها في استعمالنا المشرقي ولكنها فصيحة تثبتها معجمات العربية فانت تقرأ في صحيفة من صحفهم : ان التاجر الفلاني يزف البشرى الى (حرفاته) والحرفاء جمع حريف وحريف الرجل معامله في حرقه . والحريف يقابل الزبون في لغة المشارقة وجمعت على زبائن كما هو الدارج المأثور واستعارة الزبون لهذا المعنى شيء مولد ، وكتب اللغة لا تثبت هذه الدلالة فالناقة الزبون وهي التي تدفع حالها . والفصيح القديم كثير في اللغة التونسية فهم يطلقون (الشارع) على الطريق الضيق الواسع (والنهر) على الطريق الذي دونه و (الزنقة) على الطريق الضيق الذي لا ينفذ (Impasse) واكبر الظن ان هذه الكلمة الاخيرة تقابل الزقاق في استعمالنا وهي قريبة منها في الاشتقاء . والزنقة بضم الزاي السكمة يذكر ويؤنث وقيل الزنقة الطريق الضيق دون السكة على ان (الزنقة) قد وردت في فصيح العربية وهي ميل في جدار في سكة او عرقوب واد ، والزنقة السكمة الضيقة وفي حديث عثمان من يشتري هذه الزنقة فيزيدها في المسجد .

ويستعملون (الاحواز) جمع حوز للدلالة على الجهات القريبة من المدينة الكبيرة كما نستعمل (الضواحي) او (الارباض) او ما شابه ذلك فيقولون مثلا (تونس والاحواز) يريدون العاصمة وما جاورها . والحوز في كتب اللغة ما انضم الى الدار من المرافق ، والمنافع وفي الحديث : فحمى (حوزة الاسلام) أي حدوده ونواحيه . وهكذا

استعملت الكلمة التونسية بشيء من التوسيع للاستفادة منها في هذه الدلالة الجديدة . وفي التنظيمات الادارية تجد ان المدينة الكبيرة يطلق عليها « الولاية » وصاحب الولاية « هو الوالي » والولاية والوالى من الكلمات التي استعملت قديما وظلتا مستعملتين الى العهود القريبة الماضية وكان على الولاية قبل فترة الاستقلال « القائد » ويأتي بعد الولاية في التنظيم الاداري (المعتمدية) وهي اصغر من الولاية ومعنى ذلك ان الولاية يتبعها — (معتمديات) عدة ، وصاحب المعتمدية هو (المعتمد) وهذا من المصطلح الجديد الذي لا نراه في غير تونس وكان على هذه الشعبة من التنظيمات الادارية في عهد الحماية التونسية (الكافية) ثم تأتي (المشيخة) للقصبة الصغيرة وصاحبها هو الشيخ . وقد تسمع في تونس وغيرها من الشمالي الافريقي الفاظا في هذا الباب لا تعرف لها اصلا ومن ذلك : « اندشة » للجماعة الصغيرة المستوطنة في مكان معين وهي لا تدخل في التنظيمات الادارية الرسمية ومثلها « المداشر » في المعنى نفسه للمجتمعات الصغيرة . ومن المناسب ان نعرض للالفاظ المتعلقة (بالوظيف الحكومي) ونقول الوظيفي الحكومي وليس الوظائف الحكومية كما هو المسموع عادة . وفي هذا الباب مادة كثيرة لم نعرفها في غير أقطار الشمال الافريقي بصورة خاصة ولا بد ان تأتي على هذا الجانب من هذه المادة المغوية وهو :

- ١ - مدير المراسيم لرئيس الجمهورية هو الموظف الكبير الذي يكلف امورا معينة كاستقبال ضيف كبير او ما اشبه ذلك وهي تقابل عندنا مدير التشريفات او شيئا يشبه ذلك .
- ٢ - كاتب الدولة وهو منصب معروف في تونس و (كاتب الدولة) عندهم هو (الوزير) عندنا . لأنهم عدلوا عن الوزير وهو كلمة واحدة الى هذا التركيب الاضافي تقليدا وترجمة للكلمة الفرنسية في هذا الباب (Secretaire d'Etat) وعلى هذا الاساس ايضا لم تكن لفظة الوزارة

في جداول مناصبهم الرسمية فهي (كتابة الدولة للتربية القومية) °
وأود أن انبه الى ان الوصف بكلمة (القومية) أو (القومي) ورد
كثيرا في اسماء الادارات الرسمية وشبه الرسمية نحو (الصندوق
القومي للضمان الاجتماعي) ° و (الجامعة القومية لاتحاد النقابات)
وهذا الوصف لا يرمي الى شيء من معناه المتعارف عندنا من الديار
الشرقية فهو مقابل للكلمة الفرنسية (National)

٣ - كتابة الدولة للفلاحة ، والفلاحة عندهم هي (الزراعة) في الميادين
الرسمية وفي اللغة العامة ، و (الفلاح) عند التونسيين هو غير
العامل في الارض كما هي الحال عندنا ، فهو المالك للارض والمتتفع
منها المستثمر لها فلا يقولون : (زارع) او (زراع) او كما نقول
في استعمالنا الشائع اليوم (مزارع) وهكذا جاءت (افلاحة) في
كثير من مصادرهم التاريخية القديمة وقد استعمل ابن خلدون في
المقدمة (الفلاحة) ولم يستعمل (الزراعة) مثلا °

٤ - (مصلحة الاستخلاص) نجد لفظة (الاستخلاص) مستعملة كثيرا
لغرض فني فالمراد بها (الاستحصال) للرسوم والضرائب مثلا ، كان
تقرأ (استخلاص الاداءات القارة) وقد تقرأ (قباضات الاداءات
القارة) و (القباضة) تعني المكان الذي تسلم فيه (الاداءات)
والاداءات هي (الضرائب) التي يجب ادائوها ، أما (القارة) فقد
مررت بنا واسلفنا الكلام عليها ° وقد تكون « القباضة » الادارة التي
يسسلم منها الموظفون مرتباتهم الشهرية °

٥ - (المكتب الجهوي لجراحة التقاعد) والمراد (بالمكتب الجهوي)
المكتب الذي ترجع اليه شؤون الجهات والاقاليم غير العاصمة وقد
يطلق على هذه (الجهات) (الافق) كما يقال : فلان من محامي
الافق) أي مختلف الجهات ما خلا العاصمة °

(والجهوي) نسبة الى (جهة) . وهذه النسبة غير معروفة في الفصيح المشهور فكأنهم ردوا الى الكلمة المحنوقة وهو الواو ، والفصيح فيها عدم رد المحنوقة اذا كان المحنوقة فاء لا لاما فانسبة الى (عدة) (عدي) ومثل هذا التجاوز مانرى من النسبة الى (وحدة) في ايامنا هذه فيقولون : (فلان وحدوي) أي من انصار (الوحدة) للوحدة بين الدول العربية ، وزيادة الواو قبل ياء اتنسب لم تجر على الوجه الصحيح ، والفصيح هو (وحدي) أما (الجرائية) فهي المصطلح الذي لم يشع في عصرنا فهو المعين المرسوم من نقد او عين .

٦ - (القائم العام) وهو ما يقابلها في الفرنسية *Surveillant general* وهو مسؤول في المدارس الثانوية عن النظام وعن أمور اخرى وهو يساعد ناظر المدرسة في ذلك .

٧ - (المتفقد) هو ما يقابل عندنا (المفتش) وعندهم متفقد التعليم الثانوي ومثله للتعليم الابتدائي وغير ذلك مما يمس دائرة التفتيش في مجالات عدة .

٨ - (الحجرة التجارية للحاضرة) وقد عدلوا عن (الغرفة) التي يستعملها اهل المشرق في هذا الامر . وما اظهراهم ارادوا التمييز بين الحجرة والغرفة من حيث الاصطلاح اللغوي . (والحاضرة) عندهم هي مدينة تونس دون سائر المدن الاخرى فإذا اطلقت عليهم المراد من لفظة (الحاضرة) ولم يختلط الامر بالحواضر الاخرى .

٩ - (الرائد الرسمي) وهي الجريدة الرسمية سميت بهذا الاسم تميزا لها من كونها تختلف عن الجرائد الاخرى .

١٠ - (الصباغي) وهو من اعوان الوالي يقوم بشؤون الوالي نحو سجن الموقوفين او غير ذلك .

١١ - (المطلب) ويقابل (العريضة أو الطلب) عند أهل المشرق وربما كان من اثر الترجمة من الفرنسية فهو (Demande) وهم يقولون مثلا : (على المترشحين للمدارس الثانوية ان يعمروا المطالب الضرورية) ولفظ (التعمير) يقابل (التحرير) عندنا وهذا شيء لا نعرفه من معنى التعمير ٠

الألقاب العسكرية

ما زالت هذه الألقاب تحفل بالدخل الاجنبي من تركي قديم الى فرنسي جاء به الحكم الاستعماري ٠ ومن ذلك مثلا (الشاوش) و (البانش شاوش) و (الامير الاي) ٠ (والسيوزبashi) و (القائم مقام) و (الكوميسار) وغير ذلك ٠

مصطلحات الجامع الاعظم

(هو جامع الزيتونة) الشهير في التاريخ التونسي وهو صفة من الصفحات المشرقة ، والمعهد الاول لتونس ٠ ولهذا المعهد مصطلحاته وألقابه فندهم :

١ - (الشيخ) ويطلق على خريج الجامع الاعظم وعلى من يباشر التدريس فيه ٠

٢ - (الاهلية) وهي شهادة الدراسة الابتدائية في المعهد ٠

٣ - (التحصيل) وهي شهادة الدراسة الثانوية وتقابل البكلوريا ٠

٤ - (العلمية) وهي شهادة الدراسة العالية وتقابل الليسانس في الانظمة الحديثة ٠

المصطلحات القضائية

للتونسيين مصطلحات خاصة بهم في هذا الباب لابد من تسجيلها ومن ذلك :

١ - (محكمة التعقيب) التي يطلق عليها في جهات عدة من الشرق (محكمة التمييز) او (محكمة النقض والابرام) كما في مصر .

Le Tribunal correctionnel

٢ - (سابقية الاضمار) من الالفاظ الاصطلاحية في القضاء التونسي ويعادلها (سبق الاصرار) في اللغة القضائية في المشرق العربي .

٤ - (تهمة التمعش بالخنا) ويراد بالتمعش الاحتراف أي العيش بالخنا وفي صوغ هذا المصدر توهם بأصالة الميم مع حذف الياء . وقد جاءت الميم من المصدر (معيشة) ولا نعرف لهذا التوهם وجها ولم يستعمل الا في هذه القرارات القضائية التونسية ، والعربيه في غنى من الواقع في هذا الدرك .

٥ - (التدليس) وهذا من الالفاظ التي ترد في الاحكام التونسية كأن يقال : (حكم على فلان بجريمة (التدليس) في الشهادة او (التدليس) في الحساب مثلا ، والمراد بالتدليس هنا (التزوير) الذي يشيع في اللغة القضائية في المشرق واستعمال التدليس فصح قديم في هذا الباب والذي نعرفه ان من كتب ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ رسالة في (طبقات المدلسين المسماى تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس) .

٦ - ويقولون مثلا : (تركبت الهيئة العليا للمحكمة من ستة اعضاء) واستخدام التركيب في هذه الجملة مما لم تألفه نحن المشارفة ذلك اتنا نقول (تألفت الهيئة العليا) .

٧ - ومن هذه المادة ما نقرؤه في الصحف من الاعلانات ، ومن ذلك (يعلن السيد ٠٠٠ ان بنته كراء مخزنين على ملك احد المعمرين ستم يوم الجمعة ٢٠ فبروي) . وفي هذه الفقرة نعرف ان (مناقصة) باصطلاحنا المشرقي لا يجاري مخزنين ستنتهي في التاريخ

المذكور ، ثم ان المخزنين (على ملك احد المعمرين) أي ان المالك
لهم احد المعمرين والمعمرون هم Les Colons في الفرنسية أي الفرنسيون
الذين استوطنوا تونس فعمروا لأنفسهم المزارع الكبيرة والمتجرة
الضخمة .

الأسلوب المترجم في اللغة التونسية

تأثرت العربية التونسية الحديثة بالأساليب الفرنسية في التعبير ولم
تكن العربية التونسية بداعاً في هذا التأثر ، ذلك ان العربية الحديثة بصورة
عامة قد اكتسبت شيئاً نتيجة هذا الأسلوب المترجم .

وهذه الترجمة تبدو بوضوح في لغة الخبر السياسي الذي سمعه من
المذيع وفي كثير من الأساليب الصحفية .

فإذا أصفيت الى المذيع التونسي وحان وقت اذاعة الاخبار سمعت
المذيع يقول : والآن تستمعون الى الجريدة الناطقة . ويريد بالجريدة
الناطقة (نشرة الاخبار) والجريدة الناطقة نقل للتعبير الفرنسي .

ثم نسمع في هذه الاخبار ان (الجندي الفرنسي قد اعتدى على اتراب
التونسي) ويراد (بالتراب) الارض التونسية أي ان الاعتداء قد حدث في
الارض التونسية . واستعمال (التراب) مقابل للتعبير الفرنسي *Territoire*
وفي هذه الاخبار ايضاً : (ان الرئيس قد قام بمسعى لفائدة السلم
الجزائري واستعمالهم (لفائدة السلم) يريدون به (من أجل السلم) ومجيء
الفائدة جاء من ترجمة للفرنسية

ثم تسمع المذيع يقول : (اتصل الرئيس ببرقيات من طرف تعااضديات
لل فلاحين والصناعية . . .) واستعمال الفعل (اتصل) على هذا النحو شائع
في اللغة التونسية وربما كان لترجمة عن الفرنسية . ثم ان استعمالهم
(من طرف) ويريدون به (من لدن) او (من قبل) كان نقالاً للتعبير
الفرنسي de la part de la coopérative tunisienne مقابل لـ

وهي التعاونية في اصطلاحنا . اما الصنائية فهي جمع يريدون به الصناع
وهذا الجمع لم نسمعه في غير تونس من اقطار العربية .

ثم تسمع ايضا ان (الوزير قد قابل طائفة من الاطارات الحزبية)
فستغرب كلمة (الاطارات) وتراءاها جديدة على سمعك ولم تدر انها ترجمة
للتعبير الفرنسي *cadres* ونقطة *Cadre* تعني الاطار في معناه الحسي وهي
الاداة المعروفة . ولكن الفرنسيين يتسعون في دلالته فينقلونه مجازا الى معنى
آخر ويريدون به الافراد المتعلمين الفنيين الذين يؤلفون العناصر الضرورية
في التنظيمات الاجتماعية بصورة عامة وهكذا فان التونسي ينقل اللقطة
الفرنسية فيجد اللقطة المقابلة لها في العربية في معناها الحسي . ولا يكتفى
بذلك بل يتسع في هذه العربية على طريقة المجاز كتوسيع الفرنسيون في
لقطتهم وهذا شيء لا تسيفه العربية كثيرا فلكل امة مجازاتها وطرقها
الخاصة في التعبير .

ومن هذا الاسلوب المترجم جاء في العربية قولهم (كونغولي) و
(طوغولي) في النسبة الى (الكونغو) والى (الطوغو) من اقطار الافريقية .
واللام في هاتين النسبتين ليست جارية على قواعد النسب العربية فهي زائدة ،
وهي غريبة ، وهي من الفرنسية . ومثل هذه النسبة استعمالهم (الكترونية)
في قولهم (الآت الكترونية) فالكاف الثانية في الكلمة من *Electronic*
الفرنسية في وال الصحيح ان تكون الكلمة في العربية من دون الكاف الاخرة
التي جاء بها في الفرنسية للوصف الذي هو مثل النسب في افادته للوصفي
فيقال (آلات الكترونية) .

ومن هذا الاسلوب المترجم استعمالهم للظرف (أين) في غير
الاستفهام مثلا (سيقام الاحتفال في بطحاء الحكومة اين يخطب الرئيس) .
وال صحيح ان يستعمل الظرف (حيث) ولكنهم تأثروا بالظرف المستقبل
في الفرنسية في مثل هذه الحال وهو *Où*

ما يتعلّق بالزراعة والنبات من الألفاظ

نلمح في هذا المجال مادة لغوية خاصة جديرة بالتسجيل والنظر ، ذلك ان تونس بلد زراعي يعتمد على الزراعة الاعتماد الكلي ٠

فمن هذه المادة اللغوية ما تعلق بالأرض المزروعة فالارض الكبيرة المعدة للزرع يسمونها (هنشير) ولا نعرف في مواد العربية شيئاً من هذا ٠

وربما كانت الكلمة من المخلفات اللغوية القديمة فقد حفل التاريخ التونسي بلغات عدّة كاً لرومانيّة وفينيقية واللهجات البربرية ٠ وقد حدثني العالم الجليل السيد حسن حسني عبد الوهاب ان الكلمة كانت تطلق على الواقع التي هي مكان للعاديات والنفائس العتيقة ثم استعملت الاستعمال الاخير الشائع ٠

ويسمون الأرض المعدة للزرع والتي تسقى من بئر تنصب عليها واسطة لا يصال الماء (السانية) وهذه الكلمة ذات أصل فصيح فالسانية في معجمات اللغة الغرب وأداته ٠ والسانية الناضجة وهي الناقة التي يستقي عليها ٠ وفي المثل سير السواني سفر لا ينقطع ٠ وعن الليث : المانية وجمعها السواني ما يستقي عليه الزرع ، والحيوان من بعير وغيره ٠ وقد سنت السانية سنوا سنوا اذا استقت ٠ وها نحن نرى ان السانية الغرب وأداته ثم توسيع فيها في فصيح العربية فصارت تطلق على الحيوان الذي يستقي به ، ثم توسيع التونسيون فيها فصاروا يطلقونها على الأرض التي تسقى بهذه الطريقة ٠

ومن هذه لفظة (الكرد) في العراق وهي مادة غير عربية ومعناها الآداة التي تنصب على بئر أو حفرة يجتمع فيها الماء الذي مصدره النهر ثم يستعلن بالحيوان على ادارة عجلة هذه الآداة فيرمي بالماء في أوعية مربوطة بالعجلة ٠ أقول توسيع في مدلول هذه الكلمة فأطلق (الكرد) أو (الكرود) بصيغة الجمع على الأرض التي تسقى بهذه الطريقة ثم صار المشتغلون بهذه الأرض (كراده) على صيغة المبالغة ٠

ويزرع التونسيون (الزيتون) وقد اشتهرت تونس بزيتونها
منذ أقدم العصور . وفي تونس من اصول الزيتون ما يرجع الى عدة قرون وهم
يسمون ما يظهر منه من دون ان يتعهد الانسان بالزراعة (الجالي) والمادة
عربية فصيحة ولكننا لا نعرف هذا الاستعمال في مدلولات الكلمة الفصيحة .
ويسمون حاصل الزيتون (الصابة) وربما كانت ما يصييه الفلاح
من هذا الشجر المبارك .

واشتهرت تونس في كونها تنتج الفواكه الحمضية كالليمون والبرتقال
وغيره وهذه الشمار تدعى (الحوامض) في الديار الشامية والعراقية ويدعوها
المصريون (الموالح) أما التونسيون فيسمونها (القوارص) وهي المصطلح
العلمي والتجاري عندهم على ان لفظ (القارص) يطلقونه على الليمون
الحامض citron دون غيره . أما الليمون الحلو فيسمونه (الليم) .
ومن فاكهتهم (العوينة) لما يدعى بالفرنسية prunnes على ان التونسيين
قلما يستعملون لفظ (الفاكهة) أو الفواكه وانما يعدلون عنها الى (الغلة)
او (الغالال) بصيغة الجمع ، فإذا قيل عصير الغلال فلمراد به عصير الفواكه
وانصراف (الغلة) الى هذا المعنى استعمال تونسيي وتخصيص للكلمة
 بشيء دون غيره وحقيقة (الغلة) في كتب اللغة : الدخل الذي يحصل
من الزراعة والثمر واللبن والاجارة والنتائج ونحو ذلك وجمعها (غلات)
وفلان يغل على عياله أي يأتيهم بالغلة .

ومن الملاحظ ان (الفاكهة) عندهم قد تصرف الى ما يجفف من
أصناف الفاكهة . ومن أسماء (التين) عندهم (الكرموس) أو (الشريحة)
ولا نعرف لذلك وجها .

ومن أصناف الفاكهة ما يدعونه (بوصاع) لما يسميه الشاميون
(ايكي دنيا) و (ويني دنيا) .

أما الخضروات Legumes فيها شيء آخر خاص بهم ومن ذلك «القناطرية»

لما يدعى بالفرنسية Artichaut ولم يثبت P.J. Bellot هذه الكلمة في معجمه الصغير الفرنسي العربي واكتفوا بذكر (شوكى أو أرضي) ولا أدرى من اين جاء بهذه الاسمين ولعله اخذهما مما هو مستعمل في لبنان وقد فاته ان الخفاجي في (شفاء الغليل) قد ذكره وعده من الدخيل ولم ينص على أصله الذي جاء منه . قال الشهاب الخفاجي : القذارية هو بالغرب نوع من الحس و منه نوع يسمى (الخرف) وحسن الكلب والكنكر قال ابن المعتر : -

وقد بدت فيها ثمار انكناكر لأنها جمامج من عنبر
على ان التونسيين لا يلفظونها بالقاف بل بالكاف الشديدة على نحو
ما ينطق المصريون بالجيم .

ومن خضر واتهم (السفنارية) ويريدون بها الجزر ومنها (الجلبان)
بكسر الجيم وهي ما نوعوه (بالبزايا) أو ما يدعى بالفرنسية Petit Pois
والكلمة ذات أصل فصيح وان تغيرت صورتها فالجلبان بضم العجمي واللام
مع تشديد اللام نوع من القطاني . قال أبو حنيفة : لم أسمعه من الاعراب
 الا بالتشديد وما أكثر ما يخففه قال : ولعل التخفيف لغة .

ويسمون القثاء او الخيار (فقوسا) و (الفقوس) من اسمائهم المحلية
الشائعة في كثير من أقاليم الشمال الافريقي .

اما (البامية) المعروفة في المشرق فلها اسم غريب عند التونسيين
لا يعرفون غيره هو (القناوية) بتشدید النون .

ويطلق التونسيون على بعض (الحيوان) اسماء لم اهتد الى اصولها
اللغوية فالخرف الصغير يدعونه (علوش) بتشدید اللام وهم ينطقون
بالواو كما ينطق الحرف اللاتيني

ومن ذلك (العتروس) للعنز ، و (السردوڭ) للديك و (الحلوف)
للحذزير .

الرأي والنقد الأدبي

حضرني إلى الكتابة في هذا الموضوع تعليق نشرته مجلة «الفكر»^(١) على مقالة نشرتها في مجلة [الأديب العراقي] عنوانها [امارة للشعر وأمير للشعراء] ، وأمير الشعراء في هذه المقالة هو الشاذلي خزنهدار من شعراء تونس الكبار . وقد عرضت في هذه المقالة لشعر الشاعر وقلت فيما قلت : انه لم يبلغ من روعة الشعر ومستوى الابداع ما يجوز به مبايعته أميرا للشعراء ، ولم يأت منه الارصف القواني بعضها الى بعض ٠٠٠٠٠ » وقد قلت ان اخواننا التونسيين لا يؤمنون بالقول المشهور : « منا أمير ومنكم أمير » و كانوا يرون في انفسهم الوجه البارز المبر عن أفريقيا الشمالية ، وربما ارادوا ان يقولون للمشارقة : انتا مثلكم او خير منكم ٠

وقد بويع هذا الشاعر الأمير على هذه الامارة كما بويع آخر له من قبل ، ذلك هو أحمد شوقي أمير الشعراء المشارقة . أما صاحبنا الشاذلي خزنه دار فقد بايعه مواطنه التونسيون وفيهم شاعر القيروان محمد الفائز . ولا أدرى كيف خلص الاستاذ رئيس تحرير «الفكر» إلى قوله : اني أتهم التونسيين بالغرور والصلف والظهور بالسبق في كل المجالات . وأنا أريد أن ادفع هذه التهمة ، ومعاذ الله أن أرمي قوماً بالذى جاء على صفحات المجلة أو أغمزهم بشيء لا يرضونه وقد لست فيهم بالخير والفضل ، وكيف أتهمهم بمثل ذلك وقد خبرتهم فوجدت فيهم الصديق الكريم والسيد الوفي والعالم الجليل ٠

وقد أبى المعلم الفاضل ان تسب مبايعة الفائز القيرواني إلى شيء من التملق والتزلف « وفاء لروح الشاعر الصادق الرفيق محمد الفائز الذي

(١) مجلة الفكر العدد الخامس ١٩٦٣

لم يعرف عنه انه كان ميلاد للتملق والتزلف ،
اما اذَا فساعود الى شعر السيد خزنه دار ليقف انقاريء على قيمته افنية
وعلى قيمة مبایعة شاعر انقironان اياه بالامارة .

ولابد من التوجه بالشكر للسيد رئيس تحرير «الفكر» الذي حفظته
مقالاتي فعلى خدمته للتاريخ ، ووفاء للنقد الادبي ، وأشهد اني قد
افدت منه فصحيحة من وهم دفعت اليه فنسبت الشاعر الى زمرة الوزراء
ولم يكن له اأن عرف هذا المنصب .. ولكنه على اى حال من طبة عليا
ومن ارومة عليه تصل به الى الملاك وان لم يبعده مقام هذا البيت عن
الانغماس في صفوف الشعب .

وكان السيد المعلق لم ترضه الاحكام التي وردت في مقاتتي في حق
امير لشقراء الخضراء فمضى يقول : « فما رأي الاساتذة : الفاضل بن
عاشور وزين العابدين السنوسى والصادق مازيع ومحمد الحليوى والهادى
انجعى ومصطفى خريف والهادى العamerى وعثمان الكعاك .

وانا أريد ان أشرك هذه الزمرة الفاضلة في الذي سأعرضه من شعر
الشاعر ولكنني استثنى من هؤلاء السيد العامرى الذى طلع علينا في العدد
السادس من مجلة الفكر لهذا العام بمقالة عنوانها « امير شعراء الخضراء
الشاذلى خزنه دار » استجابة لنداء المجلة في عددها السابق . وكأنى به قد
أمسك بالقلم والغضب قد ملك عليه كل شيء على هذا [التجني والكذب]
الذى لحق بأمير شعراء الخضراء فلم يشأ الا ان يغمس هذا القلم في الخل
فيزعم انى كتبت ما كتبت عن قصد شيء ، ولا ادرى كيف جوز لنفسه
هذا الزعم الباطل .

وقد سرت بادئ ذي بدء بنداء المجلة في العدد السابق واستطلاعها
آراء السادة الافاضل ، حتى اذا طلع العدد القابل ورأيت السيد العامرى
مستجيما للنداء توقيع الخير وظننت انه سيصحح خطأ ويرأب صدعا وأن

له من اصوله ومواده وأدواته ما يعين على بلوغ هذه الغاية فقرأت المقالة آملاً أن أجده فيها نماذج تغير من رأيي في شعر الشاعر الذي بيته في المجلة العراقية ، ولكنني لم أجده شيئاً من ذلك وأنا آسف أشد الأسف . وسأعرض للموضوع كله ذاكراً النماذج التي اعتمدتها أنا والتي اقتبستها من كتاب «الادب التونسي في القرن الرابع عشر »^(٢) للسيد زين العابدين السنوسي أحد السادة الذين استطاعت «الفكر» رأيهم فيما قلت في شاعر الخضراء الامير، كما سأعرض لنماذج السيد العامری لأطلع هؤلاء السادة الأكرمين ، ولأطلع جمهرة القراء الذين يعرفون الشعر فيقدرون قدره ، على القيمة « الفنية » لادب الشاعر الامير . وأنا آسف أيضاً ألا تكون مقالة السيد العامری قد خدمت النقد الأدبي بقدر ما أرضت هوی وعاطفة فدفعت تجنياً لحق بالأدب التونسي كما توهם السيد العامری في مقالته الغاضبة ٠

وانت ايها القارئ ربما تعجب من عنوان مقالتي هذه فأقول لك : انت معاشر العرب مشارقة ومغاربة مازلنا نعاني هذه الاقليمية ، هي اقليمية تطفى على أحکامنا في السياسة والمجتمع والأدب ، وليس من غايتي ان اتكلم في السياسة والمجتمع فلم أتهيأ لذلك ، ولكنني أريد أن أشير الى هذه الاقليمية التي تسود النقد الأدبي فيما نصدر من أحکام ، فما زلنا نلصق النوعوت المجلحة والألقاب المدوية بشعرائنا فهذا شاعر العرب الكبير ، وهذا شاعر القطرين ، وهذا شاعر العراق الأكبر ، وهذا أمير الشعراء ، وهذا شاعر النيل . وانت تعرف ان هذه النوعوت لم تخدم النقد في شيء ، وأن كثيراً من أدب هؤلاء لا يرقى عن مستوى الرصف الذي تقتضيه مناسبة عابرة ، يفتقر الى القيمة الفنية افتقاراً أصيلاً كما يقول النحاة، ولا يحتفظ الا بالفائدة التاريخية . وبعد أليس هذا من دواعي هذه الاقليمية الضيقة . ولنعد الى

(٢) الادب التونسي في القرن الرابع عشر لزين العابدين السنوسي

أمير الشعراء وشعره لنقول فيه الكلمة الأخيرة معتمدين على مختارات السيد السنوسي والمختارات التي جاء بها السيد العامري ٠

أما مختارات السيد السنوسي فمنها قصيدة عنوانها «الحر»^(٣) فلتسمعه

يقول :

فعليك خصمك اممٌ ويحك تتقى
« ان البلاء موكل بالمنطق
شلت يد تمتد للمتصدق
ما تلتك الا شيمة المتملق
من ظلٍ من ماء المهانة يستقي
ممن يراك بنظرة المتفوق
منا كأننا في الورى لم تُحلق

الحر من لا يستكين لمرهق
واصدع بحقك في الأباء ولا تقل
فلى م تستجدي وحقك بين
تبأً لمن ألف العخو لغاشم
أولى وأحرى أن يبيت على ظما
فيسم احتمالك والكوارث جمة
جسمٌ وعميٌ ساخرين تطاولاً

وعلى هذا النحو يستمر الشاعر في هذا النظام الذي تعوزه وحدة البناء والاتساق بين المعاني بحيث تأتي وكأنها قد افرغت في وحدة متماسكة ، ولكن الشاعر يملك شيئاً من الافكار العامة يوزعه على عدة هذه الابيات فيلتزم طابع الموعظة واسلوب النصيحة ، وما أظن أن في ذلك شيئاً يمس الفن الرفيع ٠ وارسال الفكرة على هذا النحو شيء يعرض للنظمتين فضلاً عن الشعراء المبدعين ٠

ثم إنك اذا فحصت القصيدة بيتاً بيتاً وجدتها تفتقر الى عناية في البناء ، والا فهل لك أن تسيغ بناء هذا البيت :

أولى وأحرى أن يبيت على ظما من ظل من ماء المهانة يستقي
وأنا أسائل هؤلاء السادة الذين استطاعت الفكر رأيهم ليقولوا ان
كانت هذه القصيدة من شعر أمير للشعراء ام من النظم الذي لا يرقى
بصاحبها الا الى رتبة النظمتين ٠

ثم تعال معي أيها القارئ لنستمع الى قصيدة الشاعر « نداء » التي

يقول فيها :

نادت بينها الديار بالله أين المصير
هذا على يغـار وذا على يغـير

: ① :

التونسي بـُنيـ لـكـنـماـ ذوـ الغـيـ
أـضـحـىـ بـحـقـيـ يـنـادـيـ رـآـهـ أـعـسـدـيـ الـاعـذـيـ
يـقـولـ هـذـيـ بـلـادـيـ حـيـثـ اـغـتـدـيـ فـيـ الـحـيـ
وـحـقـ هـذـاـ الأـبـيـ قـامـتـ بـهـ الـآـنـارـ

الـذـيـهـاـ تـشـيرـ

: ② :

من يـرـقـضـيـ بـالـدـنـاـيـاـ لمـ يـفـتـكـرـ بـالـمـعـاـيـاـ
عشـ سـيدـاـ فيـ الـبـرـاـيـاـ معـزـزاـ بـالـرـجـالـ
كمـ فـيـ الزـواـيـاـ خـبـاـيـاـ فـانـهـضـ بـهـاـ فـيـ الـحـالـ
وـخـضـ غـمـارـ المـنـاـيـاـ فـمـاـ هـيـ الـأـعـمـارـ
وـهـلـ لـهـاـ تـأـثـيرـ

كـنـ مـؤـمـنـاـ بـالـلـهـ لاـ مـؤـمـنـاـ جـفـرـاـفـيـ
فـيـ يـقـظـةـ وـاتـبـاهـ كـالـسـادـةـ الـأـسـلـافـ
ماـ فـيـ اـرـتـكـابـ الـمـنـاهـيـ كـالـسـادـةـ الـأـسـلـافـ
الـأـكـبـارـ الدـوـاهـيـ الـكـبـارـ
وـالـانـدـهـارـ الـكـبـيرـ

إـدـأـبـ عـلـيـهـ وـطـالـبـ بهـ الـخـصـومـ الـأـلـدـاـ
لـمـ تـأـتـ - وـالـلـهـ غـالـبـ - يـاـ صـاحـبـ الـحـقـ إـدـأـبـ
لـاـ سـلـبـ يـبـقـيـ لـسـالـبـ مـهـمـاـ طـغـيـ وـتـعـدـيـ

كَنْ بِالْعَزِيمَةِ جَابَ مَا تَبَغِيهِ الْسَّدِير
فَأَنْتَ فِيهَا الْخَبِير

تقراً هذه القصيدة في افكارها الوطنية فلا تحس الحماس المتقد ، ولا
 تستطلع زحمة الصور الشعرية التي تترجم هذا الحماس ، وانما نرى تماما
 ياردا ينداح على هذا النمط الحكائي في سرد الافكار التي تشغل باه
 العامة ، والتي يتحدثون بها سحابة يومهم في زمن طفى فيه المستعمر أيا
 طغيان .

تقراً هذه القصيدة فلا تلتمس فيها ماء ولا رواء كما يقول النقاد
 الاقدمون ولكنك لا تعدم أن تجد عنایة في الترصف ، ألا ترى أن الصدور
 قد بنيت على قواف متسقة كما بنيت الأعجاز على شيء من ذلك .
 على أن في هذه العنایة ما يذكر بأساليب المؤاخرين من شعراء الفترة
 المظلمة . انظر الى قوله :

هذا على يغار وذا على يغير

تدرك هذه العنایة المفضوحة في « الغيرة » و « الاغارة » . وهذا
 والتجانس لم يحدث عن غير قصد .

ومن هذه العنایة على نحو ما جاء في شعر المؤاخرين قوله :

ما في ارتکاب المناهي ما بين باد و خاف
 الا كبار الدواهي الا الدواهي الكبار

قوله « الاكباد الدواهي » ثم اعادته العبارة نفسها في العجز بالتللاعب
 في المضاف والمضاف اليه اسلوب مرذول مبتذل وهو من باب « رد العجز على
 الصدر » ثم ان استعماله « المناهي » لا يؤدي « المنهي عنه » فهو جمع
 « منهى » مثل « مسعى » والمراد هو زنة اسم المفعول ، وهو يبدأ اربعة

الآيات هذه بقوله :

كَنْ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ لَا مُؤْمِنًا جُغْرَافِي

وهو يريد « بالمؤمن الجغرافي » كما نلمسه في البيت ، المؤمن بالطبيعة والمنكر لله ، وما أرى أن استعماله « جغرافي » يسعفه في ترجمة هذه الفكرة .

ولا أريد أن اترك هذه المقطوعات قبل أن أشير إلى أن الشاعر قد نقل فيها شيئاً فيه مسحة من العامية الدارجة ، الاترى في قوله : « فما هي الأعمار وهل لها تأثير » شيئاً من هذا التأثير بالعامية في استعماله « وهل لها تأثير » .

ثم انظر إلى قوله :

إِدَابٌ عَلَيْهِ وَطَالِبٌ
لَمْ تَأْتِ - وَاللَّهُ غَالِبٌ -
بِالْخُصُومِ الْأَلْدَادِ
يَا صَاحِبَ الْحَقِّ إِدَابٌ

فقوله « والله غالب » عبارة تلوّكها ألسنة العامة كل يوم وإن كانت من مادة فصيحة وهذه العبارة يعرفها التونسيون دون سواهم .

ولست أرى وجهاً لمحاوزة الشاعر ، او قل أمير الشعراء للفصيح المشهور في قوله : (وطالب به الخصوم الألدا) فالالد صفة المفرد وهو الخصم ، أما الخصوم فينبغي أن توصف بالجمع ، فكان يلزم أن يقول « الخصوم اللد » جرياً على قوله تعالى : « وتنذر به قوماً لدا » فاللد بضم اللام جمع الألدا .

وماذا عسى السيد العامری أن يقول في هذه التجاوزات ! اهي هنات من حقها الالاذکر أم هي مراعاة اقتضانها الوزن ، وكيف لا يحاسب بعد أمير للشعراء في ارتكاب شيء من ذلك . هون عليك ايها القارئ ، - ولا تضيق ذرعاً فساطيل عليك لا وطنك على هذا النغم « الخزنه داري » .
يبكي الشاعر في قصيدة « ضحايا » المجاهدين الأبرار فيقول :

سبعاً بكتهم تونس الخضراء
 من تحت فكي حية رقطاء
 قتريه ماذا يفعل الشعراء
 ما ترتضيه الهمة القعسae
 الله تلئ النخوة العرباء

نبكي لفرقهم وهم أحiae
 ما كان في كفي الحسام وإنما
 أرسلتها حصباً على مقتالهم
 سأهز من قومي الذين بلوتهم
 عربية الاحساس في نخواتها

* * *

دعهم يريقوا يزهقوا يستنزفوا يقنوا يبدوا يفعلوا ما شاعوا
 في هذه الابيات يبكي ضحايا الوطن ، فال موضوع جليل ، وكان
 يستدعي من الشاعر قصيدة عامرة غير هذه الابيات ، يستوفي فيها ما
 تقتضيه هذه المناسبة الكريمة . غير ان الشاعر لم يستطع أن يتخلص من
 طريقته في ارسال الأفكار بصورة لم يمسها الفن تصويراً وخيالاً وعاطفة .
 نقرأ مطلع هذه المقطوعة فنجده مثلاً بتجاوز نحوي فقد قال « وهـم
 احياء » ثم جاء بالعدد على هيئة التذكير « سبعاً » وليس لنا أن نقول ان
 « سبع » تتبع « الضحايا » عنوان القصيدة ، ذلك ان عود العدد على المعدود
 القريب « نبكي لفرقة م وهم أحiae » .

قد تقول : هذا شيء هين ، وأنا أقول معك : انه هين لو تهـأ للشاعر
 ان يبلغ في مقطوعته شيئاً من الاجادة الفنية .

أقول : موضوع القصيدة جليل وخطير ، ولكن هذه الخطورة لم
 تنس الشاعر اللعب بالألفاظ ، ألا ترى الى الجمع بين « كـفي » و « فـكي »
 في البيت الثاني مما يذكرك بصناعة المؤاخرين المبتذلة . ومثل هذا قوله :
 عـربية الاحـساس في نـخواتـها الله تـلئـ النـخـوـةـ العـربـاءـ
 وهذه أيضاً صناعة مبتذلة ، ألا ترى الى التكرار في عجز البيت فهو
 يكاد يكون اعادة للصدر وهذا ما أسموه بالمرصود من القوافي . وماذا
 يقال في شاعر يحرص على هذه الألاغيـبـ الـبـديـعـيـةـ !

ثم انظر الى البيت الاخير :

دُعُّهُمْ يَرِيقُوا يُزْهَقُوا

• • • • • • •

ألا ترى ان « الاراقة » غير واقعة في حيز الطلب ، فلم تكن جواباً للفعل الامر « دع » وعلى هذا فليس من الحق ان تجزم كما توهم الشاعر . وأعود اليك - ايها القارئ - لأخبرك ان صاحبنا الأمير ممن عالجوا باب المعارضات وباب المعارضة تقليد محض ، فقد حلا له ان يعارض ابا نواس في خمريته المشهورة :

حامِ الْهَوَى تَعْبُ' يَسْتَخْفِهِ الطَّرَبُ'

كما عارضها أحمد شوقي وغيره ، أما قصيدة خزنadar فهي :

رَاحَةُ النَّهَى الْطَّرَبُ هَاتِهَا فَلَا عَجْبٌ

الْدَنَانُ مُتَرْعِّمٌ وَالْخَمُورُ تَنْسَكِبُ

وَالْكَوْسُ جَارِيَةٌ طَافَ فَوْقَهَا الْحَبْبُ

إلى آخر هذه القصيدة الطويلة التي لا تخرج عن اطار القديم في

• مبناتها

ويصف الشاعر واحدة من الانسيات من « بنات العفاف » فيقول :

بَيْنَ الْمَزَارِعِ وَالْحَقُولِ طَفَقَتْ بِمَفْرَدِهَا تَجُولُ

طُورًا عَلَى هَامِ الصَّبَخُورِ وَتَارَةً بَيْنَ السَّهُولِ

كَالظَّبَى فِي فَلَوَاتِهِ أَلْفَ التَّسْلُقِ وَالنَّزُولِ

فَرَنَتْ شَبْحِي رَنَوْ الظَّبَى بِالْطَّرْفِ الْكَحِيلِ

تقراً مطلع القصيدة فتجد استعماله « بمفردها » وما اظنك مستملحاً

لهذا الاستعمال ف و يريد أن يقول « وحدها » وهذه أخف وارشق ، ثم

تقراً هذه القصيدة الطويلة ، فترى الشاعر لم يخرج عن اسلوب القدماء

في التشبيهات وارسال المعانسي ، وأنا أحيلك على هذه القصيدة في كتاب

السيد السنوسي ولكنني لا اترك القصيدة دون أن أشير إلى البيت الأخير فيها وهو :

فلتهنأ الزوج ما اف ترنت بربات الحجول

وأظنه أراد « ربات الحجال » فالحجصال جمع حجلة ، هي قبة تضرب للنساء لها أزرار تشد عليهن ، كما جاء في احدى خطب أمير المؤمنين على بن أبي طالب : « يا أشباه الرجال ولارجال ، حلوم الأطفال ، وعقول ربات الحجال » . أما الحجول « فشيء غير هذا ، فهو جمجمة الحجل بكسر الحاء أو فتحها وهو الخلخال .

ويختتم السنوسي متنخباته بقصيدة في وصف « دقة » المدينة الرومانية العتيقة ، والقصيدة من جيد شعر الشاعر لما اشتملت عليه وصف رائع فهو يقول :

اطلال دقة والرسوم خوال ما للمبني الخواويات وما لي عبث الزمان بهما كما عبشت به فكلاهما في صدمة ونزلال
إلى آخر هذه القصيدة التي يأتي فيها على وصف معالمها التاريخية في تأمل حالقه الفن . وأعود الآن للسيد العامری الذي أشكر له نصيحة « بمراجعة بيان شعر أمير الشعراء الخضراء » فأقول له متلطفاً : إن النماذج الشعرية التي جاءت في مقاله لا تعين كثيراً على تغيير الحكم الذي أسلفته في شعر الشاعر .

ذكر السيد العامری^(٣) : أن شاعر الخضراء وأمير شعرائها قد عاش مرهقاً مبعداً محروماً من عطف الآيات ، فكان بمعرض عنهم وهو القريب منهم ، وغاية ما ناله على عهودهم (خطة وظيف ضابط شرفي) بالرغم عنه . فلم يتمالك عن الاصداع بالحقيقة فقال :

(٤) انظر مقالة السيد العامری عن أمير شعراء الخضراء في مجلة الفكر العدد السادس ٣ ، و ١

ما بينهم لكن بدون عساكر
وتحية جبراً أجل بالخاطر
لشفيت قلبك بالجواب الحاضر
حتى تراني خاجلاً من ناظري
كبرى وتصغر في عيون الباصر
هـا انتي بالرغم عنـي قائد
ما لي بـها الا الحسام علامـة
لو بت تسـألي على أحـوالها
قد كنت أحـمل ذلة لا خطـية
تلك النـجوم حـقيقة في نفسـها

يسوق السيد العامري هذه الأبيات على أن الشاعر لم ينله من جلال
البيت المالك النـعـم العـريـضـةـ ، وأـنـا أـقـرـ وأـعـتـرـفـ لـهـ بـذـلـكـ وـأـشـكـرـهـ عـلـىـ
تـصـحـيـحـ شـيـءـ مـاـ ذـهـبـتـ إـلـيـ ، وـلـكـنـيـ أـفـيدـ مـنـ الـأـبـيـاتـ فـائـدـةـ أـخـرىـ وـهـيـ
أـنـهـ لـيـسـ مـنـ شـعـرـ الشـاعـرـ النـفـيـسـ وـلـاـ تـقـومـ دـلـيـلاـ عـلـىـ اـنـ قـائـلـهـ صـاحـبـ
إـمـارـةـ بـيـنـ أـقـرـانـهـ عـلـىـ فـائـدـهـ التـأـريـخـيـةـ ٠

وهـاـ اـدـلـكـ عـلـىـ موـاضـعـ فـيـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ لـتـرـىـ أـنـهـ تـشـكـوـ ضـعـفـاـ فـيـ
التـأـلـيـفـ فـقـولـهـ : «ـ وـتـحـيـةـ جـبـراـ أـجـلـ بـالـخـاطـرـ »ـ مـنـ هـذـهـ الـمـوـاضـعـ الـضـعـيفـةـ
فـيـ الـبـنـاءـ ، إـلـاـ تـرـىـ أـنـ «ـ الـجـبـرـ »ـ لـاـ يـكـونـ «ـ بـالـخـاطـرـ »ـ بلـ «ـ لـلـخـاطـرـ »ـ
ثـمـ مـاـ مـقـامـ حـرـفـ الـجـوابـ «ـ أـجـلـ »ـ فـيـ هـذـاـ التـرـكـيبـ ، فـهـوـ تـكـأـةـ اـعـتـمـدـ
عـلـيـهـاـ صـاحـبـهاـ لـاقـامـةـ وـزـنـ لـيـسـ غـيـرـ ٠

ثـمـ يـقـولـ : «ـ لـوـبـتـ تـسـأـلـيـ عـلـىـ أـحـوالـهـاـ »ـ وـكـأـنـ الشـاعـرـ لـاـ يـعـرـفـ أـنـ
«ـ السـؤـالـ عـنـ أـحـوالـهـاـ »ـ لـاـ «ـ عـلـىـ أـحـوالـهـاـ »ـ وـهـذـاـ مـنـ عـمـلـ شـيـطـانـ الـوـزـنـ
أـيـضاـ وـفـيـ قـولـهـ : «ـ حـتـمـاـ تـرـانـيـ خـاجـلاـ مـنـ نـظـريـ »ـ تـجاـوزـ لـلـمـأـلـفـ الـمـعـرـوفـ
وـهـوـ «ـ خـجلـ »ـ بـفـتـحـ الـأـوـلـ وـكـسـرـ الـثـانـيـ »ـ وـلـمـ يـسـمـعـ الـوـصـفـ مـنـهـ عـلـىـ
«ـ فـاعـلـ »ـ وـاـنـ صـحـتـ قـيـاسـيـتـهـ وـاـذاـ ثـبـتـ السـمـاعـ بـطـلـ الـقـيـاسـ كـمـاـ هـوـ مـعـلـومـ ،
إـلـاـ تـرـىـ إـنـكـ لـاـ تـقـولـ «ـ فـارـحـ »ـ مـنـ «ـ فـرـحـ »ـ وـلـاـ «ـ حـازـنـ »ـ مـنـ «ـ حـزـنـ »ـ
بـلـ تـقـولـ «ـ فـرـحـ »ـ وـ «ـ حـزـنـ »ـ ٠

وـقـدـ اـضـطـرـ إـلـىـ اـنـ يـذـيلـ الـبـيـتـ بـقـولـهـ (ـ مـنـ نـاظـريـ)ـ وـالـفـصـحـ الـمـلـحـ
إـنـ يـقـولـ «ـ مـنـ نـاظـرـ إـلـيـ أـوـ فـيـ »ـ ذـلـكـ إـنـ تـعـدـيـةـ الـفـعـلـ لـاـ تـصـحـ إـلـاـ بـأـحـدـ

الحرفين وفي ذلك دفع لهم ربما وقع فيه من قرأ « ناظري » .
ربما يقول السيد العامری - حفظه الله - : ان هذه هنات ، وأنا أقره
على هذا القول بأن هذه هنات ، ولكنني أقول : أنها لا يتقاضى عنها في شعر
شاعر مغمور ، فضلا عن أمير للشعراء .

ويعقب السيد العامری على هذه الابيات بأخرى في الموضوع نفسه
يبدى الشاعر فيها عزوفه عن هذه « الخطة » التي لا تشرف ، والتزامه
بسمته ووقاره وطيب معدنه ، وانصرافه عن هذه التوافة وتعلقه بوطنه
الحبيب ، وفي كل ذلك فوائد تأریخية .

قلت : سأعقب نماذج السيد العامری لخلص منها الىفائدة فتثبت
حقا ، وندفع وهمـا . ذكر السيد العامری فيما ذكر « ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ » بل هو
أول شاعر تونسي نادى بترقية الشعور وارهافه وتحریکه في الجماهیر
« ٠٠٠ ٠٠٠ » وجاء لذلك بقصیدته التي سنشير اليها دليلا . يقول الشاعر :

وأجرى سلسلیه في المباری
فارجعها وكانت في احتصار
فيات الشأن مرفوع المنار
وكم أجرى بحره من جوار
صغر فارقت به للكبار
فأصبح لابساً تاج الواقار

وحسبك بالشعور اذا ترقى
فكـم بـعـثـ الـحـيـاةـ إـلـىـ نـفـوسـ
وـقـلـدـهـاـ شـرـيـطـ العـزـ فـخـراـ
وكـمـ نـفـتـ بـهـ الـأـلـبـابـ سـحـراـ
وـكـمـ رـضـعـتـ بـلـانـهـ منـ شـعـوبـ
وـكـمـ رـفـعـاـ بـهـ الـلـحـقـ صـوـنـاـ
.....

تنوب لديك عن كأس العقار
فعشاق الروایة في انتظار
ولا تنظر له نظر احتقار
فإن العود أصبح في اخضرار
يعقب السيد العامری على هذه الابيات فيقول : « أوليس من الغبن

ودونك من دنانـهـ كـأـسـ رـاحـ
وـخـصـصـ منـ بنـاتـ الفـكـرـ بـجـوـقاـ
وـحـافـظـ عـلـىـ كـيـانـكـ فيـ وـجـودـ
وـبـادـرـ فـيـ الـرـيـاضـ لـقـطـفـ زـهـرـ

الفاحش أن يقال لشاعر الشعور انه ملفق أو ناظم ٠ أما أنا فأشهد اني
أم أقل « ملفق » ولكنني قلت انه « ناظم » والابيات التي ساقها الكاتب
الفضل كما هي مثبتة في هذه المقالة تعين على هذا الرأي فنقول ان صاحبها
نظام ، لا يمكن أن يرقى الى طبقة أمراء الشعر ٠ وانا أريد أن أشهد
محبي الشعر والعارفين بنقده أن يقولوا ما يرون في هذه الابيات ان كانت
شعرًا قد حاز على الخصائص الفنية من ابداع في التصوير وروعه في
ال الخيال واحتدام في العاطفة ، ام نظما جرى فيه صاحبه في ارسال الافكار
ارسالا على نحو ما يفعل كثير من رزقوا القدرة على النظم ٠

فالشاعر في هذه الابيات يحكي فائدة الشعور وأثره في حياة الناس
في نمط تقريري والتقرير أبعد ما يكون عن اسلوب الشعر الذي يعتمد
المحة الخاطفة والالتفاتة البارعة ٠ وفي هذا التقرير اسلوب يقرب من
العامية والا فكيف تشعر بغير التعبير الدارج في قوله :

وقلّدها شريط العز فخراً فبات الشأن مرفوع المنار
فالشعور هو الذي « قلد النفوس شريط العز » على نحو ما يقلد
الملك قائد المتصحر وسام الشرف فيحلي بذلك صدره « فخراً » ليكون
« الشأن مرفوع المنار » ٠

ثم تقرأ قوله :

وخصّص من بنات الفكر جوقاً فعشاق الرواية في انتظار
 فهو يتخد من « بنات الفكر جوقاً » ذلك ان شهود « الرواية » بل
« عشاقها » « في انتظار » لها وللتجوء الى عرض « بنات الفكر في هذا
الثوب الخلق اهانة للشعر وابتذال لبنات الفكر ٠

ولن أدع هذه الابيات دون أن أشير الى ان الشاعر في هذه الابيات
قد جاء بشيء تجاوز فيه الوزن ، ولم أرد أن أشير الى هذا لولا أني
علمت مما كتبه السيد زين العابدين السنوسي من أن للشاعر معرفة أكيدة

بالعروض ، وعليه تخرج الكثيرون في هذا الفن . وها أنا مشير إلى هذا التجاوز الذي لا يحتمله الوزن ، ومن ذلك : قوله « وأجرى سلسيله في المجرى » ألا ترى أن ضمة الهاء في « سلسيله » زيادة على الوزن ، فالليت من الوافر والوزن يقتضي حذف الضمة واسكان الهاء وتقطيع البيت على النحو الآتي :

وأجرى سـ سـلـسـلـهـفـلـ مـجـارـي
مـفـاعـلـتـنـ فـعـولـ

ومثل هذا التجاوز قوله « وكم اجرى بحره من جوار » وقوله « وكم رضعت لبانه من شعوب » وقوله « ودونك من نانه كأس راح » ففي هذه الأبيات زيادة في الوزن اقتضتها حركة الهاء في « بحره » و « لبانه » و « دنانه » .

واصعب من ذلك أن يأتي قوله « وحافظ على كيانك في وجود » فهذا خروج واضح لا تطيقه موسيقى البيت .

وبعد فهل أتيت كذبا ، ولفقت باطلًا على « شاعر الشعور » . فيأتي السيد العامري بأبيات يفخر فيها أمير الشعراء بمقامه في الشعر و « منبره » في « المشاعر » وأنه « يجر وراءه من القوافي عسكرا » زهاء نصف قرن خدمة للحق واعلاء للوطن فيقول :

خدمت به الخضراء والحق والهدى وصنته عما بالفضيلة يزدري رفت به أيام لا صوت سوطه ونددت بالتربيع عن كل منكر تقرأً البيت الأول فتجور على الوزن في قوله « وصنته » ثم ترك هذا البيت وتتأتي للذى وليه فيدو لك شيء من الألاغيب المتأخرة في الجمع بين « صوت » و « سوط » . وبعد فماذا تقول في شاعر « يجر هذه القوافي عسكرا » غير اخلاصه للقديم . فطريقته قديمة وفهمه للشعر قديم ومادة بنائه قديمة أيضًا .

والشاعر معجب بشعره ، مزهو به وقد يما قيل « كل فتاة بأبيها
معجبة » ولكن اعجابه قد جاوز الحدود فهو يقول :
لو شاء ربك للكتاب زيادة لأضاف آياتي الى تنزيله
ـ رحمك الله ـ يا ايها الخزنة دار فقد جرت عن القصد ، وسلكت
غير الحق ، وأي ضير في ذلك والشعراء يقولون مالا يفعلون ، فقد جاء
من ذلك قول أبي الطيب المتبني :

وكل ما خلق الله وما لم يخلقِ محترقٌ في همتي كشارة في مفرقِي
ويختتم السيد العامری مقالته فيأتي بقصيدة للشاعر كان قد أهدأها
إليه يهتئ فيها بولادة طفل ، والسيد العامری معجب بهذه القصيدة اعجب بما
لا حد له ، ومن حقه ان يعجب وان يطرب ، وأن يحفظ للشاعر عاطفته
الكريمة ومنزلته العالية ـ والقصيدة من « المقارب » وهي : -
ولادة طفل وعام جديد وهذا لعمري قران سعيد
والعاامری من الخزنداری تهاني الودود بهذا الوليد
وكأن الشاعر يبعث في الوزن عن قصد منه فما أراه يجهل هذا
الامر فهو يقول : -

شقيق « عياض » محمد وطالع يمن وعيش رغيد
و « هاديه » للخير والسد له أمل في الصبيّ وطيد
ألا ترى ان في صدر هذين البيتين وفي عجز البيت الثاني شيئاً
لا ينسجم مع الوزن ، ومثل هذا الخروج عن الوزن قد وقع في أبيات
عدة من القصيدة نفسها ـ ثم أقرأ قوله :

هو اليوم في الدوح خسف وديع وفي الغد ليث هصور عنيد
لترى مقام مقام « الخسف » في نظم الشاعر ، فليس « الدوح » مقاماً
للخشوف كما هو معروف ـ ويختتم الشاعر هذه القصيدة مؤرخاً على نحو ما

شاعر عند المتأخرین من باب التاریخ فی منظومهم ° والقصيدة علی طولها
لا تخدم مكانة الشاعر الفنية فليرجع اليها القارئ °

وبعد فأننا ادعو السيد العامری ان يعود الى ما كتب ، فيعيد النظر ،
وينفي عنی سوء القصد واصطناع الخبر وقلة الاستقراء °

ولا اريد أن اختم هذه المقالة قبل أن أعود الى مسألة بيعة شاعر
القیروان محمد الفائز للشاعر خزنه دار فاذکر القارئ بهذه المسألة
وبقيمة هذه البيعة ، بعد الذي عرضت من البحث في شعر الشاعر ليحكم
في هذا الامر وليرده الى أصوله ودوافعه خدمة للحق ، ووفاء للتاریخ
و عملا بقواعد النقد التي تأبی المحاباة بسبب من اقلیمية او قرابة او أي
صلة اخرى °

قطوف من تونس

لن أحذثك - صديقي القاري - عما ينزل بالتونسيين من خطوب في هذا الأيام ، فقد جاءك نبأ القوم في تلك الديار وعرفت عن المدينة الباسلة الصابرة ، وكيف نازلت جيش فرنسا البعض ، ولكنني اود ان انقل اليك « قطوفا » من تلك الارض الطيبة ، واحصلت بها ، فما اغنى التونسي عن هذا الذي سأسوقه اليك ، وانا لا يضرني ان يقول اصدقائي التونسيون : « هذه بضاعتنا ردت علينا » ، كما قال أسلافنا من ذي قبل ، وهأنما اوثرك بهذه القطوف لتعرف شيئا عن تلك الديار التي انقطعت عنها او قل انقطعنا عنها ، ومازالينا فيها نحن المشارقة حاجة ان نعرف عن اخواننا « المغاربة » .

والمشارقة هم اهل المشرق عند التونسيين والمغاربة عامة ، ولا ينصرف المشرق الا الى الديار الواقعة الى الشرقي من برقة وطرابلس الغرب من عالمنا العربي ، وقد يدعا كأن اهل المغرب يقصدون هذه الديار في موسم الحج ، حتى اذا انتهت مناسك الحج ، القوا عصاء الترحال فطاب لهم المقام يتزودون من علم المشرق في بغداد او دمشق او في القاهرة ثم يتصدرون للتدرس ، فاما أن يقيموا اقامة دائمة ، واما أن يقلدوا الى ديارهم .

ومن اجل هنا كثر بينهم الرحالون كالادرسي الشهير وابن جبير وابن بطوطة والتجاني وغيرهم .

ولا تعجل علي - حفظك الله - متسائلا اين هذه القطوف ، ولم يصفت هذا الذي اقوله بالقطوف ، وما اظنك جعلت ان تونس قد وسمت بالخضراء ، وانها استحقت من اجل ذلك ان تسمى بالخضراء ، والخضراء

صفة واضحة المعالم في تونس التي احبها التونسيون فقال قائل منهم :
تونس دار الانس ٠

والذي سأقله اليك هو الوان شتى من لغة وادب وتأريخ ، وقد سميتها « قطوفا » لاني اقتطفتها من هذه الديار الانية التي اتشحت بالخضرة ، وعقبت بالزهر ، وازدهرت بالطلال ٠ وما اراك تجهل ان هذه الديار بلد الزيتون الذي بوركت شجرته ، ولا ارى في حاجة ان اعيد اليك قوله تعالى « الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصابيح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار » ٠ وانه خص بالشرف العظيم فكان من اشجار الجنة مع التحيل والاعناب والرمان في غير موضع من التزيل ، ألا ترى ان الآية قد اقسمت بالتين والزيتون ، وان التين قد سبق الزيتون في القسم الشريف لحاجة لفظية يقتضيها نظام تأليف الجمل على هذا النسق المنسجم الموسيقى ، وما اظن ذلك خافيا عليك ٠ والزيتون في تونس خير واوفر تكتسي به البقاع الفسيحة ، ومن هنا جاءت الكلمة عندهم بصيغة الجمع فقالوا (زياتين) ولم نألف نحن اهل المشرق جمع هذه الكلمة على هذه الصورة لانعدام الحاجة الى هذه الصيغة ذلك ان هذه الشجرة غير معروفة عندنا بهذه الكثرة العجيبة ٠ والزيتون في تونس قديم جدا ترجع اصوله الى العصور التي سبقت العصور القديمة ، فأنت تجد بين اشجاره الجذوع التخررة التي تحدث الدهور وسخرت بالاحداث ٠ وقد اهتم التونسيون بهذه الشجرة المباركة التي افادوا منها الخير العميم ، فاعتنتوا بزراعتها ولفوا في ذلك الكتب ، ومن ذلك كتاب « العقد الشرين في تاريخ غراسة الزياتين » لاحمد الكعاك ٠ وتونس كما اسلفت بلد يزدهي بالخضرة ، واهله يشتغلون بالفلاحة ، وفاثتي ان اسجل هنا أن كلمة « الفلاحة » هي الشائعة في هذه

الديار ، وهذا الاستعمال قديم فقد ذكرت الفلاحة في « مقدمة ابن خلدون » عدة مرات وهو يريد بها ما يريده التونسيون اليوم ، وهي تؤدي ما تؤدي عندنا كلمة الزراعة ، فوزارة الزراعة مثلا تكون عندهم « كتابة الدولة للفلاحة^(١) » على ان التونسيين لم يفيدوا من هذه الشجرة المباركة على نحو ما أفاده اللبنانيون الحذاق من شجرة الارز ، فقد تفنن هؤلاء اللبنانيون بالدعوة لهذه الشجرة المباركة عندهم ، والتي جاء ذكرها في اسفار العهد القديم ، والتي تغنى بها االدب القديم في تلك الديار الانية ، ثم جاء الجيل الحاضر فاكبر هذه الشجرة وعظمها واحاطتها بكل رعاية وعناء ، وصارت اشجار الارز القليلة ، مكانا يقصده المصطافون الا ترى ان العلم اللبناني يحمل صورة الارز الشامخة ، ولكن شيئا من هذا قد حصل عند التونسيين ، فأنت تسمع بالجامعة الزيتونية وهي في جامع الزيونة الكبير والذي سيأتي ذكره ٠

وقد اسلفت ان قطعة وقعت بين المغرب والشرق ، وان هذه القطعة كانت بعد زوال الدولة الاموية في الشام ومجيء العباسيين سنة ١٣٢ للهجرة ومنذ ذلك الحين اخذ الولاية في القيروان يتمتعون بشيء من الاستقلال ، بسبب بعد مركز الخلافة العباسية عن هذه الديار ، والاشغال العباسيين بالثورات والقتن في الاقاليم التابعة لهم ، ولان كثيرا من دعاة الخلافة من ادراسة وهاشميين وأمويين قد حلوا في القيروان ، فكثروا الطامعون بالخلافة ومن اجل ذلك حاول احفاد عقبة بن نافع هذه المحاولة كما حاول ذلك غيرهم ٠

ولكن هذه القطعة لم تغير نظر الناس الى ان المشرق دار العلم والمعرفة ، وان لابد لطالب العلم من التزود بهذا الزاد الاصيل على الرغم من ان المغرب كان له علماؤه في مختلف العلوم والفنون ، وانهم كانوا

(١) : وتعني لفظة « كتابة الدولة » الوزارة في الاصلاح الشرقي، هذا الاستعمال جاء عن ترجمة الكلمة الفرنسية ٠

يستقدمون المشاهير من علماء المشرق ، وأن جامع عقبة من مراكز العلم المشهورة ، وإن المغاربة كانوا يقصدونه من كل مكان ، وربما قصده الاندلسيون من الاندلس في العصور المتأخرة ٠

وصلة الاندلس بال المغرب قائمة في مختلف العصور ، فلما انتهى الحكم المغربي في الاندلس ، هاجر المسلمون الاندلسيون إلى المغرب واستقروا في هذه الديار ، وكان لهم في تونس مراكز خاصة بهم ٠

وقد اهتموا « بالفلاحة » ولا سيما الزيتون منها ٠ وما زال في هذه المراكز حتى يومنا هذا أسر اندلسية تحمل اسماءها الأولى مثل اسرة (مروش) وهي من الاسپانية Moros أي اهل الاندلس الذين بقوا في اسبانيا بعد سقوط غرناطة ومثل اسرة الشاطمي وهي منسوبة إلى (شاطبة) وقد حدث ابدال بين الباء والميم ٠

ولقد هاجر الاندلسيون إلى تونس في فترات مختلفة ، فقد كان أول العهد بذلك في أيام صنهاجة ، وأشهر من هاجر منهم أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الذي جاء بالموسيقى الاندلسية إلى تونس ، والتي تحفظ بها تونس حتى يومنا هذا ثم كانت الهجرة الثانية على عهد الحفصيين ، ولا سيما ما كان منها بعد سقوط اشبيلية ، ومالقة ، وبطرنة ، فهاجر منهم حازم القرطاجي صاحب (المناهج الأدبية) وهو من أجمل كتب النقد الأدبي ، والذي اعتمد فيه على المناهج الأوروبية في هذا الباب ، وهو صاحب المقصورة التي شرحها الشريف الغرناطي ، في مدح السلطان الحفصي المستنصر بالله الذي بني الحنایا الشهيرة لجلب الماء سنة ٦٤٠ هـ - ١٠١٧ وقد جاءت ترجمته في نفح الطيب مع ذكر شيء من شعره ، وكما ذكره ابن سعيد المغربي ٠

ثم هاجر الاندلسيون بعد سقوط غرناطة ، على أن المهم من هذه الهجرة ما حدث منها حينما أجل فليب الثالث (الموريسيكو) سنة

للهجرة والموريسكو هم المسلمين الذين بقوا في إسبانيا بعد زوال الحكم العربي ، وكان ذلك على عهد عثمان داي في تونس ٠

ولقد أسس الاندلسيون مراكز خاصة بهم كما أسلفنا ، وهي نهرية على شواطئ الانهار ، وجلبية في الجبال ، وسهلية في السهول ٠

وهكذا جاء الاندلسيون فكانوا عاملاً نشطاً وجد في تكوين هذا البلد من عدة وجوه ٠

ويؤلف البربر طائفة كبيرة من التونسيين ، وقد استوطن البربر منذ اقدم الاذمنة في ديار المغرب جميعها ، فنحن نلقي البربر في كل عصر من اعصار المغرب ، والبربر من الشعوب الاسلامية التي لعبت دوراً اساسياً في تاريخ الاسلام ، وحسبك ان تعرف ان طارق بن زياد قد فتح الاندلس بجيوش العرب والبربر ، وان عبد الرحمن الغافقي الذي انطلق في فرنسا فاتحاً كان يقود جموعاً ببربرية ، وان دولاً كثيرة قامت معتمدة على هذا الشعب العريق الذي اسلم واحب الاسلام فأمتزج بالعرب امتزاجاً كلياً حتى ان كثيراً من افراده وجماعاته قد استعرب ، غير ان البربر لم يعاملوا معاملة المولى في المشرق ٠ ذلك انهم اهل هذه البلاد قبل ان يدخلها العرب فاتحين ٠ وما زال قسم من هؤلاء محتفظاً ببربريته على شدة اتصاله بالاسلام والعرب ٠ وربما وجدت فيهم من لا يعرف العربية ولا سيما اولئك الذين يسكنون في المغرب الاقصى وفي جهات من الجزائر العربية ٠

وقد اسلم هؤلاء منذ سنة ٢٧ للهجرة أي منذ فتح العادلة اثر وقعة سبيطلة في الجنوب الغربي التونسي ، وتم اسلام جميع البربر في اواخر القرن الاول الامن قل منهم ٠ وحسن اسلامهم ، وصاروا من كبار المناصرين للإسلام والمسلمين ، قال ابن خلدون :

« وأما اقامة البربر لمراسم الشريعة ، وأخذهم بأحكام الله ونصرهم لدين الله فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين كتاب الله لصيانتهم والاستفتاء في

الفروض لاعيائهم ، وابتقاء الائمة للصلوات في بواديهم وتدارس القرآن بين احيائهم ، وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم^(١) وقضياتهم . واصفائهم الى اهل الخير والدين من اهل عصرهم التماسا للبركة في آثارهم وسؤالا للدعاء من صالحهم ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

ولهؤلاء البربر تقاليدهم وعاداتهم واساطيرهم وأدبهم ، كما ان لهم لغتهم التي تستطيع ان تبيّن فيها لهجات متعددة . وبقيت هذه اللغة بعد الاسلام ولكنها صارت تكتب بالرسم العربي . وقد الف في هذه اللغة المصنفات التي تناولت تعاليم الاسلام دين البربر الجديد ، ولهم فيها مؤلفات تؤرخ الفنون الادبية عامة من شعر ونشر ونواذر وحكايات واساطير . واعتنى اصحاب الماجموع النباتية من الغافقي الى ابن الجزار الى ابن البيطار بأيراد التسميات البربرية للنباتات التي وصفوها ثم ان هذه اللغة كانت لغة الاسر المالكة » البربرية من صنهاجين وحفصيين ومرابطين وموحدين ، وقد استعملها عبدالله الشيعي في دعوته للمفاطمين بجبل القبائل وزواوة ، كما كان المعز الفاطمي استعملها في صلاته مع امراء صهناجة ، كما تكلم بها المهدى بن تومرت في دعوته بين العروش والعشائر البربرية . ومن اجل ذلك كان التراث البرברי قد ابقى آثاره في الثقافة العربية في هذه الاقاليم . ثم اتيح للغة البربرية في العصر الحديث ان توجد لنفسها نحوا وادبا مكتوبا ، فألف كتاب للنحو البربري وصنفت المعجمات البربرية ووضعت مجاميع النواذر والقصص ، ودفع الفرنسيون البربر الى العدول عن الحروف العربية التي كانوا يستعملونها الى الحروف اللاتينية هروبا بالبربر من العرب والعربة ، على ان ذلك لم يتم لهم فخابت هذه المساعي .

غير ان شيوع العربية وانتشار التعليم قد ادى بالبربرية الى ان

(النازلة) من الالفاظ الاصطلاحية التونسية ، وما زالت مستعملة حتى يومنا هذا ، وهي تعني « الدعوة الحقوقية او الجزائية » التي تنظر فيها المحاكم ٠

تتكمن على نفسها وتصبح لغة ضيقة غزتها العربية من عدة نواح ، وقد حدث معظم ذلك ابان غزو الهلاليين من شبه الجزيرة في اواخر القرن العاشر للميلاد ٠

وكان للغة العربية وللثقافة العربية الاسلامية ان كتب لها الفوز ، وقدر لهذه ان تأتي على ما كان من امر لغة البربر ومن بقایا لهجتها وثقفتها لو لا نكبة هذه الديار بالغزوة الفرنسيين ، وتشجيعهم للغة البربرية والثقافة البربرية ، ووقفهم ضد تقدم العربية وتطويرها ، ثم انهم جعلوا الفرنسية اللغة المعتمدة في الادارة والمعاهد الثقافية ولغة الشؤون العامة ، ٠ وكان نـ م نتائج ذلك ان ضعفت العربية الفصيحة ، وان العارفين لها قد قل عددهم ، وانها بقيت في لونها الدارج الذي لا يصلح ان يكون وسيلة نافعة للنهوض ومسايرة ركب العالم المتحضر ٠ وربما كانت المشكلة في تونس اقل منها خطرا في الجزائر والمغرب ، ذلك ان في تونس معاهد قد تمسكت بالعربية وتعصبت لها وقاومت المستعمر الغازي الذي يريد ان يمسخ طابع الثقافة العربية في تونس ٠ ومن هذه المعاهد العربية الجامعية الزيتانية الزاهرة التي ثبتت تجاه المستعمر وكانت عاملا مهما من عوامل ازدهار الثقافة العربية الاسلامية ٠ وجامع الزيتونة معهد للتعليم العالي ، وقد بناه عبدالله بن الحبّاب سنة ١١٤ للهجرة تخليداً لذكرى انتصاراته في الديار المغاربية ٠ وأتم بناءه على الشكل الحالي ابو العباس محمد بن الاغلب في عهد المعتصم العباسي وصار معهد افريقيـة العلمي في عهد ابي زكريا الاول الملك الحفصي في اوائل القرن السابع ٠ ونـ دبـ اليـهـ الاسـاتـذـةـ من طرابلس مثل عبد الحميد بن ابي الدنيا ، ومن صقلية مثل آل الصقلي الاطباء ، ومن الاندلـسـ مثلـ ابنـ عـصـفـورـ التـحـويـ وـابـنـ سـعـيدـ وـابـنـ الـآـبـارـ المؤـرـخـينـ ، وـحـازـمـ الـقـرـطـاجـيـ وـابـنـ اـبـيـ الـحـسـينـ الـادـيـبـينـ وـابـنـ الـقـصـارـ والـبـطـرـنـيـ الـفـقـيـهـينـ ، وـحـسـبـكـ انـ تـعـرـفـ انـ عـبـدـ الرـحـمـنـ بـنـ خـلـدـوـنـ كـانـ

قد درس في هذا المعهد العظيم وتصدى للتدريس فيه •

وهكذا اقامت الجامعة الزيتونة بدور فعال في نشر الثقافة العربية ، ودام ذلك طوال الاحتلال الفرنسي ، حتى اذا جاء عهد الاستقلال الجديد واخذ التونسيون مقاليد الامور ، وجدوا ان لا فائدة فيبقاء هذا النوع من التعليم ولذلك عملوا على انهائه واستبدال التعليم الحديث به • والتعليم الحديث يستند على النظم الفرنسية وربما كان للغة الفرنسية فيه نصيب كبير ، والتونسيون يشكون في اصلاح التعليم القديم ، وهم غير متحمسين للحماس الكافي الى زحزحة هذه الفرنسية عن الميدان ، واحلال العربية محلها او قل تعريب التعليم كما يقولون هم ، • مما زالت المواد تدرس بالفرنسية ، في المدارس الثانوية وربما استعين بالفرنسيين على القيام بهذا ، وقد تجد شيئا عجيا ، ذلك ان مادة التاريخ الاسلامي تدرس بالفرنسية ، وربما كان مدرس هذه المادة فرنسي لا يقيم العربية اقامة جيدة • وقد قيل لي ان انا نقاش نفرا كثيرا من التونسيين كان من بينهم من يضطجع بالمسؤولية في هذه المشكلة الخطيرة ، غير اني لم اجدهم شاعرين شعورا كافيا بعظم خطورة الامر وعندهم ان لا ضير على العربية على الثقافة العربية في ظل هذا النظام وان تعريب التعليم لابد ان يتم ولو كان ذلك في خطى مبادئة قليلة • ولكن النتيجة هو ان العربية قد خسرت وأن حملة القلم في هذه الربوع والتصدين لشؤون الادب يواجهون مشكلة التعبير الفني ، ومن اجل ذلك حفلت اساليبهم بالالوان الاجنبية المترجمة مما هو موجود في الفرنسية ، والمشقف فيهم يترجم هذه الاساليب ويدرسها في عربته شعر ام لم يشعر بذلك • على ان طائفة منهم كان لها اساس متين في بناء عربي قويم ولذلك سلم اسلوبها من هذه الرطانات ، وهؤلاء من الباقين على العهد القديم ، ومازال فيهم شوق للكتاب العربي ، والكتاب العربي هو المطبوع في المشرق بصورة عامة ، وهم يقرءونه فيتأثرون بذلك وينظر ذلك فيما

يكثرون ٠ ولكن طائفة اخرى قد استهواها الثقافة الفرنسية بأدبها وفنها ، وجرها ذلك الى الغزو عن الثقافة العربية الاصيلة وعندهم ان لا فائدة مرجوة من الاتصال بالشرق تقافيا ما دام هذا المشرق متاخرا في ثقافته معتمدا فيها على الاوربيين ٠

فعلى مؤرخ الادب التونسي الحديث بعد ذلك ان يتبيّن هذا الاختلاف بين انصار الثقافة العربية ، والداعين للثقافة الاوربية الحديثة او قل بين انصار القديم وأنصار الجديد على زعمهم ٠

وانصار الجديد من التونسيين لم يشعروا بخطورة الامر كما بینا ، وهم يقرءون الصحفة اليومية ولا يضيرهم ان تكون مملوقة بأساليب غير عربية ، كأن تقرأ ان فخامة الرئيس يخطب في الاطارات والقارئ الشرقي يستغرب هذه الاستعمالات وربما استغلقت عليه ، ويريدون بالاطارات مجموع المنظمات والمؤسسات التي تخص الحزب القائم ٠ ولفظ الاطارات ترجمة لكلمة Cadres الفرنسية وتدل الكلمة في معناها غير الحقيقي وهو المجازي هذه الدلالة ، غير ان الكلمة في العربية لا تنتقل هذا الانتقال المجازي ٠

وتقراء ايضا ممثل تونس القار في المنظمة العالمية ، ولفظ « القار » يعني في اصطلاحهم الدائم ، وكأنك لا تجد الكلمة (زبان) عندهم جمعا لزبون ، فهم يستعملون بدلا منها (حرفاء) جمعا لحريف وهي من الفصيح القديم الذي زال استعماله ٠

وهناك الفاظ واستعمالات لا تقع عينك عليها الا عرفت ان صاحبها تونسي او مغربي او جزائري ، فالعام الماضي او المنصرم كما نقول ، يكون عندهم العام الفارط والصيفية الفارطة للصيف الماضي ٠ وتقرأ كل يوم ان هيئة من الهيئات تنظم تربصا لطلابها او لاتبعها ، وقد استغلق علي الامر حين قرأت هذه العبارة لولا ان اسعفني احدهم فأوضح لي المراد بالترbus

وهو التمرين والتدريب ، ولا اعلم من اين حمل (الترخيص) هذا المعنى ،
وكان تقرأ ان الاحتفال سـيقام في موضع ما اين يخطب الرئيس في
الاطارات ، واستعمال الظرف (اين) مكان حيث غير صحيح ، وهو من
آثار الترجمة للأساليب الفرنسية وهو يقابل ^{où} الفرنسية التي يراد
بها (حيث) .
هذا غيض من فيض أقدمه للمقاريء تعرضاً بهذه الثقافة العربية المغربية .

علم اللغة بين علماء القراءة وابن خلدون

الاهتمام باللغة امر تستدعيه ضرورة قائمة . ذلك ان المشكلة اللغوية من المشكلات الخطيرة . ومن اجل ذلك نشطت المجامع اللغوية في الاقطان العربية في العمل على حل هذه المشكلة القائمة ، وتبزز المشكلة في ان العرب في يومنا هذا لا يتكلمون بالفصيح من العربية . فالعامي الدارج هو المستعمل ، وامر العامي مشكلة من المشكلات ايضا ، فهناك لهجات مختلفة باختلاف البلاد ثم ان البلد الواحد مشتمل على لهجات وطرائق في التعبير مختلفة ايضا ، وربما صعب على العربي من شمالي العراق ان يفهم من قروي من سكنة القسم الجنوبي من العراق .

والباحث اللغوي التاريخي في العربية صعب جدا ، وصعوبته آتية من افتقار الباحث الى كثير من المواد الضرورية لهذا البحث ، فالذى نعرفه ان العربية وصلت اليها ناضجة كل النضج ولغة القرآن تشهد على المستوى العالى الذى بلغته العربية .

ومن اجل ذلك فلا نعرف كثيرا عن نشأة هذه اللغة وتطورها في مراحلها الاولى التي سبقت عصر القرآن، وانا لم ارد أن أخص القرآن بالمثل الوحيد على هذا الرقي ، ومن اجل ذلك ايضا استعملت مصطلح (عصر القرآن) لادخل في هذا الشأن ما صح من الشعر الجاهلي وسائر فنون القول المعروفة .

ولابد ان اخلص من هذه المقدمة القصيرة الى الحديث عن علم اللغة عند الباحثين الاقدمين ثم كيف كانت نظرية العالمة الشهير ابن خلدون في هذا الموضوع .

ولقد كان علماء اللغة في القرن الرابع الهجري وقبل ذلك بكثير اقوال في علم اللغة . غير ان هذه الاقوال لم تنته الى بحوث علمية واسعة ،

ويجدر بنا ان نعرض لرأي أبي الحسين احمد بن فارس احد ائمة اللغة في القرن الرابع الهجري ، فهو يعرض في كتابه الذي اسماه « بالصاحب » الى راييه بقوله !

باب القول على لغة العرب اتوقيف ام اصطلاح ؟

وهو يجيب عن هذا السؤال قائلا : اقول : ان لغة العرب توقيف ، ودليل ذلك قوله - جل ثناؤه - « وعلم آدم الاسماء كلها » فكان ابن عباس يقول : علمه الاسماء كلها وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابة وارض وسهل وجبل وحمار وابناء ذلك من الامم وغيرها •

وظل ابن فارس يبسط القول في هذا الرأي متمسكا به اخذنا بالأية الكريمة التي اشرنا اليها • ولم يسلم ابو الفتح عثمان ابن جنى من القول بهذا الرأى فقد قال بالتوفيق في اصل اللغة ثم عاد الى القول بمبدأ الاصطلاح كما جاء ذلك في كتابه المشهور « الخصائص » •

ولم يقتصر قول ابن فارس بالتوفيق على اللغة وانما قال بذلك في موضوع الخط فقد جاء في الصاحبي ما نصه « والذي نقوله فيه ان اخط توقيف ، وذلك لظاهر قوله عزوجل : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » وقال تعالى « والقلم وما يسطرون »

ولم يكن المسلمين اول من قال بالتوفيق في هذا الموضوع معتمدين على الآية الكريمة ، فقد جاء مثل ذلك في سفر التكوين من العهد القديم وفحوى ذلك ان الله علم آدم اسماء المخلوقات جميعها • والنتيجة التي نستلخصها من قولهم بالتوفيق مفسرين الآية كما يشاؤون ، هي انهـ جمدوا على العربية الفصيحة ولم يأخذوا ما سواها ، وانهم لم يتقدروا بالاستعمال ، وتطور هذا الاستعمال في اللغة ، فقد رسموا لانفسهم صورة للغة لا يحيدون عنها ، وحملوا بذلك ما خالف هذا المرسوم المتفق عليه

على الخطأ واللحن ومجاوزة الصحيح ٠ وقصة عبد الله بن أبي أصحف الحضرمي مع الفرزدق دليل على هذا ، فقد قال الفرزدق في قصيدة له :
وغض زمان يا ابن مروان لم يدع من الناس الا مسحتا أو مجلف
فقال النحوي : على أي شيء ترفع « مجلف » فقال الفرزدق : على ما يسوقك ٠ وليس الحضرمي بداعا بين اللغويين ، فقد ذكر ابو حاتم السنجستانى : سالت الاصمعي : اتقول التهديد (ابرق وارعد) قال : لا ، لست اقول ذلك الا اني ارى البرق واسمع الرعد ، قلت قال الشاعر الکمیت :

ابرق وارعد يا يزيد فما وعيتك لي بضائر
قال : الکمیت جرمقاني من اهل الموصل ليس بحجة، ولكن الحجة هو
الذی يقول :

اذا جاوزت من ذات عرق ثنية فقل لا بني قابوس ما شئت فارعد
وهو شاعر جاهلي ، وشاعرك هذا متاخر لا يؤخذ بقوله ٠ قال ابو حاتم فاتيت ابا زيد الانصاري ، وقلت له : كيف تقول من البرق والرعد !
 فعلت السماء ؟ قال رعدت وبرقت ، قلت : فمن التهديد ؟ قال : رعد
وببرق وارعد وابرق ، فاجاز اللغتين ، ثم سالت اعرابيا فصيحا فاجاز
اللغتين ولم يجز الاصمعي الا لغة واحدة ٠

وكان الاصمعي ينكر كلمة « زوجة » ويقول « زوج » ويحتاج
بقوله تعالى « امسك عليك زوجك » فقييل ، له ان الشاعر ذو الرمة
يقول :

اذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة أراك لها في البصرة اليوم ثاويا
فقال ذو الرمة ليس بحجة ، اذ طلما اكل البقل والمالمح في حوانين
البقالين وقد عرف عن الاصمعي هذا التشدد والحرج ، فهو يابي كلمة
خالفت لغة التنزيل ، وهو من اجل هذا لم يرض لنفسه ان يبحث في لغة

التزيل على نحو ما فعل ابو عبيدة وابن قتيبة مثلاً . ويقول ابن جني : كان الاصمعي ليس من ينشط للمقاييس وانه معروف بقلة ابتعاته في النظر وتوفره على ما يرى ويحفظ .

وهكذا ظل علم اللغة سائراً في هذه الطريق التقليدية ، في اعتبار كل تغيير في اللغة خروجاً عن سنن الفصاحة . وحسبك أن تعرف ان اللهجات السائرة وهي الحية المستعملة قد اعتبرت عند هؤلاء العلماء الاقديمين من طرائق التعبير المذومة . وها هو ابن فارس اللغوي الذي أشرنا اليه قد اعتبر هذه الانماط الكلامية من اللغات المذومة . وهذا النظر في اللغة لم يفده البحث اللغوي ذلك ان الحقيقة المغوية قد ضاعت ، وان نماذج من القول قد اعتبرت مما لا يستحق التسجيل ، وهذا ما لا يقره علم اللغة الحديث . فالباحث العلمي الحديث ينظر الى ان اللغة ذات مظاهر بنائيين متكملين وهما : المظهر الجامد *Synchronique* والمظهر المتحرك *Diacronique* ومن هذين المظاهرين تبين ان اللغة صورة وليس مادة كما يقول بذلك اللغوي السويسري *Caussure* على انا لو تخطينا ازمن وجاؤتنا القرن الرابع حتى نصل الى عصر ابن خلدون نجد هكذا المفكر ينظر الى اللغة نظر العالم الاجتماعي فيقول بالتطور ، ويبرد اللغة الى انها ظاهرة اجتماعية تتأثر سلباً وایجاباً بـ الزمان والمكان . وهو من اجل ذلك لا يرتضى احكام اللغويين والنحاة ونشددهم في هذا الامر ، فيقول : « وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ، ولا تلتقت في ذلك الى خرشفة النحاة اهل صناعة الاعراب الفاسدة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون ان البلاغة لها العهد ذهب ، وان اللسان العربي فسد اعتباراً بما وقع في اواخر الكلم من فساد الاعراب الذي يتدارسون قوانينه ، وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم والقاها القصور في افتدتهم ، والا فتحن نجد اليوم الكثير من الالفاظ لم تنزل في

م الموضوعات الاولى ، والتعبير عن المقاصد ، والتعاون فيه بتفاوت الابانة موجود في كلامهم لهذا العهد ، واساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم ، وفهم الخطيب في محافلهم ومحاجعهم ، والشاعر المفلق على اساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك . ولم يفقد من احوال اللسان المدون الا حركات الاعراب في اواخر الكلم فقط الذي لزم في لسان معتبر طريقة واحدة ومهيأاً معروفاً ، وهو الاعراب وهو بعض من احكام اللسان » ◦

ولابد من الاشارة الى استعمال كلمة « خرشفة النحاة » وهو استعمال يزيد به التكليف الشديد الذي أدى اليه البحث العقيم في مسائل منطقية مجردة لا تمت الى الحقيقة اللغوية بسبب . ولابد من الاشارة ايضاً الى تقريره ان فقدان الاعراب في اواخر الكلم لا يفقد اللغة صفاتها الاخرى التي تكون منها عنصراً حياً جميلاً ، فالاعراب على حد قوله بعض من احكام اللسان العربي . وابن خلدون يذهب الى أكثر من هذا وهو يقرر ان الاستقراء الشامل الوفيافي لغة عصره ربما يهدى الباحث الى ضوابط تغنى عن قوانين النحو المقيد المعروف فهو يقول « ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي « لهذا العهد » واستقررنا احكامه نتعاض عن الحركات الاعرابية في دلالتها بامور اخرى موجودة فيه تكون بها قوانين تخصها ولعلها تكون في اواخره على غير النهج الاول في لغة مصر ٠٠٠٠ ولقد كان اللسان المصري مع اللسان الحميري بهذه المثابة وتغير عند مصر كثير من اللسان من موضوعات اللسان الحميري وتصارييف كلماته » ◦

وهذا النص يدلنا على ان ابن خلدون العالم الاجتماعي يقول بتطور اللغة وان لكل عصر لغة تتطور فتبعد عن اصلها وعن لهجاتها . ويعقد فصلاً يبحث فيه ان لغة اهل الحضر والامصار لغة قائمة بنفسها ، وهو في هذا الفصل يعرض لموضوع ان لكل مصر من الامصار لغة تختلف عن الاخرى ،

وهو يؤكد استعمال الكلمة (لغة) دون غيرها ، وهو يقول : وكل منهم متوصل
بلغته الى تادية مقصوده ، والابانة عما في نفسه ، وهذا معنى المسان واللغة
وفقدان الاعراب ليس بضائر لهم » . وفي هذه الاقوال الاخيرة يبدو نظر
ابن خلدون الدقيق الى الحقيقة اللغوية فنتيئن من ذلك انه مخالف كل الخلاف
لا ولئك اللغويين الاقدمين الذين لم يؤمنوا بالتطور والاستعمال ولم يهتدوا
الي حقيقة الكلمة ودلالتها وانتقال هذه الدلالة Semantique عبر الزمان
والمكان .

امارة لشّر و أمير للشعراء

لعلك لا تعرف غير شوقي اميرا للشعراء ، وامارة الشعر لم تكن بدعة هذا العصر الحديث ، فقد درج اصحاب الاصناف والصناعات والحرف في مختلف العصور على هذا التقليد ، فكان لكل منهم رئيس او امير وربما تجاوز الامر حد الرئاسة او الامارة الى الملوكيّة ، فللتجار ملك يتعدد ذكره في حكایات الف ليلة وليلة مثلا . ومن الطريف ان نذكر ان احد النحوين المتأخرین وهو الحسن بن صافي كان يدعى ملك النحاة . اذن فلم لا يكون للشعراء امير يجمعون على بيته لما يجدون فيه من احكام الصنعة ، واصالة الطبع ، وهم صنف من اصناف المجتمع ؟ ولا اريد ان استعمل لفظة « الفن » فقد عدلت عنها الى « الصنعة » لا ظل بين ارباب الصناعات فأجعل من هذه الزمرة التي اتخذت الشعر حرفة لها صنفاً متميزاً خاصاً .

وربما غاب عن ذهنك ان هذا اللقب قد عرفته امم اخرى غير العرب ، ولعل العرب قد اخذوه عن غيرهم من الامم الاعجمية ، فما زال في فرنسا الى عهد قريب اميرا للشعراء لا ندرى كيف حصل على هذا اللقب العظيم ، ومن الغريب ان طبقة المشردين في فرنسا Clochards ملوكاً يتمتع بهذه الملوكيّة الغربية وما زلت أذكر منذ سنتين خلت ان الصحف الفرنسية أشارت الى وفاة هذا الملك الغريب ، ونوهت بذكره ، وبشخصه العظيم ، وانه كان يحتفظ بصداقات الشخصيات الكبيرة والملوك فكان من اصدقاء صاحب تاج المشردين ملكة هولندا وفيصل الاول ملك العراق .

وهكذا فليس شوقي غريباً بين العرب في احتفاظه بلقب « الامير » فله من مكانته وصيته ما يسعف على الزهو بالامارة المصطنعة ، اقول : المصطنة ذلك ان شوقي من أصحاب الحظوة والجاه ، ومن ارباب الترف والنعيم ،

وان مقامه بين الملوك والامراء دفعه الى ان يطلب هذا المجد ، وربما اريد له أن يكون « الامير » فأتاه فلان وفلان من معاصريه مهنيين ، ولا أريد أن أقتصر على التهنة فالامارة تقضي البيعة ، وهكذا فقد جاء اليه حافظ ابراهيم من الشعرا المصريين ° « مباعياً » :

امير القوافي قد اتيت مباعياً ٠٠٠ وهذه قسوافي الشعر بایعت معی وجاء اليه غير حافظ من الشعرا من هنا وهناك مهنيين « مباعین » معترفين بسبقه في الاحتفاظ بهذه الامارة ، ويبدو ان اجماعاً لم يحصل على هذه « البيعة » فلم تقر أقاليم العربية جميعها بهذه الامارة ذلك ان بين المغاربة من لم يعرف بذلك ، ومن اولئك التونسيون الذين حلا لهم ان يعتلي عرش الامارة تونسي يكـون امير شعرا المغرب عامـة ، ذلك ان التونسيـين يرون في انفسهم الوجه البارز المـعبر عن افريقيـا العربـية الشمالـية ، وهم في ذلك يـ يريدون ان يقولـوا للمـشارقة اـنـا مـثـلكم او خـيرـ منـكم ، وقدـيـما كانتـ المنـافـسـةـ بينـ المـغارـبةـ وـالمـشارـقةـ وـلـكـنـ المـغارـبةـ لمـ يـأـتـواـ بـجـدـيدـ منـ اـفـانـينـ المـعـرـفـةـ ، فـهـيـ مـادـةـ المـشـرقـ اـعـيـدـ وـشـرـحـتـ ، وـكـأـنـ هـؤـلـاءـ اـرـادـواـ ذـلـكـ حينـ قالـواـ « هـذـهـ بـضـاعـتـناـ رـدـتـ اـلـيـنـاـ » °

وهـذاـ التـونـسيـ الذـيـ بـويـعـ عـلـىـ اـمـارـةـ الشـعـرـ هوـ مـحمدـ النـاذـلـيـ خـزـنـدارـ وـجـديـرـ بـنـاـ أـنـ نـقـفـ عـنـ هـذـاـ عـلـمـ الذـيـ نـعـرـفـ فـهـوـ مـحمدـ وـالـمـغارـبةـ عـامـةـ ذـوـ وـلـعـ بـهـذـاـ اـسـمـ عـمـلاـ بـالـأـنـورـ مـنـ الـحـدـيـثـ « خـيرـ اـسـمـاءـ مـاـ حـمـدـ وـعـبـدـ » فـأـنـتـ تـجـدـ الكـثـرـةـ العـظـيـمـةـ مـنـ الرـجـالـ قـدـ سـمـيـتـ « بـمـحـمـدـ » وـمـنـ تـعـلـقـهـمـ بـهـذـاـ اـسـمـ اـنـهـمـ يـنـادـونـ بـهـ عـابـرـ السـبـيلـ الذـيـ يـجـهـلـونـ اـسـمـهـ ، فـكـأـنـ هـذـهـ « النـكـرـةـ المـقصـودـةـ » هـيـ « مـحـمـدـ » أـوـ قـلـ كـأـنـ هـذـاـ عـلـمـ يـصـحـ أـنـ يـطـلـقـ عـلـىـ أـيـ مـسـلـمـيـنـ مـمـنـ يـحـمـلـونـ اـعـلـاماـ مـخـتـلـفـةـ ، ذـلـكـ انـ تـفـتـحـ دـلـيـلـ « الـهـاتـفـ » وـلـاـ أـقـولـ « الـتـلـفـونـ » لـانـ الـهـاتـفـ هـوـ الشـائـعـ المـعـرـفـ لـتـرىـ هـذـهـ الـكـثـرـةـ مـنـ الرـجـالـ مـمـنـ اـسـمـهـ « مـحـمـدـ » بـهـذـاـ الرـسـمـ ، وـمـنـ اـسـمـهـ

« احمد » على الاستعمال العامي الدارج ، وکأن « سي محمد » هو غير « سي احمد » « وسي » هذه مرخمة عن « سيد » على الطريقة العالمية المحلية ٠ ونعود الى صاحبنا « الشاذلي » المصدر بالاسم « محمد » فنقول : ان الشاذلي من الاعلام المشهورة في الشمال الافريقي وربما جاء الاسم بهذه الكثرة تيمناً بالشيخ الشاذلي احد المتصوفة ومن اصحاب الطرق ، والطريقة الشاذلية معروفة مشهورة ، وقد غير زمان كان فيه الشمالي الافريقي يبح بالتصوفة وأرباب الطرق وأهل الزوايا ، فقد عمل المستعمر الفرنسي على تقوية هذه النزعات وقد وجد فيهم آلات طيعة تعمل على تمكينه وتقوية نفوذه ٠ اما « خزنهدار » فهو لقب الشاعر الذي يشير الى ارومة غير عربية ومن الطريق ان نشير الى ان « شوقي » امير الشعراء في المشرق ينمی الى أصل غير عربي ٠

ولد صاحبنا محمد الشاذلي خزنهدار سنة ١٢٩٩ هـ في بيت نبيل ، وشب على الترف والنعيم في البلاط التونسي وتقلب في اهم المناصب الوزارية ما يقرب من نصف قرن الى ان عزل الامير محمد الناصر فاضطر خزنهدار الى تقديم استقالته ٠

ولم تشه ابهة المناصب عن الانغماس في صفوف الشعب ، ولا أريد أن اعرض لترجمته الا بمقدار ما يخص القاريء من ذلك ، وانا اثبت هذا القدر من ترجمته حرصا مني على تعريف هذا العلم لجماهير القراء الذي يجهلونه كل الجهل كما يجهلون العدد الضخم من معاصريه ومن يزخر بهم تاريخ الادب التونسي الحديث فجمهور المشارقة لا يعرف من هؤلاء الا صاحب الخط الدائم الصيت ابا القاسم الشابي ، ولا اريد ان ادخل في سر هذه الشهرة فربما كان اشعر التونسيين عامة ٠

اما صاحبنا الامير فلا اراه بالقدر الذي يؤهله الى الامارة كائنة ما كانت هذه الامارة ٠ وسنعرض لشيء من شعره ليتبين القاريء انه لم يكن

الشاعر الذي وهب العرق النابض ، ولا الصانع الماهر الذي يدلك على احكام الصنعة ومهارة الاداء . ولكنه كان صاحب الجاه الكبير والمكانة العالية وانه يمت لليت الملكي العامر . ونسب يوصله الى السيدة العالية لابد ان يضفي عليه ثوب الشرف ووسام الامارة ، ثم انه لما كان يرصف القوافي بعضها الى بعض ، فلابد أن يهئه المنافقون المتملقون ويغرون به بعرش امارة الشعر فيقدون الحفلات من اجل اعلان هذا اللقب الادبي ، كأن يقول قائل منهم هو محمد الفائز شاعر القيروان في بيعة صاحبنا خزنه دار بمناسبة ظهور الجزء الثاني من ديوانه :

أمير القوافي وحارسها
قبل هناء يقدمه
هذا الماء بكفك أضحى
وأنت على التخت تحدو القوافي
فأنت الهزار بخرايئنا
أفي الصيف أخرجت للشعب روضاً
تفياً ظله كل أديب
وطوقت جيد القرىض بعقد

وببل تونس شيخ البيان
لدست الامير فتي القيروان
يظل الرعية في كل آن
فتائيك طوعاً بدون امتنان
تفاخر مصر يوم الرهان
وعزته اليوم منك بشان
وبشم العبير بذلك الجنان
تهيم العذاري به والقيان

ولا ادرى ماذا اقول تعقيبا على هذه الابيات التي « لم تأت طوعا بدون امتنان فقد بدا عليها ان صاحبها يتسلق الامير خزنه دار صاحب المنزلة العالية والرجل النبيل الذي يجله التونسيون » ، فلم لا يجمع المجد من اطرافه فيكون صاحب الصناعتين .

وقد عرف عنه ان مقامه والطبة التي يتمي اليها لم يثنية عن التحسس بالقضايا العامة ، ولعل هذه الناحية هي التي اكبرته وجعلت الجمهور ينظر فيه شاعره الكبير المفضل على نحو ما أفاد شاعرنا الرصافي الكبير من مشاعره الوطنية ومواقفه الجريئة في قضايا عده .

ولا بد أن نعرض لشعره فقد أشرت انه يرصف القوافي ، وما أكثر رصف القوافي في كل مصر من الامصار ، ولكن صاحبنا يرصفها بشكل جعلت « محمد الفائز القيرياني » ينعته « بهزار الخضراء » والخضراء تونس كما هو مشهور معروف وأن « هذا الهزار » تفاخر به الخضراء « ارض الكنانة » في « يوم الرهان » اذن فالمسألة مسألة سبق ورهان ، واذا كان من سبق فلابد من قصب يحرزه السابق والقصب عرش الامارة ، فكأن أخواننا التونسيين لا يؤمنون بالقول المشهور : « منا امير ومنكم امير » ٠

ولنرجع الى شيء من امير الشعرا خزندهار فنسمعه يقول في « الحر » قصيدة اسمها ذكرى الزعدين :

فعليك خصمك مم ويحك نتقى
« ان البلاء موكل بالمنطق »
شلت يد تمتد للمتصدق
ما تلك الا شيمية المتملق
من ظل من ماء المهانة يستنقى
ممن يراك بنظرة المتفوق
منا كأنا في السورى لم نخلق
والى مرافق العز وحدك فارتق
من أهله أو من عدو آخرق
وافتح بحزنك كل باب مغلق
فكن السعيد اذا أردت أو الشقي
واصعد مع البازى المطل وحلق

الحر من لا يستكين لمرهق
واصدع بحق في الاباه ولا تقل
فالى م تستجدي وحقك بين
تبنا ملن إلف الخنوع لغاشم
أولى وأحرى أن يبيت على ظما
فيم احتمالك والكوارث جمة
صمّ وعمي ساخرين تطاولاً
لا تشکهم ان الشكاة مذلة
مستضعف من بات يرقب منه
اسلك لصالحك السبيل بحكمة
وهما الطريقان السعادة والشقا
واحمل بفولاذ العزيمة وفرها

ولقد اكترت عليك صديقي القاريء - ذلك اني اظنك ضفت ذرعا بهذه القطعة الطويلة التي لم تتوقع ان تكون لناظم خامل الذكر في ايامنا فضلا عن انها لشاعر ، بل امير للشعراء ، فهذه الایات اعلق بالنظم والقص بالرصف ،

خلا تقرب من مادة الفن التي تقتضي ادوات وآلات لا يملكونها صاحبها
 كالتصوير والخيال والسير في السبيل الذي يعطي طابع الوحدة والارتباط
 بين اجزاء المقطوعة ، اما السيد الشاذلي خزنهدار فلديه جملة معان مختلفة
 متبااعدة يفرغ كلا منها في بيت من الابيات بطريقة تقريرية حكائية لا تبعد
 كثيرا عن حديث الناس وما يضربون فيه من أبواب . وقد حصل لشاعر
 كثرين شيء كثير من ذلك فأنما اذا رجعت الى هذه المقطوعة وجدتها
 اجزاء منفصلة لا توحى ان صاحبنا قد نظر لموضوع « الحمر » نظرة الفنان
 الذي يريد أن يصنع الصورة الموحية للحر في عالم يشقى فيه ، وأين هذه
 الصورة التي نريدها من ابياته الاخيرة التي يشفعها بوصيته ونصيحته على
 نحو اوعاظ . ويعرض الشاعر للموضوعات الوطنية فيعمد الى طريقته
 الالقائية التقريرية التي لا تلتزم الا بايصال الفكرة بأيسر السبيل فيقول في
 قصidته التي اسمها « نداء »

نادت بنها السديار بالله أين المصير
 هذا علي يفار وذا علي يغير
 التونسيبني أضحى بحقي ينادي
 لكنما ذو الغسي رأه أعدى الأعداء
 حيث اغتدى في الحي يقول هندي بلادي
 وحقق هنا الابي قامت به الآثار
 الى ذويها تشير

الى متى نتشاكى والمعتمدي في انهماك
 تعساً لمن يتباكي تعساً الى المتباكي
 من يرجي لي انفكاكا لا يتمي لاحتراكا
 قل والذي سواكا وانه الجبار
 ما في البلاد غيره

ويستمر صاحبنا على هذا النحو في شعر الوطنية الذي يعرض للقضايا العامة ، وما أذنك إلا ذاكرا وأنت تقرأ هذه المقطوعة ، « ايقاظ الرقود » للرصافي التي يقول فيها :

الى كم أنت تهتف بالشيد وقد أعياك ايقاظ الرقود
فلست وإن شدلت عرى القصيد بمجده في نشيدك أو مفيده
لان القوم في غي بعيد
اذا أيقظتهم زادوا رقادا وإن أنهضتهم قعدوا وئادا
فسبحان الذي خلق العبادا لأن القوم قد خلقوا جمادا
وهل يخلو الجمام من الجمود

على ان قصيدة الرصافي هذه أوضح معنى وأسلم مبني .
وقد أشرت الى ان صاحبنا من ذوي الجاه العريض ، ومنمن نعم
بالقصور بظرفها ونعمتها وترفها وتقاليدها ، فلابد ان يبدو شيء من ذلك في
شعره ، ومن ذلك قصيده « طرب » التي يعارض فيها قول أبي نواس :

راحه النهي الطرب هاته فلا عتب
السنان منزعه والخمور تسكب
والكتوس جاريه طاف فوقها الحب
نعم ذلك كرمه جليت بنت
رجعوا باسته زفها لنا العنبر
وابشرروا بطلمتها فهي للصفا سبب
عقت بدسى كررة عانس ولا عجب
كلنا بها غزل كلنا بها نحب

وهكذا يمعن في وصف الخمرة ومجلسها وآلاتها وما يصاحب هذا
المجلس من انس وقصص ولهم وغناء . وكم صاحبنا اراد في هذه القصيدة
ان يعارض « شوقي » او قل ينافسه ، فأمير شعراء المشرق مولع بباب

المعارضات فقد عارض غير واحد من الشعراء الاقدمين فقد قال شوقي في

معارضة ابي نؤاس قصيده المشهورة والتي مطلعها :

حف كأسها الحب فهي فضة ذهب

وباب المعارضة تقليد محض قل أن يأتي فيه صاحبه بجديد يستلمح .

والعجب من هؤلاء المقلدين انهم لا ينفعون بالموضوع نفسه فيذهبون

يترسمون نماذج مشهورة فيسرون على هديها .

وبعد فهذا محمد الشاذلي خزنadar شاعر تونس او قل امير شعرائها

الذى ما كنا نعرفه كما لم نعرف سائر معاصريه من الاعلام الافريقيه ، فقد

قطع الاستعمار الفرنسي بين الشمال الافريقي وسائر اقاليم العربية فاصبحنا

لا نعرف نحن المشارقة عما كان عليه اخواننا الافريقيون من الناحية العلمية .

وقد اتيح لي ان الم بشيء من ذلك فأطلع عليه واسجل ما بدا لي من

نظرات في الادب التونسي الحديث .

عرض في التعليم التونسي بين القديم والجديد

لم يتهيأ لنا - نحن المشارقة - الاطلاع على ما كتب في تاريخ التعليم التونسي بصفة خاصة ، والشمالي الافريقي بصورة عامة ، الا ما كتبه ابن خلدون في « المقدمة » اذ عرض للموضوع في جملة فصول تكلم فيها على المواد العلمية مبينا ضرورتها ومكانتها في التاريخ الحضاري ، ووجه الصواب في تعليم هذه المواد وطرق الافادة في ذلك وجملة هذه الفصول تؤلف مادة تربوية جديرة بالوقوف عندها ، والنظر فيها ، وتفهم ما تنطوي عليه من أفكار جديدة ربما لم يتبه اليها علماء التربية الا في عصورنا المتأخرة . ولم يقتصر ابن خلدون في هذه الفصول على الاقوال العامة ، بل يتجاوز ذلك فيعرض لمسائل تدخل في صميم التربية المدرسية ، كما يعرض لآخرى هي من اختصاص الطرق الخاصة ، أو اصول التدريس في اصطلاحنا التربوي الحديث . فهو يتحدث في الفصل الثامن والعشرين عن « أن كثرة التأليف في العلوم عائقه عن التحصيل » فيقول : « اعلم أنه مما أضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك ، وحيئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها او اكثراها ، ومراعاة طرقها ، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها فيقع القصور⁽¹⁾ » فأنت ترى أنه قد عرض للموضوع بالنظر التربوي الناقد ، فقد تناول مشكلة هي من أخطر المشكلات ، وهي مشكلة الاصطلاح العلمي الذي تعددت الفاظه في زمنه بحيث أصبحت من الامور التي تسر على المتعلم وتشغل فكره ،

(1) مقدمة ابن خلدون (مصر ١٩٣٠ المطبعة الازهرية) ص ٤٧٠

ثم تناول كثرة التأليف فضرب مثلا « بالمدونة »^(١) وما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس واللخمي وابن بشير أو غيرها ، وكل ذلك مما يعيق المتعلم عن الوصول الى مادة العلم الصحيح في أمد غير طويل .

وفي الفصل التاسع والعشرين يبين ان « كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتعليم »^(٢) فيقول : « ذهب كثير من المتأخرین الى اختصار الطرق والانحاء في العلوم يولعون بها ويدونون منها برناماًجاً مختصراً في كل علم ، يشتمل على حصر مسائله وادلتها باختصار في الالفاظ ، وخشوا القليل منها بالمعانی الكثيرة من ذلك الفن ، وصار ذلك مخلاً بالبلاغة وعسراً على الفهم ، وربما عمدوا الى الكتب الامهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريراً للحفظ ، كما فعله ابن الحاجب في الفقه واصول الفقه ، وابن مالك في العربية والخونجي في المنطق ، وامثالهم وهو فساد في التعليم ، وفيه اخلال بالتحصيل ، وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتدئ بالقاء الغايات من العلم عليه ، وهو لم يستعد لقبولها بعد ، وهو من سوء التعليم كما سيأتي ، ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتبع الفاظ الاختصار العويسقة للفهم بتزاحم المعانی عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها ، لأن الفاظ المختصرات صعبة عويسقة ، فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت ٠ ٠٠٠ ثم يؤكّد ان النتيجة من التعليم في هذه المختصرات قاصرة ٠

ثم يدخل ابن خلدون الى موضوع من موضوعات اصول التدريس كما

(١) « المدونة » من امهات كتب الفقه المالكي المطولة ، ومن اول ما الفوجمع في هذا الباب ، وهي مجموعة ما روى وسمع عن الامام مالك والشرح على ذلك ، جمعها الامام ابو عبدالله محمد بن ابي سعيد سجحون ، واسمه عبدالسلام بن سعيد بن حبيب التنوخي ، مولده في القبروان سنة ٢٠٢ هـ وتوفي سنة ٢٤٠ (انظر طبقات علماء افريقيا ، الجزائر ، الجزء ١٣٥٢ هـ ص ١٢٩ ٠

نصطلح عليه في أيامنا ، فيتحدث في الفصل الثلاثين عن « وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته » فيقول : « اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا اذا كان على التدريج شيئا فشيئا ، وقليلا قليلا يلقي عليه أو لامسائل من كل باب من الفن هي اصول ذلك الباب ، يقرب له في شرحها في وجه الاجمال ، ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي الى آخر هذا الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم ، الا أنها جزئية وضعيفة ، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ، ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى أعلى منها ، ويستوفي الشرح والبيان ، ويخرج عن الاجماع ، ويدرك له ما هنالك من الخلاف ووجهه ، الى أن ينتهي الى آخر الفن ، فتجود ملكته ، ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عريضا ولا مهما ولا مغلقا الا وضمه وفتح له مغلده فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته ، هذا وجه التعليم المفيد ٠٠٠٠ »

ثم يعتقد ابن خلدون المعلمين في عهده فيقول : ان كثيرا منهم يجهلون طرق التعليم وافادته فيحضرون المتعلم في اول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه باحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم « وصوابا فيه ، ويكلفونه رعى ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غaiات الفنون في مباديهما ، وقبل ان يستعد لفهمها ، فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجا ، ويكون المتعلم اول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا في الاقل وعلى سبيل التقريب والاجمال وبالامثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه ، والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ، ثم في التحصيل فيحيط بمسائل الفن ٠٠ .^(١)

فانت ترى الى ابن خلدون في هذه الفصول ، معلم يجيد مهنة

(١) المقدمة ص ٤٧١ - ٤٧٢

التعليم ويعرف اسرارها ، وقد اكتشف بما كان له من اطلاع واسع ، وذهن ذكي ناقد ، الطرق التي ينبغي اتباعها في تعليم الطفل . ثم يعرض في الفصل الثاني والثلاثين « لتعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه » فيقول : « ٠٠٠٠٠٠ فاما أهل المغرب (المقصود المغرب الاقصى) فمذهبهم في الولدان الاقتصاد على تعليم القرآن فقط ، وأخذهم اثناء المدارسة بالرسم وسائله ، واختلاف حملة القرآن فيه ، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ، ولا من شعر ، ولا من كلام العرب الى ان يتحقق فيه او ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة ، وهذا مذهب أهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر امم المغرب في ولدانهم الى ان يجاوزوا حد البلوغ الى الشبيهة ، وكذا في الكبير اذا راجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره ، فهم لذلك اقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم ٠٠٠٠٠٠ وأما الاندلسر فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم الا انه كان القرآن أصل ذلك وأئمه ، ومنع الدين والعلوم ، جعلوه اصلا في التعليم ، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط ، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب ، والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب ، ولا تختص عنائهم في التعليم بالقرآن دون هذه ، بل عنائهم فيه بالخط اكثر من جميعها الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيهة ، وقد شد بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما ، وبرز في الخط والكتاب وتعلق باذیال العلم على الجملة ٠٠٠٠

وأما اهل افريقيـة^(١) فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها ، الا ان عنائهم

(١) المقصود بأهل افريقيـة أهل تونس ، وربما كان تونس والجزائر دون سواهم .

بالقرآن واستظهار الولدان آياته ووقفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه ، وعنياتهم بالخطتبع لذلك ، وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الاندلس ، لأن سند طريقتهم متصل بمشيخة الاندلس (٢) وهكذا يستمر في عرضه لطرق التعليم في مختلف المدارس فيعدّ امصار المغرب عامة بما فيها الاندلس ، ويحمل الكلام على المشرق بصورة عامة .

فابن خلدون في هذه الفصول يعرض للتعليم وطرقه دون أن يدخل في تفاصيل هذه الموضوعات . ونحن لا نملك من مادّة هذا الموضوع إلا هذه الفصول المجملة ولذا ينبغي أن نعرض لتاريخ التربية في القطر التونسي منذ الفتح الإسلامي لبيان كيف سار التعليم وكيف تطور ، وكيف استحال في عصوره المتأخرة قبيل الانتداب الفرنسي ، وطوال عهد الانتداب الذي دام قرابة ثمانين عاماً ، ثم نعرض لما قامت به الحكومة التونسية في عهد الاستقلال منذ سنة ١٩٥٦ .

ولا بد أن نعرض للقيروان التي احتطها المسلمون عند الفتح الإسلامي ، فقد كانت مركز الثقافة العربية الإسلامية ، ذلك أن سفيان بن وهب دخل إلى إفريقية خلال عام ثمان وسبعين في خلافة عبد الملك بن مروان ، وكانت بها يومئذ كتاتيب وكان ذلك بعد تأسيس القيروان بربع قرن . حكى بن أبي شبيب قال : كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمر علينا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا في الكتاب وعليه عمامة قد أرخها من خلفه ، (١) .

وقد استعمل عمر بن عبد العزيز اسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي

(١) المقدمة ص ٤٧٥ - ٤٧٦ .

(٢) ابن الدباغ ، معلم الآیمان ١/١٢٠ عن رسالتة المعلمين محمد بن سحنون نشر حسن حسني عبدالوهاب تونس ١٣٤٨ .

مؤدب اولاد عبد الملك بن مروان ، على افريقيية سنة ١٠٠ للهجرة^(٢)، واختيار عمر بن عبد العزيز لاسماعيل الذي كان مؤدبا لولاد عبد الملك بن مروان ، امر له قيمة خاصة ، فقد ذكر ابن العذاري : « وما زال اسماعيل حريصا على دعاء البربر الى الاسلام حتى اسلم بقية البربر بافريقيية على يديه في دولة عمر بن عبد العزيز ، وهو الذي علم اهل افريقيية الحلال والحرام ، وبعث معه عمر عشرة من فقهاء التابعين منهم عبدالرحمن بن نافع وسعید بن مسعود التجيبي »^(٣) .

ولقد ذكر ابن خلدون ان الولدان كانوا يلقنون القرآن في هذه الكتايب ، ويروى المقدسي ابو عبدالله محمد بن البناء البشاري لما زار البلاد الافريقيية في حدود سنة ٣٧٠ هـ وجدها كلها لا تقرأ الا بقراءة نافع على طريقة اهل مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، قال : « وأما القراءات في جميع أقاليم المغرب فقراءة نافع حسب »^(٤) . كما نقل الفاضي عياض في ترجمة ابى العباس احمد بن طالب القيروانى صاحب محمد بن سحنون ما يأتي : « وذكر ابو عمرو الدانى في كتابه : ان ابا طالب اقام قضايه أمر ابن برغوث المقرىء بجامع القيروان الا يقرى الناس الا بحرف نافع »^(٥) .

وقد تحدثوا عن أمور التعليم فتناولوا مسائل كثيرة فقد ذكر الوشريسي : « وسئل ابو طيب عبد المنعم بن خلدون الكندي (المتوفى في القيروان سنة ٤٢١ هـ) هل يجلس المعلم من الصبح الى المغرب او عند طلوع الشمس الى عند الاسفار ، فأجاب : أما وقت جلوس المعلم وقيامه

(٢) ابن عساكر ، التاريخ ٣٠٨/٢ .

(٣) ابن العذاري ، البيان المغرب طبعة ليدن ٣٤/١ .

(٤) المقدسي ، أحسن التقاسيم (ليدن ١٨٧٧) ص ٢٣٨ .

(٥) القاضي عياض ، (ترتيب المدارك ٢٧٥/١) من مخطوطات العلامة السيد حسن حسني عبدالوهاب .

فيحسب العرف ، وما تعااهده أهل التعليم في بلد^(٦) .

وقد تحدثوا عن المعلم وكيف يجب أن يكون وما يلزم أن يتصرف به من صفات ، فقد قال الإمام القابسي : « ينبغي أن يكون المعلم مهيبا لا فسي عنف ، لا يكون عبوسا مغضبا ، ولا مبسطا مرفقا بالصيانت دون لين ، وينبغي أن يخلص أدب الصيانت لمنافعهم »^(١) .

ومن الطريق أن تذكر في هذا الباب ما أوصى به عتبة بن أبي سفيان معلم أولاده حين سلمتهم إليه ، قال عتبة - رضي الله عنه - : « يا عبد الصمد ليكن أول اصلاحك لولدي اصلاحك لنفسك ، فإن عيونهم معقونة بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتراكمون ، ولا تتركهم فيه فيه جرود ، وروهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أفعه ولا تنقلهم من علم إلى آخر حتى يحكموه ، فإن ازدحام الكلام في السمع مشغله في الفهم ، وعلمهم سير الحكماء وآدلة الأدباء ، وهددهم في أدبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يتعجل بالدواء قبل معرفة الداء ، واستزداني بزيادتك أيها زدك في بري ، واياك أن تتتكل على عذر مني فقد اتكلت على كفاية منك »^(٢) .

وفي هذه الكلمات الحكيمية فهم خاص دقيق لاصول التعليم ، وكيف يجب أن يباشرها المعلم ، وكيف يعلم الأولاد فينتقل في تعليمهم من مرحلة إلى أخرى ، وماذا يجب أن يهتموا لهم من المواد ، والطريقة التي ينبغي أن يقدم فيها تلك المواد ، كما أشار إلى العقوبة وكيفية استعمالها وألا يباشرها قبل التهديد بها (الأدب) . كما لم يوصوا بالعقاب البدني وشددوا النكير

(٦) الونشريسي ، المعيار ١٥٢/٨ . والامام القابسي هو ابو الحسن بن خلف المعافري من كبار أئمة الحديث والسنّة بالقیروان ، توفي سنة ٤٠٣ هـ .

(١) المصدر السابق ١٥٧/٨ عن كتاب آداب المعلمين .

(٢) الشريسي ، شرح المقامات ٣٤٩/١

عليه ٠ قال سخنون لعلم ابنه : « لا تؤدب الا بالمدح ولطف الكلام ، فليس هو من يؤدب بالضرب والتعنيف »^(٦) ٠

وقد عقد ابن خلدون فصلا على هذا الموضوع فأشار الى أن الشدة على المتعلمين مضره بهم ، قال : « ان ارهاف الجسد في التعليم مضر بالتعلم سيما في أصغر الولد لانه من سوء الملكة ، ومن كان مرباه بالعنف والقهر من المتعلمين او المالك او الخدم سلطبه القهر ، وضيق على النفس انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه الى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره ، خوفا من انبساط الايدي بالقهر عليه ، وعليه المكر والخدعه صارت له هذه عادة وخلقها ، وفسدت معانى الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن ، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصار عيلا على غيره من ذلك ، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقضت عن غايتها ، ومدى انسانيتها ، فارتكس وعاد الى أسفل السافلين » ٠

ثم قال : « فينبغي للمعلم في معلمه والوالد في ولده ألا يستبد عليهم في التأديب ، وقد قال : محمد ابن ابي زيد (وصوابه محمد بن سخنون صاحب رسالة المتعلمين) في كتابه الذي الفه في حكم المتعلمين والمتعلمين : لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة اسواط شيئا ٠ »^(١) ٠

ونقل ابن خلدون عن مروج الذهب للمسعودي ما حكاه الاحمر النحوي عن نفسه ، قال : بعث الى الرشيد لتأديب ولده محمد الامين فلما دخلت عليه الفت الي وقال : يا أحمر ان أمير المؤمنين دفع اليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبك ، فصبر يدك عليه مسوطة ، وطاعتكم عليه واجبة ، فكن

(٣) ابن السباغ ، معالم الایمان ٨/٢

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ص ٤٧٧ - ٤٢٨

له بحيث وضعت أمير المؤمنين ، أقرّه القرآن وعرفه الآثار ، وروه الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره مواقع الكلام وبدعه ، وامتنعه الضحك إلا في أوقاته ، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مقتضى فيها فائدة تفيده أيها من غير أن تحزنه فتmit ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلّي الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملابنة ، فان أباهمـا ، فعليك بالشدة والغلظة وبالله توفيقكما^(٢) .

ولم يغب عنهم من أمور التعليم شيء فقد فطنوا إلى أن المتعلم الصغير لابد أن يستعان على تعليمه بشيء من الراحة واللعب ، وذلك أنه يترك و شأنه في فرص معلومة ، يلهو ويلعب ثم يعود إلى الدرس ، فقد حكى متعب بن أبي الأزهر ، من علماء القیروان في القرن الثالث الهجري قال : قال لي أبو القاسم عبدالله بن محمد : وما حال صبيانكم في الكتاب ؟ قلت له : ولع كثیر باللعب ، فقال : ان لم يكونوا كذلك فعلم عليهم التمام^(٣) .

وهو يريد من ذلك أنه لا ينتهي الولدان عن اللعب إلا المرض .
والإمام الغزالى من فلاسفة المسلمين في الشرق الإسلامي قد تناول هذه الناحية فقال : « ينبغي أن يؤذن للصبي ، بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً ليستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب ، فان منع الصبي من اللعب وارهاقه في التعلم دائمًا يحيط قلبه ، ويبطل ذكاءه وينقص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً»^(٤) .
وممن المفيد ان نعرض لكتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون

(٢) المسعودي ، مروج الذهب (مصر ١٣٠٣) ١٩٥/٢ .

(٣) القاضي عياض (المدارك ترجمة متعب بن أبي الأزهر القیرواني) مخطوط .

(٤) الغزالى ، احياء علوم الدين الجزء الثالث (فصل رياضة النفس وتهذيب الاخلاق) .

التتوخي^(٢) ، وهو ما دونه عن أبيه في شؤون التعليم في القيروان ، في النصف الأول من القرن الثالث الهجري ، والقيروان يومئذ دار السنة ، ومحطة طلاب العلوم الشرعية من سائر أنحاء المغرب والأندلس .

يعرض ابو عبدالله محمد بن سحنون لما جاء في تعليم القرآن^(٣) فيذكر الاحاديث التي ألزمت تعلم القرآن . ولا يفوته في ذلك الاسانيد على طريقة المتقدمين من علماء الحديث ، كقوله - صلى الله عليه وسلم - « افضلكم من تعلم القرآن وعلمه » ، وكقوله « خيركم من تعلم القرآن » .

ثم يعرض لما جاء في العدل بين الصبيان فيذكر قوله - صلى الله عليه وسلم - : « أئمأاً مُؤدب ولِي ثلَاثةَ صَبَّانٍ مِنْ هَذِهِ الْأَمَّةِ فَلَمْ يَعْلَمْهُمْ بِالسُّوَيْةِ فَقَيْرَهُمْ مَعَ غَنِيهِمْ ، وَغَنِيهِمْ مَعَ فَقِيرِهِمْ حَشَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْمَخَاتِنِ » ، وقوله : « اذَا قُوْطِعَ الْمَعْلُومُ عَلَى الْاجْرَةِ فَلَمْ يَعْدُ بِنَاهِمْ (يعني الصبيان) كَتَبَ مِنَ الظُّلْمَةِ »^(٤) .

يتحدث عن الادب (والمراد به العقوبة) وما يجوز من ذلك وما لا يجوز .

قال : وحدثنا عن عبد الرحمن عن عبيد بن اسحاق عن يوسف بن محمد قال : كنت جالسا عند سعد الخفاف فجاءه ابنه يبكي ، فقال : يابني ما يبكيك ؟ قال : ضربني المعلم ، قال : أما والله لا حدتكم اليوم ، قال : حدثني عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « شرار أمتي معلمو صبيانهم ، أقلهم رحمة للبيتيم ، وأغلظهم على المسكين » .

قال محمد بن سحنون : وإنما ذلك لأنه يضر بهم إذا غضب ، وليس

(٢) كتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون نشر السيد حسن حسني عبد الوهاب تونس ١٣٤٨ هـ .

(٣) كتاب آداب المعلمين ص ٤١ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٢ .

على منافعهم ولا يأس ان يضر بهم على منافعهم ، ولا يجاوز بالادب ثلاثة ، والا
أن يأذن الاب في اكثر من ذلك ويؤدبهم على اللعب والبطالة ، ولا يجاوز
بالادب عشرة ، وأما على قراءة القرآن فلا يجاوز ادبه ثلاثة ٠ قلت ولم
حددت عشرة في اكثر الادب في غير القرآن ، وفي القرآن ثلاثة ؟ فقال :
لان عشرة غاية الادب ، وكذلك سمعت مالكا يقول : وقد قال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - : « لا يضرب احدكم اكثر من عشرة اسواط الا في
حد »^(١) وهكذا يأتي بسائر الاحاديث التي تقييد الادب بحدوده ولا
تجاوزها ٠

ثم يتحدث عما جاء في الختم وما يجب في ذلك للمعلم ، كأن يهدى اليه
شيء مكافأة له واعترافا ٠ ويعرض في ذلك لما قيل في الموضوع ، وما حدث
فيه من امور سابقة ، وما نص على ما جاز منه وما لا يجوز ٠

كما يعرض لواجبات المعلم نحو الصيان ، وما يجب ان يعلمه ،
وكيف يشغل وقته في تعليمهم ، والمواد التي يحسن به ان يعلمه زبادة على
القرآن والخط ، وما يتعلق بذلك من تجويد القراءة باتباع الاصول في
اللغة ، كأن يبصرهم بالجيد من الشعر وأخبار الادب ٠ ويتحدث كذلك
عن واجبات الصيان نحو معلمهم وكيف يجب ان يسلكوا ٠

وطريقة الكتاب ان محمد بن سحنون يعرض للاسئلة التي سئل عنها
أبوه فأجاب عن ذلك مما يتصل بأمور التعليم في تلك الفترة ، وما سجله في
« المدونة » من هذا الموضوع وما حدث على عهد الامام مالك ، فقال فيه ما
قال ٠

ولم تبق القبروان وحدها مركزا للثقافة ، ومجتمعا للعلماء والدارسين
في ديار المغرب ، فقد ظهرت تونس حاضرة البلاد المعروفة ، وظهر جامع
الزيتونة ، ويمثل جامع الزيتونة معهد التعليم العالي ٠ بناء عبدالله بن

(١) المصدر السابق ص ٤٣ ٠

الحجاج سنة ١١٤ هـ تخليداً لذكرى انتصاراته في غزواته الكثيرة^(١) . واتم بناء على الشكل الحاكي ابو العباس محمد بن الاغلب على عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله ، وصار معهد افريقيه العلمي على عهد ابي زكريا الاول الملك الحفصي في اوائل القرن السابع . وجلب اليه الاساتذة من طرابلس مثل عبد الحميد بن ابي الدنيا ، ومن صقلية مثل آل الصقلي الاطباء ومن الاندلس مثل ابن عصفور النحوي ، وابن سعيد وابن البار المؤرخين وحازم القرطاجني وابن أبى الحسين الأدبىين وابن القصار والبطرينى الفقهىين . وقد تخرج من الزيتونة في هذا العصر الحفصي نخبة من العلماء منهم عبدالرحمن بن خلدون . وقد من جامع الزيتونة بأزمة شئت عن سقوط الحفصيين واستيلاء الاسبان فصار العلماء يهاجرون إلى المشرق . ثم جاء الاحتلال التركى فحاول الاتراك ان ينشروا المذهب الحنفى فشجعوه على حساب المالكية ، وصارت التركية لغة التعليم بالزيتونة ، فلم يرض الناس بذلك ، فجاء عثمان داي فاصلاح التعليم بالجامع ، وجعل التعليم الحنفى مقصوراً على المدارس الحنفية ، وعادت الزيتونة إلى سالف مجدها ، وجيء بيهاجرة الاندلس من الاساتذة ليدرسوا فيها . واعتنى الامراء المراديون بإنشاء الجامع وجعلوها على غرار الزيتونة ، فأسس عثمان داي جاماً اتخذ منه مدرسة (١٠١٧ - ١١١٧) .

ثم جاء الطور الحسيني : ١١١٧ - ١٢٣٠ فانتقلت السلطة إلى حسين بن علي التركى . فصرف همه لاصلاح شؤون الدولة عامه والى اصلاح التعليم خاصة ، وتناول هذا الاصلاح التعليم الزيتوني ، على انه مهما قيل في هذه الحركة الاصلاحية فقد هبط مستوى التعليم في هذا العصر التركى إلى مستوى واطئ بالقياس إلى ما كان عليه أيام الحفصيين من حيث عمق

(١) انظر محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب لعثمان السكعاك (معهد الدراسات العربية العالمية في جامعة الدول العربية ١٩٥٨) ص ٨٨ - ١١١ .

التعليم ، ومن حيث اختلاف المواد التي تدرس وتنوعها ، فقد كان التعليم يشمل العلوم العقلية والرياضية والطب والفلك ، بالإضافة إلى العلوم الدينية والعربية . أما في عصر الحسينيين فلم يبق إلا القليل من كل هذا . كما أن هؤلاء الحسينيين لم يصلوا بالتعليم إلى المستوى الذي كان عليه في أيام المراديين ، فقد احتفظ هؤلاء بكثير من العلوم التي كانت تدرس على عهد الحفصيين ، وهذا راجع إلى أنهم من كرسكا ، وأن ثقافتهم أوربية ، كما ان للمجالية الاندلسية المهاجرة إلى تونس الفضل في الاحتفاظ بهذا المستوى العلمي الرفيع .

وهكذا ظلت الزيتونة المعهد التونسي العالي طوال هذه الاحقاب المتعاقبة والتي شهدت فيها تونس عدة أسر حاكمة^(١) .

ولقد قامت الزوايا والربط بقسط آخر في التعليم الديني ولاسيما ما يتصل منه بالعلم الصوفي . كما أن الكتايب ظلت تعاصر الزيتونة ، وربما قدمت للزيتونة الطلاب بعد تزويدهم بالقسط اليسير من التعليم كتعليم القرآن والخط وشيء يسير آخر يتعلق بتجويد النطق والتلفظ .

وظلت الزيتونة محافظة على مركزها الثقافي طوال مدة الاحتلال الفرنسي ، وقد كانت عاملا حفظ لتونس شخصيتها وقوميتها ومجدها ، ولو لا هذه الزيتونة العاملة لذهبت اللغة العربية ، ولصارت حال العربية في تونس حالها اليوم في الجزائر وهكذا كانت الزيتونة مركزا يذكى في قلوب التونسيين حماسا وغيره ، ويذكرهم بامجادهم ويبعث فيهم روح الاندوز عن الوطن وتخليصه من ربة الاستعمار البغيض .

(١) انظر محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب لعثمان السعاك (معهد الدراسات العربية العالمية في جامعة الدول العربية ١٩٥٨) من ٨٨/١١١ .

حال التعليم قبيل الاستقلال :

أما حال التعليم قبيل الاستقلال فهو ينحصر في أربعة اشكال من المؤسسات التعليمية هي : -

١ - مؤسسات قديمة جداً ، وهي تشمل جامع الزيتونة والزوايا والكتاتيب القرآنية °

٢ - مؤسسات احدثت في القرن التاسع عشر ، وبصفة خاصة قبيل الاحتلال الفرنسي ، وقد احدثت هذه المؤسسات قصد مسيرة الزمن ، والأخذ بأسباب التقدم العلمي الذي بلغته الحضارة الغربية في ذلك الحين ، وقد بقى من هذا النوع « المعهد الصادقي » الذي أسسه الوزير المصلح خير الدين ليجعل منه نواة نهضة علمية حديثة ° أما بقية المعاهد الأخرى فقد قضى عليها الاستعمار °

٣ - مؤسسات حديثة حرة للتعليم الابتدائي والثانوي ، أحدثتها المثقفون من الشباب التونسي ، احساساً منهم بخطر الاستعمار الثقافي ، فأندفعوا يقاومون هذا النوع من الاستعمار عن طريق نشر الثقافة الحديثة °

٤ - مؤسسات رسمية ، وهذه احدثت بعد الاحتلال ° ووُضعت برامجها وأهدافها في خدمة الاستعمار وسياسته الثقافية الخاصة بتونس وسائر اقطار المغرب العربي °

أما الزوايا والكتاتيب فهي أثر من آثار الماضي القديم الذي لم يعد يصلح لهذا العصر ، ومهمة هذه المراكز تعليم القرآن ليس غير °

أما جامع الزيتونة فله مكانة خاصة ، وفضله لا يجحد ، وقد سبق الكلام على هذه الناحية ، غير أنه مهما قيل في هذا الموضوع فقد انبرت جماعة كبيرة إلى القول والمناداة باصلاح التعليم الزيتوني الذي لم يعد كافياً لاحتاجات العصر الحديث ، فكان هناك مجلس اصلاح التعليم الزيتوني ،

وأقيمت في هذا الباب ما قيل ، وتنوعت الآراء ، واختلفت الطرق ، وبقيت هذه المشكلات قائمة حتى جاءت فترة الاستقلال الوطني سنة ١٩٥٦ فـولجت هذه المشكلة على نحو سـنعرض له بعد قليل .

وأما المعهد الصادقي فهو معهد ثانوي أريد له أن يكون مناظراً للتعليم الحديث في الأمم المتحضرة المتقدمة ◦ على أن هذا المعهد وان اتبع الاساليب الحديثة ودخل العلوم العصرية ، فقد امتدت اليه ايد عابثة فخضع للادارة العامة كما خضع غيره ◦

وأما النوع الثالث فهو التعليم الحر ، والذي انشأه الواقعون من الشباب المثقف التونسي الذي شعر بخطر الاستعمار الثقافي ، فعمد إلى هذا النوع من المعاهد الحرة ، غير أن الاستعمار لم يترك هذه المعاهد وشأنها ، فصار يتدخل فيها حتى خضعت في جملة ما خضع للنفوذ الإداري الرسمي .

اما التعليم الرسمي فيشمل مؤسسات انشأها الاستعمار ، ورسم لها سياسة خاصة فيها غاياته وأهدافه ، فهي لا تكترث بالشخصية التونسية ، ولا تهتم بتاريخ تونس ومكانتها بين الامم ، ثم ان لغة التعليم في هذه المؤسسات الفرنسية ، اما العربية فحصتها ضعيفة لا تتحقق شيئاً ، وينشأ عن هذا ازدواج لغوي لا تتحمله قابليات الاطفال الضعيفة ، لاسيما في التعليم الابتدائي ، وفي هذا جور على اللغة القومية ، واهمال للتراث القومي .

وهذه المؤسسات مقتصرة على التعليم الابتدائي والثانوي ، فليس هناك
تعليم مهني زراعي او صناعي ، وليس هناك معاهد لاعداد المعلمين والمعلمات .
ونخلص من كل ذلك الى أنه لم يكن في هذه الفترة أثر للتعليم
العالي على مستوى الكليات المعروفة في التعليم الحديث .

حتى إذا اطل فجر الاستقلال ، وجد التونسيون أنهم قد ورثوا تركيبة

مثقلة بالمشكلات والصعب ، فالتعليم في حالي على عهد الحماية تعليم ناقص ، رسمه المستعمرون محققاً لأهدافهم ، ومن هنا بدأت الدعوة من جديد إلى اصلاح التعليم ، وهذه الدعوة جادة ماضية ، ولكنها لم تتحقق كل ما أريد تحقيقه ، فالصعوبات كثيرة ، والمشكلات تتطلب دراسة طويلة الامد ، ومساوىء الماضي ثابتة محكمة القواعد ، وهكذا فلم يتحقق كثير من الاصلاح .

غير ان الاصلاح قد تناول الزيتونة ، ذلك ان الزيتونة وما يتبعها من معاهد كانت تضم أكثر من خمسة عشر الف طالباً ، وفي هذا عبث كثير ، وتعطيل للقابليات في رأي دعاة الاصلاح ، لأن البلد يحتاج إلى المختصين في العلوم الحديثة لبناء الاستقلال الجديد ، وليس من المفيد تجنيد مثل هذا العدد في الدراسة الدينية العربية . ولكن الدعوة إلى اصلاح الزيتونة قد بولغ فيها ، وكان القوم قد أخذوا بتيار مجازاة العصر ، وكان هذه المجازاة قد فرضت عليهم تصفية الزيتونة العامرة ، والغاء التعليم الزيتوني ، ولتحقيق هذا الغرض أسست معاهد ثانوية تستقبل العدد العديد من الزيتونيين ، وزودت بمناهج خاصة ، تلائم وما كانوا قد زودوا به من مواد ، وكانت هذه المعاهد على صفين : صنف اطلق عليه « التعليم العلمي » وهو الذي ظل أقصى من الآخر بالتعليم القديم ، الا ما اضيف له من مواد جديدة في شكل موجز سهل . وصنف أطلق عليه « التعليم العصري » وهو أقرب إلى نهج المدارس الثانوية من الأول ، وفي كلا الصفين يفسح المجال للعربية على شكل واضح يحقق الغرض المطلوب . الا ان لهذين الصفين غاية مرسومة هي تخریج العدد المتبقى من الطلاب الزيتونيين ، الذين يقلون كلما تخرجت فئة منهم وهكذا يتم تخریج هذا العدد فتتهي هذه الدراسة التي اصطنعت لمعالجة هذه الحالة الطارئة .

وقد تركت هذه الحالة ألمًا دفينًا في نفوس التونسيين الذين يرون في

الزيتونة مجدًا باذخا قصد تقويضه، وهكذا تأزمت الحال فنشأ حماس لا يخلو من حقد ومضض بين الزيتونيين والمنادين بالاصلاح، وهؤلاء هم الذين يصرفون شؤون التربية القومية ، وجل هؤلاء من الذين درسوا في معاهد فرنسا ، وهم من اجل ذلك يتغببون للثقافة الفرنسية ، او قل للنمط الحديث في التربية ممثلا في الثقافة الفرنسية ، وهؤلاء ماضيون في هذه الدعوة وان كانت على حساب القيم القومية ، والشخصية التونسية . ولقد قام الجدل حول هذا الموضوع في الفترة الاخيرة على صفحات مجلة « التجديد »^(١) ، فقد انبى جماعة من هؤلاء الجدد ذوي الثقافة الفرنسية ، فنادوا بالأخذ بمقومات الشعب التونسي ، والرجوع بالمناهج الثقافية الى طريق يحقق الشخصية التونسية بتاريخها وتراثها ضمن اطار الحضارة العربية الاسلامية، وكأن هؤلاء يردون على التيار الذي أخذ المسؤولين الذين آمنوا بالتجديد والاصلاح على هذا التحو .

اما المدارس الابتدائية والثانوية فقد سير فيها على النهج الفرنسي ، ولم يفلحوا في تحقيق الاصلاح المنشود ، فقد بقيت اللغة الفرنسية في طائفة كبيرة من هذه المعاهد لغة تفوق العربية من حيث العناية بها ، ومن حيث عدد الساعات التي تخصص لها . كما ان طائفة كبيرة من المدارس الثانوية مازالت تقرأ المواد بالفرنسية ، ومن جملة ذلك مادة التاريخ الاسلامي ومادة الجغرافية . وبعد حوادث بنزرت سنة ١٩٦٠ حاولوا ان يجعلوا للعربية ما للفرنسية من عدد الساعات تحقيقا لشيء من الاصلاح المنشود .

وقد تستغرب هذه العناية بالفرنسية على حساب اللغة القومية ، ولكنهم يجيرون على استغرايك واستفهماك بأنهم مضطرون على ذلك ، فليس الاصلاح بالشيء السهل بعد استعمار دام ثمانين عاما ، وأنهم لا يملكون العدد الكافي من المدرسين والمعلمين الذين يجيدون العربية ، فإذا أريد تدريس

الحساب او الهندسة بالعربية فليس من السهل تهيئة المدرسين للقيام بهذا العمل ٠ وهكذا يستعان بالفرنسيين على القيام باعباء التدريس ، وقد يحدث ان يقوم فرنسي بتعليم مادة التاريخ الاسلامي ٠ ولا بد أن نشير هنا الى مشكلة التعريب ، وتعريف المناهج او قل توسيتها يتطلب معرفة جيدة بالعربية ، وهذا غير ميسور في الوقت الحاضر للنقص الشديد في العناصر المكونة تكوينا عربيا ، ومن أجل ذلك ، ترى الدوائر الرسمية تتخذ الفرنسية لغة لها ، وفي ضمن ذلك وزارة المعارف ٠

ويتجزء عن هذه المشكلة مشكلة الكتب المدرسية ، فهي اما فرنسي مطبوعة في تونس ، وهذا قليل جدا ، واما فرنسيية ألفت للطلاب الفرنسيين في فرنسا فاتخذها التونسيون كتابا لهم ٠

ومن الاعمال التي قام بها المسؤولون في فترة الاستقلال ، انشاء الجامعة التونسية ، وتشتمل هذه على كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، وكلية الحقوق ، ودار المعلمين العليا ، وكلية العلوم ، وكلية الشريعة ، وكأن هذه الاخيره استدرك لما وقعوا فيه من تصفية الكلية الزيتونية العتيقة ، وفي ذلك ارضاء للساخطين الحاذدين ٠ وبرامج التعليم في هذه الكلية - عدا كلية الشريعة - مشابهة لبرامج التعليم الفرنسي العالي ، يشمل ذلك المواد التي تدرس ، وعدد السنوات وطريقة التدريس ، ونظام الشهادات ، ودبلوم الدراسات العليا ، والذين خبروا الدراسة في معاهد فرنسا يعرفون هذه المصطلحات وقيمتها Certificat ٠

اما اللغة في التعليم العالي فهي فرنسيه بصورة عامة ، الا المواد العربية التي تدرس في كلية الآداب ودار المعلمين العليا ، فهي تباشر بالعربية ، كما يستعن بالفرنسية ان طرأ حاجة ، كأن يكون الامر مختصا بمصادر فرنسيه ، او مناقشة لرأي عالم من الاعاجم المستعربين ٠ ولا تستغرب اذا قلت لك : ان النظم الاسلامية وهي مادة من المواد التي تدرس في قسم

الاجتماع ، تعطى بالفرنسية ، والذى يعطيها تونسي مسلم ، وحيجتهم فى ذلك ان هذا القسم يتبع جامعة باريس .

ولابد من كلمة أخيرة منصفة ، وهى ان التونسيين وعلى رأسهم المسؤولون الرسميون ، شاعرون بخطر المشكلة الحاضرة ، فهم يولونها الدرس والعناية ، ولكنهم لا يستطيعون التعجل والاسراع ، والمشكلات كثيرة آخذة بالخناق ، وان تركبة عهد الاستعمار ثقيلة مجده ، وان هذه الشمانند سنة من حكم استعماري غاشم ظالم ، كفيلة بخلق هذه الحال المؤسفة ، ومن خبر الاستعمار الفرنسي وطرقه اللعينة عرف الامر وحكم بانصاف للتونسيين ، ومن سار على الدرب وصل .

رسالة في السمسرة والسمار وأحكامه
لابي العباس الابياني التونسي
المتوفى سنة ٣٥٢ هـ

مقدمة

التعريف بالمؤلف

أبو العباس عبدالله بن أحمد بن ابراهيم بن اسحق المعروف
بالأبياني كما جاء في « المدارك » للقاضي عياض كذا يقال بكسر الهمزة
وتشديد الباء ، ويقال صوابه تخفيفها ، التميمي تفقه بيهى بن عمر وأحمد
بن أبي سليمان وحمديس ويحيى بن عبد العزيز وحماس بن مروان
وغيرهم ، وصلحية لقمان بن يوسف وعبد الله بن عامر وذاكر أبا بكر بن
اللباد يروي عنه الاصيلي وأبو الحسن اللواتي وعمرون بن محمد وعبد الله
ابن أبي رزيق وسعيد بن ميمون وأبو القاسم بن زيد وأبو على الصولي
وعيسى ابن سعادة القابسي وأبن زيد ، رحمهم الله ، وغيرهم ، قال بعضهم
كان أبو العباس عالم أفريقيا غير مدافع ، قال بعضهم : كان من شيوخ أهل
العلم وحافظ مذهب مالك قال ابن حارث : هو شيخ من أهل الصيانة
والانقباض حليما نيلا فصيحا عالما بما في كتبه حسن الضبط جيد الاستنباط ٠

كان الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رضى الله عنه اذا انزلت به نازلة
مشكلة كتب بها اليه يبينها له ، وما وصل الى مصر تلقاه نحو أربعين فقيها
لم يكن فيهم أفقه منه ، وقال أبو اسحق بن شعبان : ما يزال بالغرب عالم
مادام بين أظهرهم ، وما عدا النيل ، منذ خمسين سنة أعلم منه ، وقال أبو
حفص بن عمرون ، صحيحت الحسن بن نصر وغيره وذكر من أحوالهم

وفضائلهم فما رأيت بالشرق ولا بالغرب مثل أبي العباس يفضل المسائل كفضيل الجزاز الحاذق الدحم وكان يحب المذاكرة العلم ويقول : دعونا من السمع ألقوا علينا المسائل ، وربما دخل عليه أصحابه وهو ملتات فإذا أخذنا في المذاكرة زال تياته وظهر نشاطه ، وكان يدرس كتاب ابن حبيب وكما ابن اللباد اذا ذكره يضجر لكثره ودقة فهمه فيسر به أبو العباس ، وذكر اللواتي أنه قرأ على أبي العباس في الواضحة صدرا من كتاب البيوع فقال له : بقي من الكتاب حديث كذا ومسئلة كذا ، وذكر أحاديث ومسائل فنظرت فلم أر شيئاً ثم تأمنا فإذا ورقان قد التصقتا وتجاوزناهما فإذا في الصفحتين كل ما ذكره فعجبنا من حفظه . وكان قليل الفتوى . ذكر فضائله واخباره رحمة الله : لما حجَّ في زمن كافور دخل الجامع بمصر فوquette عليه أعين ابن القرطي فقال هذه مشية فقيه وكان قد فاتته صلاة العصر فأحرم . وابن القرطي ينظر اليه فقال احرام فقيه ، فلما صلَّى كان بجواره رجل من اهل العلم فتحدث معه ثم قال كيف رأيت مصر ؟ قال رأيت ظلماً ظاهراً ، وكان كافور قد جبس بغال الناس فرفعت رقعة بمقابلة إلى كافور وكان يجلس يوم السبت للمظالم ويجلس معه الفقهاء وفيهم ابن شعبان فلما جلسوا اذا بالرقعة ، فقال كافور : من المتكلِّم بهذا ؟ وكان الخبر قد وصل الى ابن شعبان وحضر على رؤيته ، فقال ابن شعبان هُوَ أبو العباس الابياتي ما عدا النيل منذ خمسين سنة أعلم منه .

قال كافور : تطلق بغال الناس ويبيعون في السوق ان شاؤاً فما أردنا اشترينا فكرة دعاء المغاربة لا بي العباس وعرف أبو العباس بمقال أبي اسحق فركب إليه فلما رآه أبو اسحق وتب من مجلسه وأجلسه فيه ، ثم ذكره في اشياء ، ثم قال له : انت اليوم ضيف فقال له أبو العباس : تعلم انه لا ضيافة على أهل الحضر ، فقال أبو اسحق ابن عبد الحكيم : عليهم الضيافة ثم قال

أبو اسحق في المذكرة ؟ فقال له : ذلك اليك فقال له : أو ندع للصلح
موضعا فقال له : ذلك اليك .

وقيل : ان أبا اسحق القى عليه لما أكمل الصلاة في الجامع عشر مسائل
فاجابه في تسع وأخطأ في العاشرة . وقال بعضهم : بل ما أجاب به كان
الصواب والمسئلة المدبر يقر بالجناية في حياة سيده ثم يموت سيده والجواب
فيها أنه ينظر فان كان قد اختدمه سيده بمثيل ما يختدمه المجنى عليه فسي
حياته فلا شيء على المدبر ، وان كان اختدمه السيد بمثيل نصفها بقى عليه
نصف الجنائية ، وعلى هذا الحساب قال عبدالله بن ابي زريق : تجب ان
قلت قلت نعم ، قال : فلتكن نفسك عندك أهون من الزبل الذي على
المزبلة . وكان اسماعيل « رضي الله عنه » أشیخص فيه ل يوليه القضاء فعرضه
عليه فامتنع فأوقفه اسماعيل اياما يقتفي أمره ، ويدرس عليه من يسمع كلامه
وادخله على نفسه فدخل عليه في زي بدوي حافيا ونعلاه في يده ، وكان
قد سبق الى السلطان من قدم من أحواله فلما راه السلطان بتلك الهيئة
صدق ما قاله القائل فعرض عليه فامتنع فعفا له ، وخرج من عنده عشاء متوجها
الى تونس لحينه فخافة ان يbedo له في أمره فعفا الله تعالى . وقيل ان الذي
أراد ان يوليه القضاء معد ، وكان غداء أبي الباس نصف حجلة شرد له في
نصف خبزة ، وكان متحفظا في طعامه كثير الحمية ورأى رؤيا تدل ان في
طعامه شيئا ، فسأل عن الخبز فلم يجد شيئا . وتد سئل يوما عن فقيهين من
 أصحابه وتلاميذه ، وهما أبو القاسم بن زيد وسعيد بن سحنون ، أيهما
أفقه انما يفضل بين عالمين من كان أعلم منهما ، وكان رحمه الله يقرأ السبع
كل يوم وما استكمل حفظ القرآن الا وهو ابن سبعين سنة ، قال بعضهم
كنا عند أبي العباس حتى جاء عطية الجزري العابد فنظر يمينا وشمالا ، ثم
انصرف وهو يقول : ما هنا من اصحابنا احد فصاح أبو العباس عليه ، فرجع
ثم قال له : وما نحن من اصحابك واندفع في البكاء ويكرر قول عطية ويقول :

من اين تكون من اصحابك وانت تأني القبروان وعليك تليس وطرا بلس
 وعليك تليس ومصر وعليك تليس ونحن نتخد للحاضرة ثيابا لا نلبسها
 للبادية وثيابا للبادية لا نلبسها للحاضرة وتنزين وتطيب ويبكي وعطيه يقول
 يا سيد لا تفعل فأنت امامنا في ديننا بك نقتدي في امورنا • وكانت له
 فراسة لا يكاد يخطئ • يذكر انه قال لا بي الحسن وهو يطلب عليه : والله
 لتضربن اباط الابل من اقصى المغرب فكان كما قال • ودخل عليه عطيه
 الجزمي فرحب به ابو العباس فقال : اتيتك زائرا ومودعا الى مكة فقال
 أبو العباس لا تخينا من بر كة دعائك وبكى وليس مع عطيه ركوة ولا مزود
 فخرج مع أصحابه ، ثم اتاه بأثر ذلك رجل فقال له : أصلحك الله عندي
 خمسون مثقالا ،ولي بغل ، فهل ترى لي الخروج الى مكة ؟ فقال لا تعجل
 حتى توفر هذه الدنانير ، فعجبنا من ذلك واختلاف جوابه للرجلين مع
 اختلاف أحوالهما ، فقال عطيه : جاءني مودعا غير مستشير وقد وثق بالله
 وجاءني هنا يستشير ويذكر ما عنده فعلمت ضعف نيته فأمرته بمارأيت •
 فقال بعضهم من عطيه المتبع يوما برجل يزور فخرق زقه فاقبل الزامر
 يرميه وعطيه يقول : اللهم تب عليه فعرف ذلك الايجاني فقال ضرب عطيه
 اللهم أفعع يمينه ، قال الحاكي فرأيت الزامر بعد ذلك الطواف فقلت له :
 انت صاحب عطيه ؟ فقال بدعوه اتفعت فذكرت له دعوة أبي العباس فقال :
 ماله ومالي ، هلا دعا لي كما دعا عطيه واخرج يده مقطوعة • وكتب أبو
 الفضل بن نصر التابري الى أبي العباس الايجاني شعرا له أوله :

ما ذاك حوادث الازمان	وصروفها وطوارق الحدثان
وأشد ما ألقى وأفحى للحشا	عدم الوفاء وجفوة الاخوان
هذا أبو العباس واحد عصره	وفقيه والفات الاقران
أنفت به اخلاقه عن وصلنا	سلامنا في السر والاعلان
اني أتيتك شاعرا ومحبسا	أشكر اليك حوادث الازمان

فكتب له أبو العباس الابياتي رحمه الله تعالى :
دھرك يا أبا الفضل ذو انقلاب يریک في العجب العجائب
فکن جليس بيتك مستوحشنا من الناس والاھل حتى من الابواب
وتوفي سنة اثنين وخمسين وثلاث مائة وقال المالكي سنة احدى وستين
وهو ابن مائة سنة غير اربعة اشهر . وجاء في شجرة النور الزكية لمحمد
مخلوف ص ٨٥ :

أبو العباس عبدالله بن أحمد الابياتي التونسي الامام الفقيه العالم
القائم على مذهب مالك الثقة العمدة الامين تفقه بیحیی بن عمر وأحمد بن
سليمان وحمدیس ویحیی بن عبد العزیز وابن حارث واحد بن حزم وحماس
وجماعة روی عنه الاصیلی وأبو الحسن الكواتی وسعید بن میمون والقابسی
وابن أبي زید وجماعته مات سنة ٣٥٢ هـ

ملاحظة : المدارك للقاضی عیاض مخطوط تونسي من مخطوطات
جامع الزيتونة التي انتقلت الى الجامعة التونسية ولما تم فهرستها .
اما الرسالة فهي في مادة السمسار وحقوقه وهي بخط تونسي عتيق
ولاتحمل عنوانا وقد اثرنا تسميتها السمسار او السمسرة ، غير انه قد
كتب عليها بخط يختلف عن خط الرسالة « مسائل السمسرة في البيع »
مما سئل عنها الفقيه أبو العباس عبدالله بن أحمد بن ابراهيم الابياتي
التونسي .

وما أظن ان هذا العنوان هو العنوان الذي رسم به المؤلف رسالته
وذلك أني لا اظن ان « سمسار » جمعت في عصر المؤلف على سمسرة ،
وأغلبظن ان الجمع على هذه الصيغة مما شاع في العصور المتأخرة .

الرسالة

سألت أبا العباس عبدالله بن أحمد بن ابراهيم الابياتي رض الله عنه
عن السمسار يعطى الثوب لینادي عليه ، فيبلغ في حده ما بلغ فيقره عند التاجر

الذى أراد شراءه ليشاور صاحبه فيضيع الثوب عند التاجر . هل يلزم السمسار أم لا ؟ وهل يلزم التاجر أم لا ؟ أو رأيت ان أقره التاجر انه تلف عنده وقال لم يلزمني الآن شراء . أ揖ضن ؟ فقال لي : اذا أقر التاجر أنه قبض الثوب من السمسار وزعم أنه ضاع فالتاجر ضامن لقيمة الثوب وقد رأى فيه السمسار عيما فباعه من هذا التاجر وكتمه ، وبعد على الشراء ولم يأخذ على الامانة . وسألته عن السمسار يبيع من التاجر الثاجر الثوب وقد رأى فيه السمسار عيما فباعه من هذا التاجر وكتمه ، وبعد ان قبض البائع الثمن ومضى وجد التاجر في الثوب عيما واعترف السمسار أنه كتمه ذلك . فهل يجب على السمسار غرم ان يوجد صاحبه أم لا ؟

قال لي :

الذى يتبعن لي انه يرجع عليه بقيمة العيب ولا يكون للمشتري ان يرد الثوب عليه وهو عندي بمنزلة الوالى يزوج وليته وهو يعلم العيب الذى بها مثل الاى فى ابنته البكر والسيد فى أمته ان يكون للزوج عليه جميع الصداق ان كان قد دخل بها اذا كان الوالى من يعرف العيب مثل الاى فى ابنته والاخ فى اخته .

وسألته عن السمسار اذا عرض الثوب على التاجر فبلغ ثمناً معلوماً ثم وقع بينه وبين صاحب الثوب كلام فحلق السمسار انى لا أبيعه ، فأخذه منه صاحبه فمضى الى الذى كان عليه العطاء فباعه وقبض منه الثمن . هل يجب للسمسار حق أم لا ؟ ورأيت ان اخذ منه شيئاً هل يحق ام لا ؟ فقال لي : اذا باعه صاحبه وتركه السمسار فلاحق للسمسار في ذلك ، فان اخذ منه في ذلك شيئاً حنت وسألته عن رجل دفع الى السمسار ثوباً فباعه له بثمن معلوم وقبض الثمن وأعطاه حقه ثم مضى البائع واتي بشوب مثله فباعه من الذى اشتري منه الثوب الاول بمثل ذلك الثمن الاول وأراد السمسار ان يأخذ من هذا البيع حقاً وقال : أنا اخرجت

له السوم الأول وقال رب التوب : أنا بعت ثوبي هذا لآخر ولم تبعه
انت . هل يجب للسمسار في هذا التوب الثاني شيء ام لا ؟ فقال لي :
لا شيء للسمسار في هذا التوب الثاني لأن صاحبه هوولي بيعه .

وسائله عن السمسار يقر التوب عند التاجر بثمن معلوم يشاور
صاحب في البيع فيقول السمسار للتاجر : زن لي الدرهم ، ونحملها
لصاحب التوب فان باع دفعتها اليه . فيزن له الدرهم فيمضي بها فيسقط
من يده منها هل يضمن السمسار الذي قبضها ما سقط منها ام لا ؟

قال لي : يضمن السمسار لأنه لم يؤمر بالبيع فلا ينبغي النقد في
ال الخيار . فقلت : ارأيت ان لم يسأله السمسار في اخذ الدرهم ولكن
التاجر ابتدأه فقال له : خذ هذه الدرهم واحملها معك الى صاحب هذا
الثوب ، فان باعه فادفع اليه وان لم يبع فرد الدرهم . فيقبضها منه
السمسار على ذلك ويذهب يشاور صاحب التوب فيسقط منه . هل يضمن
السمسار ما سقط منها ام لا ؟ فقال لي : لا ضمان على السمسار هنا
لأنه أمن الذي أرسله الا ان يضيع أو يفترط . فقلت له ارأيت ان لم
يقبض منه السمسار شيئاً ولكنه شاور صاحب التوب في البيع فأمره بالبيع
فأتاى السمسار الى التاجر الذي كان عنده الثوب فقبض منه الثمن ومضى
ليدفعه الى صاحبه الذي أمره بالبيع فسقط منه . هل يلزم السمسار
ضمان ما سقط منه ام لا ؟ فقال لي : لا ضمان على السمسار لأنه أمن
البائع ووكيل له على البيع والقبض . وسائله عن السمسار اذا أقر التوب
عند التاجر بأمر رب التوب وضاع الثوب عند التاجر . هل السمسار
شيء ؟ فقال لي : لا ضمان على السمسار لأنه أقره بأمره بغير أمره ضمن .

وسائله عن السمسار اذا دفع اليه الرجل الثوب لينادي عليه وليشاوره
فأقره عند التاجر ليشاور صاحبه ، فقال التاجر : مالك عندي ثوب ولا
تركت عندي شيئاً ولم يكن للسمسار عليه بينه . هل يضمن السمسار

قيمة الثوب أَمْ لَا ؟ فقال لي يضمن السمسار لانه غرر اذ لم يشهد عليه .
وسأله عن السمسار يقر الثوب عند التاجر ليشاور صاحبه فينسى
السمسار عند من أقره فيسأل صاحب الحوانات واحدا واحدا فلا يجده .
هل يضمن السمسار ؟ فقال لي : نعم يضمن .

وسأله عن الرجل يأمره السمسار ان يطلب له ثوباً ليشتريه ويقعد
عند صاحب حانوت فيأتيه السمسار بالمتاع ويخرج صاحب الحانوت متابعا
من عنده فيه المشتري فلا يشتري من الذي جاء به السمسار شيئاً ،
ويهوى الثوب الذي لصاحب الحانوت ليشتريه فيطلب السمسار من
المشتري حقه ويقول : أمرتني ان اطلب لك وقد رأيتك وطلبت لك ،
ويقول المشتري : لم شتر شيئاً مما جئت به وانما اشتريت من صاحب
الحانوت . هل يجب ، للسمسار شيء ؟ فقال لي : لا يجب عليه لانه لم
يشتر مما جلب له شيئاً . فقلت له : قال بعض أصحابنا يجب له جعل
لانه انما اقتدى بما أراه السمسار فله جعله . فأنكره من القول ولسم
يعجبه .

وسأله عن الرجل اذا قلب الثوب في يد السمسار وقد بلغ في يد
السمسار ثمناً معلوماً فزاده التاجر على من اعطى غيره بعد تقليمه اياده
فمضى عنه السمسار والثوب في يد السمسار يطلب فيه الزيادة فلم يزده
احد شيئاً فرده الى التاجر الذي وقه عليه العطاء وطلب بيعه منه بعد
مشاورة صاحب الثوب ، فقال له التاجر : لا ارضى بهذا الثمن ، ولم
يجد فيه شيئاً هل يلزم التاجر شيء أَمْ لَا ؟ أو رأيت ان طلب السمسار
ان يقره عند هذا التاجر ليشاور صاحبه فقال التاجر لا أرضاه بهذا
الثمن . هل يلزم الشراء ان رضي صاحب الثوب بالبيع أَمْ لَا ؟ فقال :
بلى يلزم ما اعطي فيه رسالته عن التاجر يأتيه السمسار بالثوب وقد بلغ
في يده ثمناً معلوماً ، فيقول له التاجر على زيادة كذا وكذا بالخيار ان

شت اخذته بهذا الثمن وان شئت تركته فيمضي به السمسار فلا يجد
زيادة فيرده اليه فيقول التاجر أما الان فلا أصحه الا بذذا أو كذا باقل
ما أعطاه أولاً • هل يجوز ذلك ولا يلزم الشراء أم لا ؟ فقال لي : ذلك
له أي يلزم له لانه قد جعل لنفسه الخيار فيه •

وسأله عن التجار يأتيه السمسار بالثوب ليقره عنده أو ليبيعه منه
بشن معلوم قد بلغ في يده فيقول له التاجر لا أرضاه ، فيقول له السمسار :
ان العطاء انما وتف اخرا عليك • فيقول : لا ، وما كان العطاء اخرا الا
غيري • ولم يكن في هذا الثوب شرط خيار ولا بينة بحضور العطاء •
فهل يلزم هذا التاجر يمين أم لا ؟ أو رأيت ان كانت بينة تشهد ان العطاء
اخرا عليه لازمه الشراء ، وان لم يكن بينة فعليه اليمين • فقلت له : فان
لم يكن شهد عليه بذلك الا رجل واحد ، وكان عدلا • هل يحلف
السمسار مع هذا الشاهد أم انما يحلف صاحب الثوب ؟ فقال لي : اليمين
على السمسار مع الشاهد اذا لم تثبت وكالته على البيع بينة وقال لي : هو
قول ابن كثرة • وقال لي : وأما اذا ثبتت وكالته على البيع بينة حلف
الامر مع الشاهد واستحق •

وسأله عن السمسار ينادي على الثوب فيبلغ في يده ثمناً معلوماً على
احد التجار فيقره عند الذي وقف عليه الطعام ليشاور صاحبه فيقول له
التاجر لا تقره عندي فان عطائي هذا انما كان على غير نية ولم نرد شراء
اذا زدتكم فيه ولم يكن شرط خيار • هل يلزم الشراء أم لا ؟ فقال لي :
يلزم الشراء لأن بيع المنادي كله لازم على من أعطاه اخرا •

وسأله عن السمسار اذا أقر الثوب عند التاجر ليشاور صاحبه ولم
يدرك التاجر خياراً فباع صاحب الثوب ، فأتاه السمسار ليقبض منه الثمن •
فقال له تقليبا اخر بنية وتقليل من يريد الشراء • هل يلزم الشراء ولا
يلتفت الى قوله أم لا ؟ فقال لي : يلزم الشراء •

وسائله عن السمسار اذا أقر الثوب عند التاجر ليشاور صاحبه ولم يذكر شرط خيار ، فباع صاحب الثوب فاتأه السمسار ليقبض الثمن ، فقال له التاجر لا نهواه ، ولكن خذ الثوب فعل غيري يشتريه منك بهذا العطاء الذي كان علي ، والسمسار يعلم انه اذا أخرجه من عنده أنه لا يأخذنه أحد منه بذلك العطاء الا بأقل . فهل يجوز للسمسار ان يخرجه من عنده ويساعده في ذلك أم لا ؟ فقال لي : لا يخرجه من عنده لانه وجب عليه لان تبيع المزايده لازم لصاحب العطاء الآخر . فقلت له : فان أعلم السمسار بذلك صاحب الثوب فقال له صاحب الثوب اخرجه من عنده . فهل يبرأ السمسار في ذلك من الاتهام ولا يكون عليه في ذلك شيء ؟ أم لا ؟ فقال لي : يبرأ من الاتهام فقلت له : فان أخرجه السمسار ولم يأمره بأمره بذلك صاحب الثوب وكان ذلك قبل ان يبيع صاحبه او بعد مبايعه فانكسر في يده . وهل يلزم ذلك الحطاط السمسار أم لا ؟ فقال لي : يلزمته الحطاط . فقلت له : فان قال صاحب الثوب للتاجر اني لم أمره أن يخرجه من عندي . هل يلزم الشراء التاجر أم لا ؟ فقال لي : يلزمته الشراء . فقلت : فان ادعى التاجر ان صاحب الثوب هو الذي أمره باخريجه وانكر ذلك صاحب الثوب والسمسار هل يجب اليمين على صاحب الثوب أم على السمسار ؟ فقال تجب اليمين على صاحب الثوب .

وسائله عن هؤلاء التجار اذا كانوا يكسرؤن بعد ان يعطوا العطاء ويقف العطاء عليهم وصار شراؤهم كلهم على هذا الحال يكسرؤن الثوب بعد ان يقر عليهم وقبل ان يقر عليهم . هل يجوز لهذا السمسار ان يبيع منهم وهم لا يرجعون عن ذلك وهو لا يستطيع ان يبيع منهم الا على هذه الحال ، فهل يسعه ان يبيع منهم ولا يكون في ذلك اثم أم ينبغي له ان يعلم أصحاب المتناع بفعل هؤلاء التجار لينجو من الاتهام ؟ على رب الثوب ان يحاكم في أخذ ماله الا ان ينكر التاجر رب الثوب ويقول لا أعرفك ،

فتكون الخصومة حينئذ مع التاجر والسمسار ° فقلت له : فان أعلم هذا السمسار أصحاب المtau بكسرهم وأنهم لا يصحون عطا الا عند الوزن فترکوه يبيع لهم بعد علمهم بذلك ، هل يبرأ في ذلك من الائم أم لا ؟ فقال لي : يبرأ من الائم ° فقلت له : فان كان أصحاب المtau يعلمون فعل هؤلاء التجار وأنهم يكسرؤن ولا يصحون عطاء يعطى له هل يصح لهذا السمسار السكوت عن ان يعلمهم هذا ويكون في ذلك بمنزلة من أقره علمهم بذلك أم لا ؟ فقال لي : يسعه السكوت اذا كانوا قد علموا بذلك وعرفوه °

وسأله عن التاجر يأتيه بالثوب وفي يده عطاء معلوم فيزيده على ذلك ثم يمضي عنه بالثوب فيزيده غيره ، ثم يرجع السمسار الى هذا التاجر الذي كان عليه العطاء فيطلب بيته ، فيقول له التاجر الذي كان عليه العطاء أولاً : اما اذا زادوا بعدي فأننا الان بالخيار ، ان شئت تركته وان شئت أخذته ° فهل يكون له الخيار ولا يلزمـه الشراء ؟ فقال لي : لا يلزمـه الشراء اذا زاد غيره ° وسأله عن السمسار يقرـ الثوب على التاجر بثمن معلوم ويشاور صاحبه فـيأمره صاحبه بـالبيع وصاحبـ الثوب لم يـعرفـ التاجر الذي باعـ منه ولا يـدرـيـ منـ هو ، فـيمضـيـ السمسـارـ ليـقـبـضـ الثـمنـ فـيـقـولـ لهـ تـاجـرـ آخرـ : الثـوبـ الذـيـ كانـ فيـ يـدـكـ عـلـيـ فـيهـ زـيـادـةـ ° فـيـقـولـ لهـ السـمـسـارـ : انـ صـاحـبـهـ قدـ باـعـهـ منـ غـيرـكـ ° وـكانـ هـذـاـ بـعـدـ الـاسـتـقـصـاءـ ، فـيـقـولـ صـاحـبـ الثـوبـ : اـنـ بـعـتـ منـ رـجـلـ لـاـ اـدـرـيـ منـ هـوـ ° فـهـلـ تـرـىـ هـذـاـ بـيـعاـ ثـابـتاـ قـدـ وـجـبـ الثـوبـ لـذـيـ عـنـهـ وـلـاـ تـقـبـلـ زـيـادـهـ هـذـاـ ؟ فـقـالـ لـيـ : يـلـزـمـهـ الـبـعـيـعـ لـذـيـ شـاـوـرـ عـلـيـهـ فـبـاعـ مـنـهـ بـهـ وـلـاـ يـكـونـ لـنـ زـادـ بـعـدـ ذـلـكـ فـيـ ثـمـنـ الثـوبـ مـنـ الشـرـاءـ شـيـءـ °

فـقـلتـ لـهـ : اـرـأـيـتـهـ اـنـ اـتـىـ السـمـسـارـ بـالـثـوبـ فـيـ يـدـهـ وـقـالـ لـصـاحـبـهـ : هـذـاـ ثـوـبـكـ اـعـطـيـ فـيـهـ مـنـ ثـمـنـ كـذـاـ وـكـذـاـ ، فـقـالـ لـهـ صـاحـبـهـ : بـعـ °

وأقبض الثمن •

فقال تاجر اخر : علي فيه زيادة كذا وكذا • هل يكون الجواب في هذه مثل الجواب في التي قبلها أم لا ؟ فقال لي : الجواب في ذلك واحد ولا يبالي أتى به في يده أو تركه عند التاجر •

وسأله عن السمسار ينادي على الثوب فيبلغ ثمناً معلوماً فيشاور صاحبه والثوب في يد السمسار أو قد أقره فيقول له صاحب الثوب : اعمل برأيك ، فيمضي السمسار ليقبض الثمن وقد نوى السمسار البيع من التاجر لانه قد بذل الجهد واستقصى • فيقول له تاجر اخر علي في الثوب زيادة كذا وكذا • فهل ترى هذا بيعاً وقد وجب للذى نوى السمسار منه البيع ولا يقبل زيايده هذا أم لا ؟ فقال لي : يعمل برأيه في ذلك ويقبل الزيادة ان شاء الله ولا يلزم البيع بالبيبة •

وسأله عن السمسار ينادي على الثوب فيبلغ ثمناً معلوماً على رجل من التجار ثم يطلب السمسار الزيادة فلا يوجد احداً يزيد عليه شيئاً فيقول له تاجر اخر : أنا اخذه منه بهذا الثمن الذي ذكرت انك أعطيته • ويطلب اخر بذلك الثمن أيضاً ، ويطلب منهم الزيادة فلا يوجد احداً يزيد عليه من أحب اذا لم يوجد زيادة • فقال لي : الاول اولى بالثوب وهو قول عيسى ابن دينار ، وأما ابن القاسم فانه يقول : يبيع من اراد ويفضل به من اراد اذا كان العطاء احداً ، فقلت له : يبيع أرأيت اذا بلغ الثوب ثمناً معلوماً على رجل من التجار وطلب بذلك الثمن واحداً من امتياز واثنان وثلاثة ولم يزيدوا شيئاً على ما بلغ من الثمن واراد صاحب الثوب ان يبيعه من أحب ويفضل به من اراد • هل يجوز له ذلك أم لا ؟ فقال لي : الاول اولى بالثوب من ان يعطيه صاحبه لمن احب في قول عيسى بن دينار وأما ابن القاسم يفضل به صاحبه من اراد •

وسأله عن السمسار اذا لم يوجد في الثوب زيادة وخاف ان باعه

من الذي عليه العطاء أولاً أن يكسر أو يسيء معاملته في الوزن ٠ هل ترى جائزًا أن يبيعه من غيره بالعطاء الذي أعطى فيه إذا لم يوجد فيه زيادة اذا كان يحسن معاملته وان لم يكن العطاء عليه ؟ فقال لي : الأول أولى به ، فان لم يتم الشراء فله ان يقدمه الى القاضي الا ان يكون قد علم بسوء معاملته ويعلم انه لا يباعه في ذلك ، فلا بأس ان يبيع من يوفيه ولا يكسر عليه ٠

وسألته عن السمسار يبيع الثوب بعد الاستقصاء وبذل المجهود من قبل ان يشاور صاحبه ، هل يجوز بيعه أم لا ؟ وهل يكون لصاحب الثوب ان يرد البيع أم لا ؟ فقال لي : وقد لا يجوز البيع الا بأذن صاحبه الا ان يكون صاحبه فوض اليه ذلك ٠ وقال لي : وقد قال سخنون لا يجوز ان يصبح على سلعة ما ويأخذ عليها جعلا الا ان يجعل له البيع ٠ فقلت له : أرأيت ان كان هذا الثوب الذي باعه السمسار وانما أرسل اليه هذا السمسار فأستقصى له وشاور الذي أرسل معه بالثوب ثم زيد فيه بعد ان أمر بالبيع ٠ هل تقبل الزيادة ويرد البيع أم البيع ماضى ثابت ولا تقبل فيه الزيادة ؟ فقال لي : ان كان اني أرسل الثوب الى السمسار وأمره بالبيع فالبيع ماضى ولا تقبل زيادة ٠

وسألته عن التاجر يأتيه السمسار يطلب منه الثوب ليشتريه منه لمن يطلب شرائه ، فيعطيه التاجر الثوب ويقول له : هذا شراؤه عشرة دراهم ، فيريه السمسار للمشتري فيهواه ويقول له : اعطه فيه اربع درهم ٠ فيرضى البائع بالبيع ويدفع اليه جميع الثمن ويقبض المشتري الثوب ويمضي به وبعد ذلك يقول التاجر للسمسار : اني غلطت في شراء الثوب وحسبت ان شراؤه علي عشرة وانما شراؤه على أربعة عشر درهما ٠٠ فما الذي يجب في ذلك ؟ وكيف ان كان الثوب قد فات بوجهه من وجوه الفوت أو قال المشتري للتاجر : لم تغلط ؟ وانما هذا منك قدم في البيع ، وكيف ان

ذهب المشتري ولم يوجد ، هل يجب على السمسار شيء أم لا ؟ فقال لي : لا يقبل قول التاجر الا ان يأتي ببينة ويكون التوب قائماً فيقال للمشتري : اما ان تقبله بهذا الثمن الذي شهدت به البينة او فاردهه ، فان لم توجد بينة وقال التاجر لا يشبهه ان يكون ثمنه ما قال البائع لم يقبل قوله ومضى البيع وجاز ، وان قالوا انما يشبه ثلاثة عشر درهماً فهذا قريب مما قال البائع ويكون القول قول البائع مع يمينه ، فان كان التوب قائماً قيل للمشتري اما ان تأخذه بما قال البائع على الربح الذي رضى به اولاً والا فاردهه ، وان كان التوب قد فات فعلى المشتري قيمته يوم فوته ، واما السمسار فلا عهدة عليه ولا طلب ، فقلت له : أرأيت ان كان السمسار هو الذي غلط في الشراء ولم يغلط التاجر ، وقد كان أخبره التاجر ان شراءه أربعة عشر درهماً وعلم ذلك بيته أو باقرار من السمسار ولم يقبض منه الثمن حتى فات التوب ، هل يجب على السمسار شيء أم لا ؟ فقال لي : السمسار ضامن عندي .

وسأله عن السمسار اذا باع التوب من التاجر ثم اعترف ان التوب سرقة وأتى صاحبه بيته تشهد ان التوب ثوبه ما يعلمهونه باع ولا وهب ، وحلف صاحبه واستحق التوب ، هل يدفع التوب الى هذا المستحق تلك الساعة ؟ فقال لي : نعم يدفع اليه التوب ولا عهدة على السمسار ، فقلت له : أرأيت ان كان البائع يعرفه السمسار ، هل يلزم السمسار ان يمضي اليه فيعلمه بذلك أم لا ؟ أو رأيت ان كان البائع الذي قبض الثمن بذلك بعيد وكان السمسار يعرفه ، هل يلزم المصير اليه أم لا ؟ أو رأيت ان كان السمسار لا يعرفه وقال انما جاءني رجل ثوب فبعثه له وقبض الثمن ولا نعرفه ، هل يجب عليه شيء أم لا ؟ فقال لي : ليس عليه في هذا كله شيء وهو كما قال السمسار اذا كان معروفاً بالسمسرة .

فقلت له : فان كان التاجر والسمسار يعرفان جميعاً البائع ، هل

يسقط عن السمسار العناء في ذلك ولا يكلف المضي إليه اذا كان التاجر يعرفه أم لا ؟ فقال لي : ليس عليه عناء ولا عهدة ولا طلب ، عرفه أو لم يعرفه . فقلت له : فهل يكون جميع ما بيع من الحيوان والعروض اذا اعترف بشيء منه كثراً ثمنه أو قل سبيله في ذلك سبيل ما فسرت لي في مسألة التوب اذا اعترف أم لا ؟ فقال لي هو كله واحد ، الا ان الحيوان اذا قضى به الحكم واراد المحكوم عليه ان يطلب من باع منه ان يضع قيمته ويأخذ الشخص يطالب به من باع منه .

وسأله عن السمسار اذا أعطى التوب لينادي عليه فسمى له صاحبه ثمناً ان بلغه باعه وان يبلغه لم يبعه ، او أعطاه التوب ولم يسم له ثمناً ، وكان هذا من باب الجعل فأخذته السمسار فنادى عليه ولم يذكر له صاحب التوب ما يعطيه من الجعل ، ولم يذكر السمسار أيضاً لصاحب التوب ما يأخذ منه الجعل ، وكان هذا السمسار هكذا سنته مع أصحاب المتع يبيع لهم المتع فلا يسمى لهم ما يأخذ منهم ولا يسمون له ايضاً ما يعطونه ، فاما باع وقبض الثمن اعطوه جعله . وهل ترى هذا جائزاً وكان ذلك ويطيب أم لا ؟ يجوز حتى يسمى الجعل الذي يأخذكم هو ، وهل له منعه في ترك التسمية اذا رضي أن يأخذ ما يعطونه أم لا ؟ فقال لي : ان سموا الجعل والاجازة فهو جائز وان لم يسموا وباع فله أجر مثله الا ان تكون لهم سنة قد جروا عليها في المجاعلة وقد علم بذلك صاحب التوب والسمسار فلا باس به . وقال لي : اما الاجازة فلا تجوز الا بتسمية معلومة واجل معلوم .

وسأله عن السمسار يعطي التوب لينادي فيبلغ في يده ثمناً معلوماً فيقره عنه التاجر الذي يطلب شراءه ليشاور صاحبه فيصبح التوب عند التاجر . هل يلزم السمسار شيء أم لا ؟ فقال لي : اما السمسار فأنه معتمد في ترك التوب عند التاجر اذ تركه عنده بغير أمر رب التوب ،

وقال : ولرب الثوب ان يضمن أيهما شاء ٠ وقال لي : وان اقره عند
التاجر بامر رب الثوب فلا شيء على السمسار ٠

وسأله عن السمسار اذا قبض الثوب لينادي عليه فضاع منه قبل
ان ينادي عليه ٠ هل يلزمـه شيء ام لا ؟ فقال لي : لا شيء عليه الا
ان يفرط فيضمن ٠

وسأله عن السمسار اذا باع الثوب من التاجر فوجـدـ بهـ التاجرـ
عيوباً لم يكن رآها وقد قبض البائع الثمن واخذ السمسار حقـهـ فرجـعـ
الثوب الى البائع ورجـعـ الدرـاهـمـ الىـ المشـتـريـ فـطـلـبـ صـاحـبـ الثـوـبـ انـ
يأخذـ منـ السـمـسـارـ ماـ عـاـطـهـ مـنـ حـقـهـ ،ـ وـقـالـ لـهـ :ـ اـذـاـ لـمـ يـتـمـ الـبـيعـ وـرـجـعـ
الـيـ الثـوـبـ ،ـ فـاـنـ يـرـجـعـ مـاـ أـعـطـيـتـكـ ٠ـ هـلـ يـكـوـنـ لـهـ ذـلـكـ اـمـ لـاـ ؟ـ اوـ رـاـيـتـ
اـنـ كـانـ السـمـسـارـ لـمـ يـقـبـضـ مـنـهـ حـقـهـ مـتـىـ رـجـعـ الثـوـبـ اـلـىـ بـائـعـهـ ،ـ وـطـلـبـ
الـسـمـسـارـ حـقـهـ ،ـ هـلـ يـجـبـ لـهـ ذـلـكـ اـمـ لـاـ ؟ـ فـقـالـ لـيـ :ـ لـهـ اـنـ يـرـجـعـ عـلـيـهـ بـمـاـ
اعـطاـهـ وـلـيـسـ لـلـسـمـسـارـ آـنـ يـطـالـبـهـ فـقـلـتـ لـهـ :

قال بعض اصحابنا : هذا اذا كان البائع لم يدلـسـ بالـعـيـبـ ،ـ وـاماـ اـذـاـ
دلـسـ بالـعـيـبـ فـالـجـعـلـ ثـابـتـ لـلـسـمـسـارـ ٠ـ فـأـنـكـرـهـ مـنـ القـوـلـ وـلـمـ يـعـجـبـهـ ٠

وسأله عن الرجل يعطي الثوب السمسار ينادي فيلغـ في يدهـ
ئـمـنـاـ مـعـلـوـمـاـ فـلاـ يـبـعـهـ صـاحـبـهـ وـيـأـخـذـهـ مـنـهـ وـيـعـطـيـهـ لـغـيرـهـ فـيـسـعـهـ بـالـثـمـنـ الـذـيـ
بلغـ فيـ يـدـ السـمـسـارـ الـاـولـ اوـ بـأـكـثـرـ مـنـهـ اوـ أـقـلـ اوـ يـبـعـهـ صـاحـبـهـ مـنـ غـيرـ اـنـ
يـعـطـيـهـ السـمـسـارـ الـآـخـرـ بـأـكـثـرـ مـنـ الثـمـنـ الـاـولـ اوـ مـنـ غـيرـهـ ٠ـ هـلـ يـجـبـ
لـلـسـمـسـارـ الـاـولـ فـيـ ذـلـكـ شـيـءـ اـمـ لـاـ ؟ـ فـقـالـ لـيـ :ـ اـنـ كـانـ الثـوـبـ قدـ وـقـفـ
عـلـىـ ثـمـنـ مـعـلـومـ بـيـدـ هـذـاـ السـمـسـارـ فـاـخـذـهـ رـبـ الثـوـبـ مـنـ السـمـسـارـ وـأـبـيـ
اـنـ يـبـعـهـ وـمـضـىـ صـاحـبـ الثـوـبـ اـلـىـ مـنـ اـرـادـ اـنـ يـشـتـرـيـهـ مـنـ السـمـسـارـ فـبـاعـهـ
مـنـهـ ،ـ فـهـذـاـ اـنـمـاـ اـرـادـ اـبـطـالـ السـمـسـارـ وـقـدـ وـجـبـ لـهـ حـقـهـ ٠ـ وـانـ كـانـ اـمـاـ
أـخـذـهـ مـنـهـ رـجـاءـ اـنـ يـلـتـمـسـ الزـيـادـةـ فـيـهـ فـأـعـطـاهـ اـلـىـ غـيرـهـ فـبـاعـهـ بـأـكـثـرـ اوـ

بأقل أو بمثل الثمن فالجعل لآخر وليس للأول شيء .

وسأله عن السمسار اذا طلب ثوباً من التجار لمن يشتريه فضاع الثوب قبل أن يشتري المشتري . هل يلزم السمسار شيء أم لا ؟ فقال لي : ان علم البائع انما يطلبه لغيره وعلم انه يبيع للناس ويشتري فلاضمان عليه . قلت له : فان أخذه الثوب عنده . هل يلزم هذا المشتري أم لا ؟ فقال لي : السمسار ضامن لتعديه بدفعه الثوب الى المشتري بغير أمر صاحب الثوب ، والمشتري أيضاً ضامن للثوب لانه لم يأخذه على الامانة وانما اخذه على الاشتراك ، فصاحب الثوب يضمن ايهما شاء . فقال لي : ان كان صاحب الثوب قد اعلمه السمسار ان المشتري يمضي به فيستشير فيه فيضيع . هل عليه غرم أم لا ؟ فقال لي : غرم عليه وضمانه منه الا أن تقوم له بينة انه ضاع منه من غير تضييع ولا تفريط .

وسأله عن السمسار يجيئه من يطلب ل Yoshiyari يقول له : اطلب لي ثوباً كذا وكذا واقرن لي الماء من الحوانيت ، ولا يسمى له ما يعطيه من حقه ولا يسمى له ايضاً السمسار ما يأخذ . هل الجواب في هذه مثل الجواب في المسألة الاولى في البيع أم لا ؟ فقال لي : الجواب سواء له أجر مثله : أرأيت اذا اخذ السمسار من هذا المشتري حقه فيما قد اشتراه له . هل يجوز له ان يأخذ من البائع شيئاً أم لا ؟ وكيف ان تطوع البائع بذلك من غير ان يسائله السمسار شيئاً ، هل يجوز ذلك أم لا ؟ فقال لي : ان تطوع به البائع فهو جائز وانما حقه من أمره ان يشتري له . قلت له : قال بعض اصحابنا ان اعطاء البائع شيئاً فهو للمشتري الا ان يجعله المشتري من ذلك في حل . فقال لي : انما معناه اذا كان ذلك بشرط ، فان لم يكن بشرط فلا يأس به ، واما ان كان بشرط فما اعطاه البائع من شيء فهو للمشتري . قلت له : فان علم السمسار المشتري بذلك فرضي بذلك بعد ان أعطاه حقه او قبل ان يعطيه ، هل يجوز ذلك أم لا ؟ وهل

يسعى المشتري ما يعطيه البائع ام لا ؟ فقال لي : هو وكيل المشتري وعليه حقه ، فان تطوع له البائع بشيء فهو جائز . فقلت له : قال بعض أصحابنا معناه ان المشتري قد علم ما يأخذ السمسار من البائع ، فاما اذا لم يعلم فالذى يأخذ من البائع مردود على المشتري لانه حق من حقه . فقال لي : انما ذلك اذا كان بشرط . وقال لي : انما هو بمنزلة الجباء السندي اشتراهولي المرأة في عقدة النكاح فهو للمرأة ، وان كان بعد عقد النكاح فهو الولي ، فرأيت ابا العباس يذهب الى انه كان بغير شرط فهو حلال للسمسار الحكم به المشتري او لم يعلمه لانه شيء تطوع به البائع .

وسأله عن السمسار ينادي على التوب وليس تصحيبه به ويبدل فيه المجهود فلا يوجد فيه زيادة في يريد ان يشتريه لنفسه . هل ترى ذلك جائزا اذا كان علم وجه الصحة ام لا ؟ فقال لي : لا ينبغي ان يشتريه الا ان يعلم بذلك باعه انه يأخذه لنفسه .

وسأله عن السمسار يكون له التوب في يريد بيعه . هل يبيعه ويتولى هذا عليه كما يبيع ثوب غيره ام لا ؟ : فقال لي ان كان الرجل صاحب التوب صحيحاً وكان يعلم ان الذي يعطيه لا يخشى عليه فلا يأس ان ينادي عليه وهو بمنزلة الرجل يأتي بسلعته الى البيع فيقال له : أعطيت لسلعتك هذه ؟ فيقول : كذا وكذا ، أينبغي له أن يخبرهم بذلك انه له لانه لو استحق بطالب له أعلم باعه .

وسأله عن السمسار يطلب المتع من عند التجار ليصرفه على المشتري الذي أمره بالطلب فأخذ السمسار من هذا التاجر ثوباً ومن هذا التاجر ثوباً ، فيجمع اثواباً كثيرة فيريها المشتري ليختار منها ما اراد فيهوى المشتري منها ثوباً أو لا يهوى منها شيئاً ، فيريد السمسار المتع على أصحاب الحوانيت الذي عرضوا عليه ، فيقول رجل منهم : هذا الثوب الذي رددهه عالي ليس هو ثوبي ، ولا هذا الذي عرضت عليك ، ويقول السمسار :

بل هو ثوبك ° القول قول من ؟ فقال لي : في ذلك القول قول السمسار مع يمينه لأن البائع ها هنا مدع يطلب أن يضمن السمسار فلا يقبل قوله الا ببينة تكون عند البائع ، وان حلف السمسار أنه ثوبه لم يكن عليه شيء فقلت له : فإذا قال السمسار ما آدري أهذا ثوبك أم لا ؟ وقد اخترط مع غيره في وقت قلبه المشتري فرجع السمسار إلى أصحاب الحوانيت الذين رد عليهم فيقولون هذا الذي رددت علينا هو متاعنا وما لاحظ عندنا شيء ، فيتعلق التاجر الذي انكر الثوب بالسمسار فيقول له : اغرم لي قيمة ذلك الثوب هذا فاعمل انت ما شئت ° فما الذي يجب في ذلك وهل يجب على السمسار شيء أم لا ؟ فقال لي : نعم يضمن السمسار قيمة ذلك الثوب الذي ذكر البائع بعد يمين البائع بالله ان ما هذا ثوبه الذي عرض عليه وانما ضمن السمسار لشطه وغلطه اذ لم يحتفظ في ذلك بغلطه على نفسه ° فقلت له : فان قال التاجر : ليس هذا الثوب الذي رددت علي ثوبي وانما ثوبي الذي آخذة المشتري ، وكان المشتري قد اخذ من تلك الثياب ثوباً ° وقل رجل آخر من التجار : الثوب الذي بيد المشتري هو ثوبي وليس هذا لي ° فتداعيا جميعا في الثوب بيد المشتري وانكروا جميعا هذا الثوب الذي بقى ° فما الحكم في ذلك ؟ وكيف ان كان السمسار لا يعرف هذا الثوب الذي بيد المشتري لمن هو فهما ، أو شهد السمسار انه لواحد منهما ° هل يجوز شهادته في ذلك ان كان عدلا ام لا ؟ وكيف الحكم في ذلك كله ° فقال لي : أما السمسار فلا تجوز شهادته هنا ان كان شهد ان الثوب لاحدهما ، ويقسم هذا الثوب الذي بيد المشتري بينهما جميعا أيمانهما ثم ينتظر الثوب الذي بقى فيضمن السمسار قيمته لهما جميعا يقتسمانه بعد ايمانهما ويكون الثوب للسمسار ، وانما ضمنا السمسار لغلطه ° ومعنى قوله بعد ايمانهما في الثوب الباقي ان يحلفا ما هو لهم على معنى قوله الاول ان يحلف بالله ما هذا ثوبه °

وسألته عن السمسار يطلب التوب من البائع فيعرضه عليه ويعلمه بشمنه ثم يرده إليه فيزعم البائع أنه لم يرجع إليه ، ويقول السمسار قد ردته إليك ، فيقول : مارددت الي شيئاً ◦ هل يلزم السمسار الغرم أم لا ؟ فقال لي : لا شيء على السمسار ولا يلزمها غرم ، ذلك لأن السمسار أمين البائع أولاً ، وترى لو انه قبضه ثم ضاع منه من غير تفريط لم يلزمها وهذا اذا علم البائع ان السمسار انما يطلبها لغيره فقد صار أميناً له ، وإن كان السمسار انما يشتريه لنفسه فلا يقبل قوله أنني ردته إليك وتلزمها قيمته يوم أخذه ◦

وسألته عن التاجر يأتيه الرجل يشتري منه فيعرض عليه ثوبين وثلاثة ليختار منها ما أراد فيختار منها ثوباً فيساومه عليه فيبيعه منه ◦ فيعدم المشتري إلى ثوب منها فيقطعه فيقول البائع : هذا التوب الذي قطعت أيها المشتري ، ليس هذا التوب الذي بعث منك وإنما بعث منك غيره وقد تعديت على ثوبي هذا وأفسدته علي فاغرم لي القيمة ◦ وقال المشتري : بل هذا الذي قطعت هو الذي اشتريت منك فما تعديت لك بشيء ولا بينة بينهما ◦

وهل تجوز شهادة السمسار في ذلك ان شهد لأحدهما ؟ وما الحكم في ذلك ؟ فقال لي : قول المشتري مع يمينه ولا يلتفت إلى قول البائع الا أن تكون له بينة على من يدعيه ، وأما السمسار فلا تجوز شهادته عندي في هذا ◦

وسألته عن السمسرة يشتري كون في البيع ، يبيع هذا وحده متاعا على حدة ويباع هذا الآخر أيضا متاعا آخر على حدة يقسمون ما أصابوا ◦ هل ترى هذا جائزا أم لا ؟ فقال لي : هذا جائز ◦

وسألته عن السمسار يعطي السلعة ليعيها فان باعها فله درهم واذ لم يبعها فله نصف درهم ◦ هل ترى ذلك جائزا أم لا ؟ فقال لي :

ذلك جائز اذا ضرب أجلًا . واحيرني أبو العباس أنه كتب اليه بهذه المسألة من القيروان يسأله عن المنادي يطوف يقول بعث ثواباً من هذه فينكر المشتري ولا بينة للطوفاف . فقال ابو العباس : يضمن الا ان يقيس بینة . فقلت له : قال بعض اصحابنا : الذي يتبيّن لي ان الطوافين قد تعارف الناس انهم يبعون ولا يشهدون وان ارباب المتعة كأنهم أذنوا لهم في ان لا يشهدوا وشرطوا ذلك لهم ، والمعارف كالمطلوب في مذهبنا في غير شيء من الامرية فهو كقولهم والامر يقول للوكيل ادفع لفلان ولا تشهد فلا شيء عليه . فانكر ابو العباس هذا القول ولم يعجبه ، وقال : هو منا من الا ان يقيس بینة . وكأنني رأيت ابا العباس انما ضمنه لانه رآه من معنى التغريب اذا باع منه ولم يشهد عليه وكأنه غرر بمال الرجل اذ لم يشهد .

وسمعت ابا العباس يقول في الرجل يدفع ثوبه الى المنادي فینادي عليه ثم يبد له في البيع فيرده ثم يطلب بعد ذلك بيعه فيعطيه لمناد اخر فيبيعه بمثل عطاء الاول انه لم يرد بذلك احرام المنادي الاول فالحق لمن باع ، ولو باع المنادي او رب الثوب ثوبه بزيادة مثل درهم فللاحق للمنادي الاول لانه زوج سوقه وبالله التوفيق لا رب غيره ولا معبد سواه وصلى الله على محمد وآلـه وسلم كمل والحمد لله على كل حال والصلوة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وسلم

من كتاب المسائل والاجوبة
لعبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي
المتوفي سنة ٥٢١ للهجرة

ابن السيد البطليوسي^(١)

هو عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي النحوي الاندلسي . كان عالما بالادب متبحرا باللغة . سكن مدينة بلنسية من مدن الاندلس . وكان الناس يجتمعون اليه ، ويقرؤون عليه ، ويقتبسون منه . وكان حسن التعليم ثقة . ألف تصانيف العديدة . وتوفي في مدينة بلنسية سنة ٥٢١ للهجرة .

(١) كتاب المثلث (وهو كتاب ضخم اتى فيه بالعجب فقد زاد كثيرا على ما جاء به قطرب النحوي) .

(٢) الاقضاب في شرح أدب الكتاب (وهو شرح ادب الكتاب لابن الدينوري . ذكر فيه : ان غرضه تفسير الخطبة ، وذكر اصناف الكتبة ومراتبهم وما يحتاجون اليه في صناعاتهم ، ثم الكلام على نكته والتبيه على غلطه ، وقد طبع في بيروت سنة ١٩٠١ بعنایة عبدالله البستانی) .

(٣) الانصاف في التبيه على الاسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم (وهو مطبوع في مصر سنة ١٣١٩ هـ) .

(٤) شرح سقط الزند لابي العلاء المعري .

(١) انظر : بغية الملتمس ٣٢٤ ، الصلة ٢٨٧ ، قلائد العقیان ١٩٣

٢٨٢ / ٢ (القاهرة ١٩٤٨) .

(٥) كتاب في الحروف الخمسة وهي السين والصاد والضاد والطاء
والدال •

(٦) كتاب الحل في شرح أبيات « الجمل » •

(٧) كتاب شرح الموطأ •

وقال ابن خلkan : « وسمعت ان له شرحا لديوان المتنبي ولم أره » •
وذكر الزركلي في الاعلام ان له « كتاب الحل في اغاليط الجمل »
وغلب الظن انه الكتاب الانف الذكر • كما ذكر ان له « كتاب الحدايق
في اصول الدين » •

(٨) كتاب المسائل والاجوبة •

وهو الكتاب الذي نعني بنشر مختارات منه في هذا المجموع •
والكتاب يشتمل على مسائل كان ابن السيد قد سئل عنها فكتب اجوبته
وألف من مجموع الاجوبة كتابا ضخما يتناول ما ينيف على مائة مسأله •
ومادة الكتاب تتضمن مسائل في النحو واللغة والادب والتفسير
والاصول • والمخطوط من مخطوطات العلامة الجليل السيد حسن حسني
الصادحي من علماء تونس الاعلام • وقد أطلعت على المخطوط وأفدت
منه فوائد ، واخترت منه مسائل أثبتتها في هذا المجموع فأنشرها واعلق
عليها بما يصل اليه جهدي •

المخطوطة بخط تونسيجيد حديثة الخط اذ أن تاريخ نسخها
سنة ١٢٩٩ للهجرة وهي بخط محمد الطيب بن ابراهيم الرياحي
التونسي •

ولهذه المخطوطة نسختان اخريان الاولى نسخة الاسكوريا ورقمها
١٥١٨ والثانية نسخة القرويين في فاس كما أفاد بروكلمان • ولما كنت
قد اخترت من هذا الكتاب الضخم مسائل يسيرة ، ولما كانت نسختي

التونسية جيدة واضحة ، فلم أر بي حاجة كبيرة للتوفير على احدى النسختين الاخريين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا وموانا محمد وسلم تسليماً

قال الشيخ الامام المحقق رئيس اولى الالباب والشارح لسيويه ذلك « الكتاب » علامة الاندلس عبد الله^(١) بن محمد بن السيد البطليوسى رحمة الله تعالى ونفعنا به وبأمثاله آمين .

الحمد لله الذي أمرنا بمحكمة الأخلاق . لما أسبغ علينا النعم من غير استحقاق . فقال : اصفحوا عن من جهل عليكم ، وأحسنوا لمن أساء اليكم ، واعفوا عن ظلمكم ، واعطوا من حرمكم ، وهو أولى بالعفو عن المظالم ، والأخذ بالمحكم ، اذ كان من صفاته الكمال ، ومن صفاتنا النقصان ، ومننا الإساءة ومنه الإحسان فاعتمد فيما به أمر ، وتم علينا من نعمه ما به بدأ . وصل اللهم على أنبيائك الذين أخلصتهم بخالصة ذكرى الدار ، وجعلتهم من المصطفين الاخيار ، ورفعت منازلهم في عليين ، وابقيت لهم لسان صدق في الآرين ، وعلى ملائكتك المقربين ، الذين فضلتهم على العالمين .

قال الشيخ الاستاذ - رضي الله عنه - غرضي من هذا الكتاب ذكر مسائل طولبت بالجواب عنها . بعضها استفهام واسترشاد ، وبعضها امتحان وعناد ، فاجبته بما أحاط به علمي ، واقتصر له فهمي ، ولم أقتصر فيها على الهدایة دون الدرایة ، ولا على ما تضمنته الدفاتر دون ما سمحت به الخواطر ، اذ كان من تقدم العلماء ربما أشاروا الى المعاني من غير

(١) في المخطوطة : ابو عبدالله

استيفاء ، واذا كان الخالف قد يهتدي الى مالم يهتدى اليه السالف كما قال
ابو تمام الطائي :

يقول من 'قرع أسماعه' كم ترك الاول للآخر
وسميته كتاب المسائل والاجوبة ليكون معروفا بهذه السمة . وهذا
التأليف معرض للزيادة فيه اذ كان السؤال يوجب ذلك ويقتضيه ولامام
له ولا انقضاء حتى يشارف العمر الانتهاء . وانا استغفر الله واستوحشه
جميل العفو .

- القول في اشتقاق اسم الله تعالى وذكر الخلاف فيه وال الصحيح
عندنا -

اختلف الذين قالوا ان اسم الله تعالى مشتق ، وجملة خلافهم اربعة
اقوال : قال قوم هو مشتق من أله الرجل يأله لها اذا تحرير ، واحتجوا
بقول الاخطل :^(٢)

ونحن قسمنا الارض نصفين نصفها لنا وترامي أن تكون لنا معا
عشرين ألفاً تأله العين وسطها متى ترها عينا^(٣) الكرامة تدمعا^(٤)
ومن ذلك قيل للقبر الذي يحار فيه مأله^(٥) ، لأنه يوله سالكه
أي يحيره قال رؤبة :

به تمطرت غولٌ كل مأله بنا حراجيج المطى النفة^(٦)
قالوا : فسمى الباري تعالى بذلك لان القلوب تحار في عظمته فلا

(٢) انظر مادة (الله) في «اللسان» .

(٣) هذا هو الصحيح ، أما في النسخة الخطية : عين

(٤) هكذا روى البيت ، أما رواية الديوان :

بتسعين الفا تأله العين وسطه متى تره عين الطرامة تدمعا

(٥) لم ترد هذه الكلمة في معجمات اللغة

(٦) هكذا روى البيت ، أما رواية «اللسان» :

به تمطرت غول كل ميسله با جراجيج المطى النفة

تستطيع ان تحده ولا تصفه الا بما وصف به نفسه - جل وعلا - ان
تحيط به الاقطار ، وتحده الافكار ٠

وقال آخرون : هو مشتق من ألهت الى الرجل اذا فزعت اليه ،
وكذلك روى عن ابن عباس انه قال : « هو الذي يأله اليه كل شيء
ومستعنه ، لا رب غير » وهذا القول لم نجد عليه شاهدا من اللغة ، وهو
مروي عن ابن عباس كما ترى ٠

وقال آخرون : هو مشتق من قولهم أله الله العبد يأله بمعنى عبده
يعبد عبادة وتائه الرجل اذا تبعه وقال رؤبة :
للله در الغانيات المُسَدَّهِ سَبَّحَنَ^(٧) واسترجعنا من تائلي
قالوا : ولهذا سموا الشمس^(٨) الاهة والالهة^(٩) لعبادتهم ايها قال
الشاعر^(١٠) :

تروَّحْنَا من الْعُبَاءِ^(١١) فَاعْجَلْنَا الْإِلَهَةَ أَنْ تُؤْوِبَا
وقال آخرون : هو مشتق من الوله ، وهو اشد ما يكون من الشوق
والحزن ، سمي بذلك لأن القلوب تأله اليه أي تشتق إلى معرفته ، وتلهم
بذكره ، واحتجووا بقوله تعالى : « والذين آمنوا أشد حبا لله^(١٢) »
ويقول النابغة الجعدي :

[وأراني طَرِبًا في اثريهم] طرب الواله أو كالمختبل
وأنشد أبو حاتم الرازي للكمي :

وَلَيَهَتْ نفسي الطروب إِلَيْهِمْ وَلَهَا حَال دون طَعْمِ الطَّعَامِ
وذهب هو الى أن أصل « أله » « وله » ابدل الواو بهمزة ٠

(٧) هذا هو الصحيح ، اما في النسخة الخطية : سبحان

(٨) هذا هو الوجه ، اما في النسخة الخطية : السماء

(٩) قال ثعلب : والا لاهة بكسر الهمزة وفتحها وضمها كلها الشمس

(١٠) هي مية بنت ام عتبة بن العمارث ٠

لانكسارها في أول الكلمة^(١٣) . كما أبدلوها في « وشاح » ونحوه فهذه جملة ما قاله الناس في اشتقاء اسم الله تعالى .

والصحيح عندنا في هذه الاقوال القولان الاولان . فاما القولان الآخران فلا يصحان مع النظر . أما قول من قال : انه مشتق من « أله يأله » اذا عبد ، فقد يجوز لقائل ان يعكس هذا القول فيقول : ان قولهم « أله يأله » هو المشتق من الاله ، كما ان قولهم : تأله الرجل اذا تحير وتعظم ائمه معناه تشبه بالاله . وكذلك قولهم : « حوقل الرجل » اذا قال : « لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » و « بسم الله » اذا قال : « بسم الله » و « حيعل » اذا قال : « حي على الصلاة » او « حي على الرحيل » ونحوه قال الشاعر :

أقول لها ودمع العين جار ألم تحزنك حيعله المنادي^(١٤)

واما قول من زعم أنه مشتق من الوله ، وان أصل « أله » « وله » فغلط بين . وقد رد أبو علي الفارسي في بعض كلامه ، وقال : « لو كان أصل الله » « وله » لوجب اذاً أخذ الفعل منه اذا يقال « توله » كما أن من يقول في « وشاح » « أشاح » فيهمز الواو اذا صرف منه الفعل قال « توشح » فيرد الواو الى أصلها لذهب العلة التي أوجبت همزها وهي الكسرة . وكذلك كان يلزمها اذا جمع « الله » لأن يقول « أولهم » كما ان من يقول « أشاح » اذا جمع قال « أوشحة » فلما وجدناهم يقولون : « تأله الرجل » و « الاهة » فيقررون الهمزة على حالها علمنا أنها أصل لا بدل من واو . فان قال : فقد وجدناهم يقولون « لاه » بمعنى الله قال الاعشى :

(١١) هكذا رويت في اللسان ، اما في المحكم : قسرا .

(١٢) سورة البقرة الآية ١٦٥ .

(١٣) انظر كتاب الزينة لابي حاتم الرازي ص ٢٠ .

(١٤) هذا هو الصحيح ، وفي المخطوطه : [ألم تحزنك حيعله المناديا] .

كَحَلْفَةٌ مِّنْ أَبْيَ رَبَاحٍ يَسْمَعُهَا لَا هُمْ الْكُبَارُ^(١٥)

فإذا كان ذلك مسموعاً فما تنكر أن يكون أصل « لاه » « لوها » مقلوباً من « وله » وله تحركت الواو وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفاً، فصح بذلك أنه موجود من الوله، ولنرم أن يكون قولهم « تأله » و« أله » من البدل الذي يلزمونه مع ذهاب العلة الموجبة له من قولهم « أعياد » في جمع « عيد » و« أرياح » في جمع « ريح » والجواب عن ذلك : إن الالف في « لاه » قد صح عندنا انها مقلبة عن ياء لا عن واو بدليل قولهم : « لهي أبوك » ي يريدون « لاه أبوك » فقلبوا العين الى مكان اللام فظهرت العين ياء، ولو كانت واوا لوجب أن يقولوا اذا قلبوه « لهو أبوك » ودل على ذلك ان « لاه » لا يصح أن يكون مقلوباً عن « وله » لأنه لو كان مقلوباً منه لم يقلب مرة ثانية . وهذا قول أبي علي الفارسي واستدلاله . وقد حكى بعض اللغويين « لاه يلوه » اذا « عبد » وليس ثبت . والذي قاله أبو علي أثبت وأصح ، فثبت بهذا كله ان قول من جعله مشتقاً من الوله لا يصح .

— ذكر الخواص التي خص بها اسم الله تعالى فيها ليس موجوداً في سائر اسمائه ولا غيرها —

اعلم أن هذا الاسم العظيم قد خُص بشmany خواص لا توجد في غيره من أسماء الله عز وجل ولا في غيرها . فمن ذلك ان أسماء الله كلها صفات ، وقولنا « الله » اسم مخصوص به غير صفة .

ومنها أن جميع أسمائه تنسب الى هذا الاسم ، ولا ينسب هو الى شيء منها . وقال الله تعالى : « وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى »^(١٦) فنسب جميع أسمائه اليه ، ولم يفعل ذلك بغيرها تبنيها على جلالته .

(١٥) هكذا روى في الديوان ، اما في المحكم فقد رویت : كحلفة « من أبي رياح » و« رياح » مكسورة الراء بعدها ياء مثنية تحتية .

(١٦) سورة الاعراف ، الآية ، ١٨٠

ومنها أن جميع أسمائه تعالى قد تسمى بها المخلوقون ، ولم يتسم أحد بالله ، ولذلك قال : « هل تعلم له سميَا »^(١٧) أي : هل تعلم شيئاً يسمى « الله » غيره . وقد توهם قوم أن « الرحمن » لم يتسم به أحد غير الله تعالى وأجروه مجرى « الله » تعالى في أنه مخصوص به . وذلك غير صحيح من وجوه :

منها أنه روي عن عطاء الخراساني أنه قال في « بسم الله الرحمن الرحيم » : كان « الرحمن » من اسم الله تعالى فلما تسمى به المخلوقون زيد عليه « الرحيم » ليكون له دون غيره . وهذا فصل بين على أن « الرحمن » قد تسمى به .

ومنها أن مسيلة الكذاب - لعنه الله - قد تسمى بالرحمن .

ومنها أن أهل اللغة قد أنسدوا :

سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أباً وانت غيث الورى لازلت رحمنا^(١٨)
زعم ثعلب ان الرحمن أصله العبرانية^(١٩) ، وأنسد لجرير :
لن تدركوا المجد او تشرعوا عباءكم بالخز او تجعلوا التنوم ضمراانا^(٢٠)

(١٧) سورة مریم ، الآية ٦٥

(١٨) هكذا رواه الزمخشري في الكشاف ١/٧ (القاهرة مطبعة الاستقامة)
[ابو حاتم الرazi في الزينة ١٩/٢] :

فأنت غيث الورى لا رب رحمان
وهو لرجل منبني حنيفة يمدح مسيلة الكذاب

(١٩) القول بمعبرانية [الرحمن] غير صحيح ، وال الصحيح ان هذه الكلمة من الاصول السامية فهي موجودة في اللغات السامية عامة . ولكن اللغويين العرب يعزون للعبرانية او للسريانية او للمحبشية كل ما لم يستطعوا ان يردوه الى أصله ، جهلا باللغات السامية غير العربية .

(٢٠) هكذا روي البيت في المخطوط ، اما في اللسان :
لن تدركوا المجد او تشرعوا عباءكم بالخز او تجعلوا الينبوب ضمراانا

أو ترکون الى العَسَيْن هجر تکم ومسحکم صلیبهم رحمان قربانا^(٢١)

ومن خواص هذا الاسم العظيم قد حذفوا ياء من أوله وزادوا ميمًا مشددة فقالوا : اللهم وذلك غير موجود في شيء من أسماء الله تعالى سواه ، ولا في غيرها • ومن خواصه أنهم قالوا : « يا الله » فقطعوا همزته ولم يفعل بغيره وجمعوا بين الياء التي للنداء والالف واللام ولم يفعلوا ذلك الا في ضرورة الشعر كقوله :

من أجلك يا التي تیمت قلبي وأنت بخیله بالود عنی^(٢٢) وقال آخر :

فیا الغلامان اللذان فرَا ایاکما ائن تکسبانا شرا^(٢٣) وأشید الفراء :

مبارک هوَ ومن سمَاه على اسمك اللهم يا الله^(٢٤) ومن ذلك اختصاصهم ایاه في القسم بحالة لا تكون بغيره ، ومن

(٢١) هكذا في اللسان اما في النسخة الخطية :

او ترکوا الى القسیس هجر تکم ومسحکم صلیبهم رحمان قربانا وفي مادة (رحم) في [اللسان] جاء البيت كما يأتي :

• • • • • ومسحکم صلیبهم رحمان قربانا

اما روایة الديوان :

هل تترکنَ الى القَسِيْن هجر تکم ومسحهم صلیبهم رحمان قربانا لن تدرکوا المجد او تشرعوا عباءكم بالخزَ او تجعلوا التنوم ضمرا نا

(٢٢) حمل البيت على الشذوذ . انظر شرح الكافية لرضى الدين الاستر بادي ١٤٥/١

ورواية البيت : من اجلك يا التي تیمت قلبي وأنت بخیله بالوصول عنی

(٢٣) ورواية البيت في شرح الكافية : • • • ایاکما ان تبغيها لي شرا

(٢٤) قول النحاة في « المیم » في « اللهم » انها عوض من حرف اللداء المحذوف من الاول غير قوي ذلك ان هذا التعويض لم يرد الا في هذه الكلمة ، فهل لنا ان نفترض فنقول : ان المیم فيها هي كالمیم في

الكلمة العبرانية « الوھیم » وتعني الله ، والكلمة العربية بقایا للكلمات ذات اصول بعيدة ورثت المیم في نهاياتها من اصولها اللغوية القديمة نحو « ابنم » و « فم » و نحو ذلك .

أسمائه ولا غيرها ٠ وذلك ادخالهم التاء عليه في قولهم : « تالله لافعلن » ،
وقولهم : « أيمن الله لافعلن » ٠

مسألة رابعة :-

سألت - حبّ الله اليكَ التنزيل ، وفهمك التأويل - عن قوله تعالى : « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون »^(٢٥) ولما كان معنى كل كلام مرتبطا باعرابه ، واعرابه مرتبطا بمعناه ، لم يكن بد من ذكر الاعراب مع المعنى فأقول وبالله أستعين : ان الظاهر من قوله تعالى : « وما تعبدون » أن تكون « ما » في موضع نصب معطوفة على الضمير المتصوب بـ « ان » كأنه قال : « انكم والأشياء التي تعبدونها من دون الله حصب جهنم » فمقتضى هذا الكلام وارد ، ومحصول معناه : « ان كل من عبد شيئاً من دون الله في النار هو وعبوده معه على ما نبيه بعد هذا ان شاء الله تعالى ٠

وقد قال قوم : ان « ما » في موضع خفض على القسم ٠ وهو رأي الصوفية أكثرهم ، والتقدير عندهم « انكم حصب جهنم وحق معبوداتكم التي تعبدون من دون الله » فمحصول معناه على رأيهم ، ان العابدين في النار دون ما عبدهو ٠ وانما فروا الى هذا القول لانه ليس شيء عبد من دون الله في النار ، اذا كان كثير من أهل الضلال قد عبدوا عيسى والملائكة وأم عيسى وغيرهما من البشر ولا ذنب للمعبود في عبادة من عبد ، لان المعبود ان كان صنما ونحوه مما لا يعقل ، فما وجه المحكمة في عذابه وهو لا يحسن ولا يتائمه ولا يختار ذلك ولا يريده ، وان كان المعبود عاقلاً مميزاً ولم يختر ذلك ولم يرضه ، فكيف بذنب فعل غيره ، وقد قال الله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر اخرى »^(٢٦) ٠

(٢٥) سورة الانبياء ، الآية ٩٨

(٢٦) سورة فاطر ، الآية ١٨

فرأى هؤلاء القوم لاجل هذا الذي قلنا ، أن « ما » في موضع خفض على القسم ٠ وعلى نحو من هذا المذهب قرأ بعضهم « انكم وما تبعدون من دون الله حصب جهنم أتم لها واردون » فجعلوا « ما » في موضع خفض على القسم ، وخفضوا الحصب على البديل من « ما » ونصبوا « جهنم » بفعل مضمر تفسيره الجملة التي بعده كأنه قال : « تردون جهنم أتم لها واردون » ٠ وهذا مثل ما حكاه سيبويه من قولهم : « أزيد أنت ضاربه » تريد « أتضرب زيداً أنت ضاربه » وهذا القول خطأ بين ، لا خفاء به على متأمل صحيح التأمل ٠ والآية نفسها تنقض ما قالوه ولكن يجب علينا أن نولي قولهم ما يستحقه من الكلام ونذكر احتجاجهم كما زعموه ثم نبين بعد ذلك أن الصواب غيره ، فنقول حاكين لما يحتجون به : « ان قال قائل : كيف أقسم تعالى بأصنامهم التي كانوا يعبدونها ، وفي القسم بهـ تنويه بأمرها وتعظيم لقدرها » فعن هذا جوابان للصوفية : أحدهما : أن يكون تقدير الكلام « انكم وحق ما تبعدونه من دون الله عندكم أو في اعتقادكم » فيكون ذلك على وجه الحكاية كما كانوا يعتقدونه فيها كما قال تبارك وتعالى : « انك أنت العزيز الكريم »^(٢٧) وإنما هو في الحقيقة الذليل المهان ، ولكن خرج الكلام مخرج الحكاية كما كان يعتقد في نفسه ويعتقد فيه من كان يعبدـه ٠ ونحوه قوله في موضع آخر : « أين شركائي الذين كتـم تزعمون »^(٢٨) فأضاف الشركاء إلى نفسه ، وليس له تعالى شريك ٠ ويروى أن شاعرا من شعراء اليمـن هجا جـريراً فقال في هجوـه :

أبنـي تـليـاً وأـبلغ عنـك شـاعـرـها اـني الأـعـز وـانـي زـهـرـة الـيـمـن

فـقال جـرـير :

(٢٧) سورة الدخان ، الآية ٤٩

(٢٨) سورة القصص ، الآية ٦٢

أَلْمَ يَكُنْ فِي وَسُومْ قَدْ وَسَمَّتْ بِهَا

مِنْ حَانٍ^(٢٩) مَوْعِظَة^(٣٠) يَا زَهْرَةَ اليمِين^(٣١)

فسماه « زهرة اليمين » حكاية لكلامه ، واعتقاده في نفسه ، فهذا أحد الجوابين عند الصوفية . والجواب الثاني على رأيهم : أن يكون الله تعالى أقسم باللهائهم على جهة الهزء بها والاستخفاف بقدرها ، كما قال دريد بن الصمة يهجو بنى شهاب^(٣٢) :

لَعْمَر^(٣٣) بْنِي شَهَابَ مَا أَقَامُوا صَدُورُ الْخَيلِ وَالْأَسْلِ النَّيَاعِ^(٣٤)
وَلَكُنِي كَرَرْتُ بِفَضْلِ قَوْمِي فَحَزَتْ مَكَارِمًا وَحَوَيْتْ بَاعًا
فَأَقْسَمْ بِأَعْمَارِهِمْ هَازِئًا بِهِمْ وَهُوَ قَدْ وَضَعَهُمْ وَأَنْهُمْ لَمْ يَبْلُوَا وَلَا دَافَعُوا
فَهَذَا مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الصَّوْفِيَّةُ لِقُولِهَا : قَدْ وَفَيْنَاهُ لَهُمْ ، وَلَعْلَنَا قَدْ زَدْنَا فِيهِ مَا لَهُمْ
يَعْرِبُوا بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْحَقَّ غَيْرَ مَا ثَالَوْهُ . وَالْقُولُ
الصَّحِيحُ الَّذِي يَقْتَضِيهِ مَذَهَبُ أَصْحَابِنَا أَهْلَ السَّنَةِ هُوَ الصَّحِيحُ . وَهُوَ :

(٢٩) هذا هو الصحيح ، اما في المخطوطه : مدعضة .

(٣٠) هذا هو الصحيح ، اما في المخطوطه : جاز

(٣١) لم يرد البيت في الديوان على هذا الوجه بل ورد على الوجه الآتي : ألم يكن في رسوم قد وسممت بها من حان موعظة يا حارت اليمين وقد هجا جرير زهرة القناني ص ٥٦٦ في قصيدة مطلعها :

عْرَفْتَ مَنَازِلاً بِلَوْيَ الشَّمَانِي وَقَدْ ذَكَرْنَ عَهْدَكَ بِالْغَوَانِي

(٣٢) هي دريد بن الصمة سيدبني جشم ، ادرك الاسلام ولم يسلم وقتله على شركه يوم حنين .

انظر : الاغاني ١٩-٢/٩ ، المؤتلف ١١٤ ، الخزانة ٤/٤٤٢-٤٤٧ ،

شرح الحماسة للمرزوقي ٨١٢ - ٨٢٧

(٣٣) هكذا في الصحاح للجوهري واللسان ، اما في المخطوطه : أحمد

(٣٤) نسب البيت في « اللسان » الى القطامي ، وآخرظن ان صاحب اللسان اشتبه عليه الامر فجعله من عدة قصيدة القطامي ، العينية التي مطلعها :

قَفَيْ قَبْلَ التَّفْرِقِ يَا ضَيَاعًا وَلَا يَكْ مُوقَفٌ مِنْكَ الْوَدَاعًا

وهذه القصيدة تتفق وبيت دريد في الوزن والقافية .

ان « ما » معطوفة على الضمير المنصوب بـ«أن» وان المراد بالآية ما قومنا ذكره ، لأن المشيخة الجلة رروا بأسانيد مختلفة أن هذه الآية كما نزلت تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش فقال بعض من حضر من أكابر قريش : « أنا أخص لكم محمداً » ثم أقبل عليه فقال : « يا محمد ان عيسى وأمه قد عبدا من دون الله ، أفيكونان من حصب جهنم ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغرب المشركون ضحكاً . فأنزل الله تعالى : « ان الذين سبّت لهم منا الحسنة او لئن عنها مبعدون »^(٣٥) فهذا التفسير يدل على أنه يقسم بالهتهم ، واتما أراد أنها معهم في الدار . على انه يمكن الصوفية أن تقول : يجوز أن يكون الله تعالى أراد القسم وتوهمت قريش غير ذلك لاحتمال الآية تأويلاً فأنزل الله تعالى الآية الثانية تأكيداً للبيان ، كما غلط عدي بن حاتم في تبيين قوله تعالى : « حتى يتبيّن لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود »^(٣٦) فأنزل الله تعالى « من الفجر » زيادة في البيان ، لا لأجل ان التأويل كان على ما تأوله عدي ، فهذا يجوز لهم أن يحتجوا به ، ولكن الرواية واتفاق الجماعة أولى أن يؤخذ به وقد قال عز من قائل : « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم »^(٣٧) وقد قال في الآية نفسها « لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون » . وهذا يبطل قول الصوفية ابطالاً ظاهراً لا حيلة لهم في دفعه . واني لأعجب من تعرض له هذه الشبهة مع هذا النص الواضح ◦

وقد اعترض معتبر من الملحدين فقال : كيف أنزل الله تعالى كلاماً ناقص البيان يحتاج الى الاتمام ويمكن الاعتراض عليه والطعن فيه ، وهو العالم بما كان وما يكون قبل أن يكون وقد سبق مكتون علمه جل

(٣٥) سورة الانبياء ، الآية ١٠١

(٣٦) سورة البقرة ، الآية ١٨٧

(٣٧) سورة الصافات ، الآية ٢٣

جلاله ما يه jes في كل خاطر ، وما يمكن أن يعترف به كل ملحد ؟ فقد كان الأليق بوجه الحكمة أن تنزل الآيات محكمة متقدة لا نقص فيها ولا اعتراض في شيء من معاناتها •

فالجواب عن هذا من وجوه منها : ان معنى الاعتراض لا يلزم لانه ان ساغ لمفترض أن يعترض بهذا في نزول آيات القرآن العزيز ، ساغ لآخر أن يعترض بمثله في جميع أفعال الله تعالى الموجودة في العالم ، لأن لها أو لأكثرها مبدأ وتدريجاً من حال إلى حال حتى تبلغ أقصى الكمال • وهل هذا الا بمنزلة من اعتراض وقال : كيف خلق الله تعالى من يكذب به ويبحده ربوبيته ، ويفسد في الأرض حتى احتاج إلى مخاطبة البشر بالوعد والوعيد ، وقد كان الأكمل في الحكمة أن يهدى بهم في أصل الفطرة حتى لا يقع شيء من ذلك فإذا لم يكن هذا الاعتراض لم يلزم ما اعترضوا به •

وجواب آخر وهو ان في نزول القرآن منقطعا على هذه الصفة التي أنكرها هذا المنكر وجسوها من الحكمة عمي عن معرفتها فمنها : تشبيهه صلى الله عليه وسلم عندما كانوا يفحشو نه بآقاويمهم ، ويعترضون بزخارفهم وأباطيلهم وقد نبهنا الله تعالى على هذا الوجه من الحكمة بقوله : « وقال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك »^(٣٨) إلى آخر الآية • ومن وجوه الحكمة في ذلك ان الشيء اذا ورد أولا وهو محتاج إلى الإيضاح والاكمال كان أعظم في النفوس ، واستدحرص السامع على معرفة آخره والوقوف على حقيقة غرضه ، ولهذا ورد تماماً بعد ذلك وكان له من الموضع في النفوس ما ليس للشيء الذي يرد جملة ، يفجأ دفعة • وهذا المعنى لا يخص نزول القرآن دون غيره ، بل ذلك موجود في أكثر الأمور ، ولذلك استحسن العلماء أن يتقدم الاعطاء وعد ، ويسبق الوصل صد ، والمواساة منع حتى قال الشاعر :

(٣٨) سورة الفرقان ، الآية ٣٢

حلوة الفضل كوعد ينجز لا خير في الفضل كنهز ينهز
وقال آخر :

لولا اطراد الصيد لم يك لذة فطاردي لي بالوصل ذليل
هذا الشراب أخو الحياة فما له من لذة حتى يصيب غليل
وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى جداً استحساناً له فهذا وجه آخر
من الحكمة في ذلك •

ووجه ثالث : وهو ألطف مأخذاً وأدق مسلكاً مما تقدم : وذلك أن
في نزول القرآن العزيز على هذه الصفة التي أنكرها هذا الجاهل بوجوه
حكمة الله تعالى ، أصح دليل وأبين شاهد بأنه صلى الله عليه وسلم كان
لا ينطق عن الهوى وإنما كان وحياً يوحى ، لأن القرآن لو كان شيئاً
يتقوله وكلاماً يلفقه ويصفه على ما كانوا يدعون عليه وينسبون إليه لا يبرزه
محكم الصنعة متقن التأليف مستوفي الغرض غير محتاج إلى زيادة ونقص
كما يبرز الشاعر قصيده ، بل أن ينفعها ويهذبها ، والخطيب خطبته بعد
أن يقومها ويشفقها بدل ظهور القرآن على لسانه متقطع النظام محتاجاً كثيراً
منه إلى الأكمال والاتمام • على أنه لم يكن فيه أكثر من التبليغ والتآدية
عن الله تعالى • فتأمل هذا فإنه من أسرار القرآن اللطيفة وأغراضه
الشريفة •

ووجه رابع من الحكمة : وهو أن نزول القرآن متقطع النظام ثم
انتظامه وتأليفه بعد ذلك على أبدع ما يكون من أساليب الكلام دليل شاهد
على أنه كلام حف بالعصمة ، وارتفع عن الطاقة والقدرة • وذلك أن
البليل منا إذا عمل فقرأ من الكلام نظماً أو شرائعاً ثم احتاج إلى تأليف بعضها
مع بعض حتى يجعلها قوله واحداً وأنه يجد لها متنافرة التأليف غير منتظمة
التصنيف حتى يستعمل نوعاً آخر من النظم ويزيد وينقص ، وأنت تجد

هذا القرآن العزيز بعد تألف آياته المتفقة ، وضمها الى السور المحكمة ، رائق المسمع في الآذان ، عذب الموقع في الأذهان ، حتى تتوهم انه كلام نزل في وقت واحد . وهذا شيء لا ينتبه له المستبصر ، ولا يهتدى اليه المتأمل المعتبر ، ولا يقدره حق قدره الا اليقظان المتفكر . فهذه أربعة وجوه من الحكمة في نزول القرآن متقطعاً . ثم نحن نقول ذلك لهذا المعارض . فجهله فيما لم يحيط به علماً ، ولم يأت تأويلاً له تشيّتاً للمؤمن المسترشد ، وقمعاً للكافر الملحد ، اذ اعترض المعارض في الشيء وطعنه فيه لا يدل على نقصان الشيء المعارض فيه ، ولا يقتضي أن ذلك من أجل اختلال معانيه ومبانيه ، فقد يعترض المعارض في شيء صحيح المعنى متفق اللفظ والمبنى لنقصان فطرته وتلة معرفته أو لغلط يعرض له وشبهة تدخل عليه من لفظ مشترك وتأويل محتمل . ألا ترى الى قول القائل :

وكم من عائب قوله صحيحاً . وآفه من الفهم السقيم^(٣٩)

وقوله :

ومن يك ذا فم مرّ مريض . يجد مراً به إماء الزلازال^(٤٠)
وتوله تبارك وتعالى : « انكم وما تبعدون من دون الله حصب جهنم أتم لها واردون » آية محكمة المبني صحيحة المعنى غير محتاجة الى شيء يتممها ويبيّنها ولو اقتصر عليها لم يضرها جهل من جهلها . وانما أنزل تعالى « ان الذين سبقت لهم الحسنة .. الآية » حسماً لاعترض المعارض وتأكيداً لايضاح المعنى ، لا يغفر من الآية الاولى الى الآية الثانية . ولو كان صلى الله عليه وسلم ممن يقول بالقياس والنظر لأبان وجه تأويلاً وأعرب عنه . ولم نكن على تخلفنا أهدى الى وجه الاحتجاج لها منه ، لكنه

(٣٩) البيت من قصيدة للمتنبي مطلعها :

اذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم

(٤٠) من قصيدة للمتنبي مطلعها :

بقائي شاء ليس هُمْ ارتحالاً وحسنَ الصبر زموا لا الجمالا

صلى الله عليه وسلم كان لا يقول شيئاً برأي يراه ، وإنما كان ينبع ما أنزله
الله إليه وأواماه ٠

ولنبين لك صحة ما نقوله من ان هذه الآية لا تحتاج الى شيء يتممها
ان الخطاب في قوله : « انكم وما تبعدون من دون الله » لا يخلو من أن
يراد به العرب خاصة ، أو يراد به كل من عبد شيئاً من دون الله ، فان
كان الخطاب للعرب خاصة والمراد بما يبعدونه للإصنام خاصة لأنهم لم
يكونوا يبعدون شيئاً غيرها من دون الله فلا وجه لادخالهم عيسى صلى الله
عليه وسلم وأمه فيها ٠ ويدل على ان الخطاب لهم خاصة قوله : « لو كان
هؤلاء آلهة ما وردوها » وهؤلاء انما هو اشارة الى الشيء الحاضر وان كان
الخطاب لكل من عبد شيئاً من دون الله من العرب وغيرهم ، فان الظاهر
في « ما » أن يراد بها ما لا يعقل لأن هذا هو المشهور من أمرها في اللغة ٠
فإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن للملاك عيسى وأمه صلوات الله عليهم
مدخل فيها ، لأنه لو خلط من يعقل بما لا يعقل ، لقال « ومن تبعدون »
لأنه اذا خلط من يعقل بما لا يعقل فاتما يغلب من يعقل كقوله تعالى :
« والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي
على رجليه ومنهم من يمشي على أربع »^(٤١) فان قيل : فلعله أراد بقوله
« وما تبعدون » من يعقل وما لا يعقل ، لأن « ما » قد تقع للعاقل المميز
كقوله تعالى « فانكروا ما طابت لكم من النساء »^(٤٢) وقولهم : « سبحان من
يسلم الرعد بحمده » ففتحن نسلم أن « ما » قد تقع للعاقل المميز ، ولكن
لا حجة لهم أيضاً على هذا القول بما لهم في القول الاول حجة ، لأن من
عبد شيئاً من دون الله من ملك أونبي فالاثن انما هو على العابد لا على
المعبود ، وإنما يلزم المعبود الاثم ، ويتحقق عليه العذاب اذ رضي بذلك أو

(٤١) سورة النور ، الآية ٤٥

(٤٢) سورة النساء ، الآية ٣

أمر به أو دعا الناس الى عبادة نفسه . وقد أخبرنا الله تعالى ان أفالضل عباده وخيارهم لا يرضون بذلك ولا يأمرن به . فقال عز من قائل : « ما كان لبشر أن يؤتى الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كوتوا عبادا لي من دون الله »^(٤٣) فينبغي أن لا يدخل في الآية من المعبدين من دون الله الا فرعون ونمروذا وأمثالهما ممن ادعى الربوبية ، ودعا الى عبادة نفسه . فان قيل : فكيف أخبره الله تعالى ان الاصنام تعذّب مع من عبدها وهي لا تختار ذلك ولا تريده ؟

والجواب عن هذا من وجهين : أحدهما أن الخطاب للعرب خصوصاً فورود أصنامهم معهم النار ليس على وجه العقاب لها . ان العقاب إنما يلزم العاقل المميز الذي يتألم ويحس ، وانما تحضر لهم يوم القيمة لأحد معينين : اما ليروا هو ان معبدهم ويلعنونها على قدر ما عبدوها ، واما لتشهد عليهم كما تشهد أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . وليس في وروده الخشب والحجارة النار ما في ورود من عبد من العاقلين المميزين لأن العاقل المميز يتألم بالعذاب ويحس بعقابه على ما جناه غيره عبث وجور ، وهذا غير جائز في حكمة الله تعالى . والخشب والحجارة لما لم تحسن ولم تتألم لم يكن في ادخالها النار عبث وجور على ما توهمه هذا المفترض . وان كان المراد بالصفة كل من عبد شيئاً من دون الله من العرب وغيرهم ، فقد يجوز أن يكون العذّب معهم من عبد من البشر ومن رضي بذلك ودعا الناس اليه دون الحجارة والخشب التي لا حس لها ولا تميز . وقد يجوز أن يردّها الجميع من عاقل وغير عاقل على الوجه الذي قدمنا ذكره .

وكان الكلبي يذهب الى أن قوله : « انكم وما تبعدون من دون الله ، منسوخ بقوله « ان الذين سبقت لهم منا الحسنة او لئن عنها مبعدون »

غلط شديد لوجهين : أحدهما : أنه خبر والأخبار لا يصح فيها النسخ ، إنما النسخ في الامر والنهي . والثاني : ان الآية الثانية ليست ناسخة للآية الاولى على ما توهم ، وإنما هي مؤكدة للبيان ، زائدة للايضاح . فهذا ما عندي في تفسير هذه الآية ، وفيه أشياء كثيرة لا تجدها في كتب التفسير ، لأنني سلكت فيها مسلك الجدل مناقضة للصوفية . ولم أعتراض فيها على المحدثين وأنا أستغفر الله من ذلك ان كان عرض ، وأسئلته العون على القيام بحق ما أمر به وفرض ، لا رب غيره ولا معبود سواه .

مسئلة خامسة :-

سألت أadam الله تسيديك وأرشدك وبلغك من كل ما اترجوه بغيتك ومرادك عن قول امرئ القيس بن حجر :

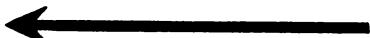
كأن دمي سقف^(٤٤) على ظهر مرمر
كسا مزبد الساجوم وشياً مصور^(٤٥)

(٤٤) هكذا في الديوان ، اما في المخطوطة : شغف

(٤٥) جاء في الديوان ، امرئ القيس ص ٥٨ تفسير الاعلم الشتمري لهذا البيت وتعليقه على تفسير ابي حاتم :

لم يفسر لاصمعي هذا البيت . وقال ابو حاتم : الدمي الصور ، وسقف موضع فيه صور شبهاً بزهو هذا النخل الذي وصف ، والمزبد ذو الزبد ، والساجوم واد بعينه . هذا تفسير ابي حاتم ، وهو بعيد لا يتحقق ، والذي عندي فيه انه متصل قوله :
فشببهم في الال لما تكمشوا

فكأنه قصد به الى تشبيه الظعائن على الابل وما عليهن من الوشى ، وهو يسري في السراب بالدمى على ظهور الرخام بهذا الوادي المزبد ، وشبه السراب لبياضه بزبد الوادي . وقوله «كسا مزبد الساجوم وشياً مصوّراً» جعل المرمر كالكاسي لهذا الوادي المزبد حتى شببه لحمله الدمى بالابل ، وعلى الابل الوشى وقد عمن به السراب لكشرته ، والعرب بما شببت الشيء بالشيء فجعلت في الشبيه به بعض صفات الشبيه اتساعاً ومجازاً كما قال حبيب [ابو تمام] في وصف لواء ابيض يخفق في الهواء :



وقلت ما اعرابه ؟ وما معناه ؟ وقد سألت أرشدك الله - عن بيت تحامى جلة العلماء تفسيره قديماً وحديثاً . وقد روي أن الأصمعي كان لا يفسره ، وإن أبا عمرو بن العلاء كان يقول : ذهب من يحسنـه . فإذا كان هذان قد قالا فيه هذه المقالة على جلالة مكانتهما وقدرهما وبعد صيتها في العلم وذكرهما ، فما ظنك بعد ذلك بغيرهما ؟ ولم يكن هذان ليقولا فيه هذه المقالة إلا وهما قد سألا عنه العرب فلم يظفرا بطائل منه . وما رأينا فيه لغيرهما قولـا نستحسنـه ونرتضيه . غير أن أبي حاتم ذكر فيه تأويلاً لا يكشف غمة ولا يبرد غليلـا . فقال : الدمى الصور ، وشغفـ موضعـ فيه صور ، وأراد أن تلك الصور مزينة بالجوهر فشبه بذلك زهرـ هذا النخل والزهو^(٤٦) [وهو^(٤٧) التمر الذي ظهرت فيه الحمرة فاختـلـ لونـه ، والـساجـومـ وادـ بـعـينـه . وهذا الذي قالـه أبو حـاتـمـ - رـحـمـهـ اللـهـ - وإنـ كانـ غيرـ بـيـنـ فـانـ ماـ تـحـتـهـ معـنـيـ حـسـنـاـ يـتـضـحـ إذاـ نـحـنـ جـلـونـاهـ فيـ مـعـرـضـهـ ، وـأـخـبـرـنـاـ بـمـنـزـعـهـ وـغـرـضـهـ فـيـهـ . وـنـذـكـرـ بـعـدـ ذـلـكـ ماـ قـالـهـ سـوـاهـ وـنـصـلـهـ بـمـاـ نـعـقـدـهـ وـنـرـاهـ انـ شـاءـ اللـهـ تـعـالـىـ]

أما قول أبي حاتم فمجازه عندي أنه جعل هذا البيت من صفة « المكرـعـاتـ » التي ذكرـها امرؤ القيـسـ في قوله :

أـوـ المـكـرـعـاتـ مـنـ نـخـيلـ اـبـنـ يـامـنـ دـوـينـ الصـفـاـ الـلـائـيـ يـلـيـنـ الشـقـرـاـ

(٤٦) هذا هو الصحيح ، أما في المخطوطـةـ : الرـفـدـ .
الأصـمعـيـ ، كتابـ النـخـلـ صـ ٦٧ـ اـزـهـيـ النـخـلـ إـذـ ظـهـرـتـ فـيـهـ الحـمـرـةـ وـهـوـ وهوـ الزـهـوـ [بـفتحـ الزـايـ وـاسـكـانـ الـهـاءـ] وـفـيـ لـغـةـ الـحـجـازـ الزـهـوـ [بـضمـ الزـايـ]

(٤٧) يـحـتمـلـ انـهـ سـقطـتـ ، وـالـنـصـ يـقتـضـيـهـ .

خلـتـ عـقـابـاـ بـيـضـاءـ فـيـ حـجـراـ تـالـمـلـكـ خـارـتـ مـنـهـ وـفـيـ سـدـدـهـ وـالـعـقـابـ لـاـ تـكـوـنـ بـيـضـاءـ ، وـلـكـنـ لـاـ شـبـهـ الـلـوـاءـ الـمـشـبـهـ بـهـاـ . فـعـلـيـ هـذـاـ جـعـلـ الـمـرـمـ الـكـاسـيـ الـوـدـيـ وـشـيـاـ مـصـوـرـاـ ، اـذـ شـبـهـ بـالـأـبـلـ وـمـاـ عـلـيـهـ مـنـ الـوـشـىـ الـمـصـوـرـ وـسـطـ الـسـرـابـ .

و « المكرعات » النخل النابطة في الماء و اشتقاق ذلك من قولهم : « كرعت الدابة في الماء تكرع فهي كارعة ، وأكرعتها أنا فهي مكرعة ، وأصل ذلك أن تدخل ذوات الأظلاف من الحيوان أكارعها في الماء ثم استعير ذلك لغيرها فشبّه المكرعات بالدمى ، وشبه الماء بالمرمر ، وشبه زهر النخيل لاختلاف ألوانه باللوسي المصور وأراد هذه النخيل كست « الساجوم » من زهرها ما يشبه الوشي المصور ، فكان دمى « سقفه » ^(٤٨) حلت به ففعلت ذلك . ويقوى مذهب أبي حاتم أن العرب قد شبّهت النخل بالعذاري شيئاً ما ^(٤٩) مطرباً . أنشد أبو حنيفة في صفة نخل :

كأن قدوتها في كل فجر عذاري بالذواب ينتصينا ^(٥٠)

والذواب النواصي ، أراد أن الرياح تضرّبها فيميل بعضها على بعض ، فشبّهها بعذاري يأخذ بعضهن بنواصي بعض وقال الراجز : قد أبصرت سعدي بها كتائلي مثل الجواري الحُسْر العطابل ^(٥١)
طويلة الأفء والعشاكل ^(٥)

(٤٨) هذا هو الصحيح ، أما في المخطوطة : شغف .

(٤٩) هكذا في النص . ولعلها فاشيا

(٥٠) هذا هو الصحيح ، أما في المخطوطة : ينتصينا .

(٥١) جاء هذا الرجز في « الصلاح » على النحو الآتي :

قد أبصرت سعدي بها كتائلي مثل العذاري الحُسْر العطابل
ويبدو ان « الحُسْنَ » تصحيف « الحُسْر » ذلك ان (حسن) لا
تجتمع على (فعّل) بضم الفاء وفتح العين وتشدیدها كما تجتمع
« حاسر » على « حُسْر » قال تعالى « فلا أقسم بالخُنُسِ الجواري
الكُنُسِ » والخُنُس جمع « خانس » وال الصحيح ان حسناء تجمع على حسان
وحسناءات وحسب ان ذلك قد وقع من خطأ الناسخ الاول ،
واما من اشتباه الناشر . وقد ورد لرجز في « الليلان » مادة « عطل »
على الصورة التي جاءت في هذه المخطوطة ، ولكن صاحب اللسان اورده
في مادة « كتل » عاً الوجه الآتي :

قد أبصرت سعدي بها كتائلي مثل العذاري الخُرَّد العطابل

(٥) هذا هو الوجه الصحيح ، أما في المخطوطة : الاشاكل .

والكتائل النخل ، والحسن التي لا نبات عليهن ، والعطابل الطوال الأعناق واحدتها عطابل . فاما اعرابه على مذهب أبي حاتم فيحتمل وجهين : أحدهما أن سيبويه ذكر في الكتاب : أن العرب تحذف خبر كأن ولكن وان واخواتها تارة ، وتحذف أسماءها تارة اذا كان في الكلام أو في الحال المشاهدة ما يدل على ذلك وأنشد للفرزدق :

فلو كنت طيباً عرفت قرابتى ولكن زنجياً عظيم المشافر^(٥٢)
فذكر : ان من العرب من ينصب « زنجياً عظيم المشافر » ويجعله اسم « لكن » ويضمر الخبر كأنه قال : « ولكن زنجياً عظيم المشافر لا يعرف قرابتى » ودلل ما نقدم من البيت على هذا الحذف .

وذكر : ان من العرب من يرفع فيقول : « ولكن زنجي عظيم المشافر » فيجعله خبر لكن ، ويضمر الاسم كأنه قال : « ولكنك زنجي عظيم المشافر » فعلى هذا القياس يجوز أن يكون امرؤ القيس حذف اسم كان وجعل دمى خبرها أراد « كأنها دمى سقف على ظهر مرمر من صفتة كذا هذا النخل » . ويشبه هذا الحذف قول طرفة :

وتبسم عن ألمي كأن منوراً تخلل حرّ الرمل دعصله ند^(٥٣)
وقال الأخطل :

خلا ان حياً من قريش تفاضلوا^(٥٤)
على الناس او ان المكارم نهشلا^(٥٥)

(٥٢) انظر سيبويه ، الكتاب ١/٢٨٢ . والبيت في هجاء رجل من ضبة نفاه عنها ونسبه الى الزنج .

(٥٣) انظر معلقة طرفة : لخولة اطلال ببرقة ثمهد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

(٥٤) هكذا في الديوان ص ٣٩٢ ، اما في المخطوطة : تفاضلوا

(٥٥) الديوان : هو من الابيات المنسوبة الى الاخطل وهي ليست في نسخ الديوان . ورد البيت في « اللسان » مادة [نهشل] ٦٨٢/١١ وفي

[لتاب] ١٤٩/٨

وهذا البيت فيما ذكرروا آخر القصيدة ويكون قوله « كسا » على هذا القول في موضع خفض صفة للمرمر ، كأنه قال : على ظهر مرمر كاس مزبد كالساجوم ٠ فان قلت كيف وصف المرمر بأنه كسا الساجوم الوسي المصور وليس ذلك من صفاتة ؟

والجواب : أن ذلك إنما جاز لانه يشبه به الماء الذي كان السبب في انبات^(٥٦) هذا النخل واذهابه حتى كسا هذا الوادي ما يشبه الوسي المصور ٠ والعرب اذا شبهت شيئاً بشيء فربما وصفت المشبه به ببعض صفات المشبه فيقولون : « كأن هندا بدر محل بالدرر والياقوت » ، وهذه الصفة ليس من صفة البدار ولكنهم لما شبهوا به من هذه صفتة صار كأنه بعض البدار محل بالدرر والياقوت لدخول المشبه بالتشبيه في جنس ما شبه به مجازاً لا حقيقة ٠ وهذا كثير في الشعر قد تعاوره القدماء والمحدثون فمنه قول حبيب يصف لواء أبيض^(٥٧) ٠

خلت عقاباً بيضاء في حبرا ت الملك طارت منه وفي سدد^(٥٨)
والعقاب فيما زعموا لا تكون بيضاء ، ولكنه لما شبه بها اللواء الأبيض
صار بعض أنواع العقاب كأنها أبيض لأن اللواء الأبيض قد صار بالتشبيه
كأنه نوع من أنواعها ومثله قول أبي الطيب المتنبي :
وكلت اذا أبصرته لك قائماً نظرت الى ذي لبدتين أديب^(٥٩)
وعلى هنا يتوجه عندي ما عاب الناس على المتنبي من قوله :

(٥٦) هذا هو الصحيح ، أما في المخطوطة : انبات ٠

(٥٧) من قصيدة أبي تمام يمدح فيها علي بن الجهم مطلعها :
ما لكتيب الحمى الى عقده ما بال جرعااته الى جرده

(٥٨) هكذا في الديوان ، أما في المخطوطة : سؤدد

(٥٩) من قصيدة للمتنبي يعزي فيها سيف الدولة في عبده يماك التركي
مطلعها :

لا يحزن الله الامير فأبني لآخذ من حالاته بنصيب

انني أنا الذهب المعروف مخبره يزيد في السبك للدينار دينارا
وهذه الصفة غير محمودة للذهب ، وربما أخرجت الشعراء هذا
المعنى مخرج العجب والاتساع كقول المتنبي :

ما ضاق قبلك خلخال على رشأ ولا سمعت بدبياج على كَنَسٍ^(٦٠)
فهذا أحد وجهي اعراب بيت امرئ القيس على منذهب أبي حاتم •
والوجه الآخر : أن يكون قوله «كسا» في موضع رفع على خبر «كأن» •
من غير أن نحذف شيئاً • فأن قال قائل : «فقد كان ينبغي أن يقول
«كست» أو «كسون» لانه خبر عن الدمي ، والدمى مؤنثة » •

فالجواب : ان العرب قد تذكر خبر المؤنث الذي ليس بحقيقة
وصفتة ، حملها على المعنى وكذلك قد يفردون الخبر عن الجميع والضمير
العائد حملها على معنى الجمع أو الشيء قال جميل :

ألا ليت أيام الصفاء جدید ودهراً تولى يا بين يعود^(٦١)
ولم يقل «جديدة» كأنه ذهب الى معنى الجمع ، أو ذكر الايام
اذا كانت بمعنى الدهر • هكذا رواه ابن الأباري ، وقد روی رواية غير
هذه تركتها خشية الاطالة بها •
وقال آخر :

(٦٠) المتنبي الديوان ١/١٤٠ من بيتهما :

اطبية الوحش لولا ظبية الأنس لما غدوت بجد في الهوى تعسر

(٦١) هكذا روی في المخطوطة وفي الأمالی لابی علي القالی ٢/٣٠٠ ، اما
في الأغاني فقد ورد على الوجه الآتي :

الا ليت ريعان الشباب جدید ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

بل ائتي تجدي ان ائتيتِ أَسَى
بمثل من قد فُجِّعتِ الْيَوْمَ قَدْ فُجِّعَا^(٦٢)

وقال طرفة :

[لا أرى الا النعام به] كلاماء أشرف حزم^(٦٣)

فإن قلت : فعل هذا إنما جاء في الضرورة لأن هؤلاء الشعراء لم يمكنهم غير ذلك ، وليس في بيت امرىء القيس ضرورة ، لانه قد كان يمكنه أن يقول «كست» فيؤنث والوزن قائم صحيح .

فالجواب : إننا وجدناهم قد فعلوا مثل هذا في الكلام الفصيح ثرا ونظمها . حتى سيويه : إن العرب تقول : هو أحسن الفتى وأجمله ، وأكرم بنيه وأبنائه . قال الله تعالى : «نسقكم مما في بطونه»^(٦٤) .

وزعم الأخفش أن العرب تنشد :

أَلْبَانَ أَبْلَ تَلْهَةَ بْنَ مَسَافِرَ^(٦٥) مَا دَامَ يَمْلِكُهَا عَلَيَّ حَرَامٌ
وَطَعَامَ عَمْرَانَ بْنَ أَوْفَى مَثَلَهُ مَا دَامَ يَسْلُكُ فِي الْحَلْوَقِ طَعَامَ^(٦٦)

(٦٢) جاء في الإمامي ١/٢٢ ان الأخفش قال : ابني ابو الفيض بن أبي شراعة عن بي شراعة قال : حدثني عبد الله بن محمد بن يسir البصري قال : علىك ابي جارية لبعض الهاشميين فبعث اليه امي تعاتبه فكتب اليها ابياتا اولها :

لا تتبعنْ لوعة اثرى ولا هليلعا ولا تقاسينْ بعدى الهمَ والجزعا
بل ائتي تجدي ان ائتيتِ أَسَى

(٦٣) هكذا في الديوان اما في المخطوطة : « اشرف حرقة »
البيت من قصيدة مطلعها :

أشَبَّحَكَ الرَّبِيعَ إِمْ قِدَّمْهُ ام رماد دارس حُمْمَهُ

(٦٤) سورة النحل ، الآية ٦٦

(٦٥) هذا هو الصحيح ، اما في المخطوطة : من مسافر

(٦٦) ورد في البناء في الكامل للمبرد ١/٥٥ ، وقد جاء البيت الثاني كما يأتي :

←

والهاء في « مثله » عائدة على الالبان ° قال : ومنهم من ينشده « مثله » °
فإن قلت : فأيهما أبلغ عندك في معنى التشبيه ، كون الدمي اسم « كان »
أم كونها خبرا ؟

فالجواب : ان كون الدمي اسم « كان » أبلغ في التشبيه ، كأنه اذا
جعل الدمي خبر « كان » كان التشبيه مستقيما ، وإذا جعلها اسمها كان
التشبيه معكوسا فكان أبلغ ° وهذا مذهب للعرب ظريف ، يقولون :
« كأن هندا القمر » فإذا أرادوا المبالغة عكسوا التشبيه فقالوا : « كأن
القمر هند » وذلك ان المشبه به له مزية على المشبه ، فإذا عكسوا انتقلت
تلك المزية التي كانت في المشبه وعلى هذا قول الراجز :
كأن أوبٌ مائجٍ ذي أوبٍ مدارك النهر سريع النهب^(٦٧)
أوبٌ يديها برقاد سهبٍ

وقول ذي الرمة :

ورمل كاوراك العذاري قطعته وقد جلنته المظلمات الخنادس^(٦٨)

(٦٧) ورد الراجز في المسان مادة [أوب] على الوجه الآتي :
كأن أوبٌ مائجٍ ذي أوبٍ أوبٌ يديها برقاد سهبٍ
وأورد الجرهري في الصلاح عجز هذا البيت ° والاوب السرعة °
والاوب سرعة تقليب اليدين والرجلين في السير °

(٦٨) هكذا في المخطوطات ، اما في الديوان :
ورمل كاوراك العذاري قطعته اذا جلنته نظمات لخنادس
من قصيدة مطلعها :

الم تسأل اليوم الرسموم الدوراس بحزوى وهل تدرى القفار البسباسُ

وطعام عمران بن اوقي مثلها ما دام يسلك في البطون طعام
وجاء : قال ابو الحسن [الاخفش] روى ابو العباس [ثعلب] :
وطعام عمران بن اوقي مثلها °
رد الهاء والالف على الالبان ، وهذا لانظر فيه ، وروى ايضا مثله لأن
الالبان تجري مجرى اللبن فحمله على المعنى °

هذا ما يتوجه عليه عندي قول أبي حاتم ، وقد يجوز فيه وجه آخر
وهو أن يكون من صفة الطعن في قوله :

بعينيَّ ظعن انحني لـا تحملوا

لدى جانب الأفلاح من جب تيمرا^(٦٩)

فيكون معناه أن هذه الطعن المتحملة مرت بالساجوم فكسرته الوسي
المصور لما عليها من أنواع الثياب المختلفة ، فكأن دمي سقف مرت به فكسرته
ذلك . وهذا كقوله : مرت بنا هند فكأن القمر مر بنا فيكون « كسا » في
هذا الوجه خبر « كأن » وذكر الضمير لما قلناه في الوجه الأول . وقد
قال بعض أهل زماننا أن الصواب في هذا البيت رفع « مزبد » وجعل خبر
« كأن » غرائر ومعناه عنده أنه شبه هذه الغرائر وما على لباتهن من الحلبي
يدمي سقف وقد ألقى عليها الساجوم من زبده ما يشبه الوسي المصور ،
ويلزم على قوله أن يكون من التشبيه المعكوس للبالغة على ما ذكرناه .
وهذا الذي ذكره هذا القائل بعيد جدا عندي من وجوه منها : إن الرواية
انما هي « مزبدأ » بالنصب لا بالرفع ، كذلك وجدها في نسخ صحيح
مقرودة على أبي علي البغدادي وغيره من الأئمة المشهورين . وعليه يدل
قول أبي حاتم : « واما فزع الى رفعه من اشكال عليه معنى البيت ولم
يتوجه ما قدمنا ذكره .

ومنها أنه يلزم على قوله أن يكون قوله : « كسا مزبد الساجوم » في
موقع نصب على الحال من الدمي لأن « الدمي » في البيت معرفة باضافتها
إلى المعرفة ، والحال لا بد فيها من ضمير يعود على صاحبها ، فكان يجب
على هذا أن يقول : « كساها مزبد الساجوم » فان زعم أنها حذفت كما
تحذف من الصلة والصفات فذلك غير جائز ، لأن حكم الحال في هذا
مخالف لحكم الصلة والصفة ، لأن الصلة تصير مع الموصول كالشيء

(٦٩) تيمرا اسم موضع

الواحد فيطول الكلام فتحذف الهاء تخفيفاً ، والصفة في هذا مضارعة للصلة لأنها تكون مع الموصوف كالشيء الواحد في أكثر المواقف اذا كان الموصوف لا يعلم الا بها ، والحال ليست كذلك ٠ ومع هذا فإن فاعل « كسا » الذي ارتفع به أجنبي وهو قوله « مزبد الساجوم » فصار بمنزلة قولك : « رأيت هنداً ضرب عمرو » تريده « ضربها عمرو » وهذا شيء لم يخبرنا أحد من البصريين ولا الكوفيين ، لأن الكلام الثاني منقطع من الاول غير ملائم به ٠ ويبين لك أيضاً ضعف هذا القول أنه بعيد من جهة المعنى كبعده من جهة الاعراب لأنه قال : شبه الغرائز وما على لباتهن من الحلي بدءى سقف وقد كساها الساجوم من زبده ما يشبه الوشى المصور ، وتشبيه المزبد بالوشى المصور تشبيه بعيد جداً ، فقد اجتمع في هذا القول كما ترى بعده من جهة المعنى وبعده من جهة الاعراب ومخالفة الرواية المشهورة ٠

وقد رأيت فيه تفسيراً آخر لبعض مشيخة عصرنا ذهب الى أنه يتصل بقوله :

فتشبّهتم في الآل لما تكمّشوا^(٧٠) حدائق دوم أو سفيننا مقيراً
 وذهب الى انه شبه الظعائن على الابل بالدمى على المرمر ، وشبه السراب ليلاً بالزبد ، وأضرب عن تفسير وجه اعرابه ولم يذكره ٠ وهذا الذي قاله غير خارج عما تقدم ، وينبغي أن يكون اعرابه على نحو ما ذكرناه أولاً في تفسير قول أبي حاتم والغرض الذي قصده وهو معنى حسن متحصل ليس بعيد كما زعم وبالله التوفيق ٠

المسألة الخمسون في « دُبٌّ »

سألت أadam الله عزتك ، وحمي من النوائب حوزتك ، وملكت نواحي

(٧٠) هكذا في المديوان اما في المخطوطة : تلمسوا

النعم ، وبلغك أقصي الهمم ، عن قول النحويين : ان ربَّ للتلليل ،
وقلت : كيف يصح ما قالوه وكلام العرب المنظوم والمنتور يشهد بضم ما
زعموا ، لأن القائل اذا قال : رب عالم لقيته ، ورب طعام طيب أكلته ،
فإنما غرضه أن يكثر من لقيه للعلماء ، وما أكله من الطعام الطيب وكذلك
قول امرئ القيس :

ألا رب يوم صالح لك منها
ولا سيما يوم بداره جلجل^(٧١)
وقال الأعشى :

رب رفد هرقه ذلك اليوم وأسرى من عشر أقتل^(٧٢)
لا يليق بهما التقليل لأن بيت امرئ القيس بيت افتخار بكثرة الأيام
الصالحة التي تنعم فيها بالنساء ، وان « يوم دارة جلجل » كان أجلها
وأحسنها ٠ وبيت الأعشى بيت مدح ولم يمدح الذي مدحه بأنه أراف رفدا
واحدا ٠ ومثل هذه الآيات - أadam الله عزك - حمل القائلين على أن
يقولوا : ان رب للتکثير ، مع ان سیویه قال في باب « کم » ومعناها کمعنى
« رب » فتوهموا أن مذهبة أنها للتکثير :

وقد كان أشكال علي من أمرها قبل قوتي في هذه الصناعة مثل ما
أشكل عليك ، وحسبت ان أبا القاسم الزجاجي وأبا جعفر بن النحاس
ونحوهما من صغار النحويين غلطوا في ذلك ، فجعلت أبحث عما قاله فيها
جلة النحويين فوجدت كبراء البصريين ومشاهيرهم مجتمعين على أنها للتقليل
 وأنها ضد « کم » في التکثير كالخليل وسيویه وعيسى بن عمرو ويونس
وابي زيد الانصاري وأبي عمرو بن العلاء والاخفش سعيد بن مسعدة
والمازنی وأبي عمر الجرمي وأبي العباس المبرد وأبي بكر السراج وأبي

(٧١) رواية التبریزی في شرحه للملحقات كالآتی :

اـ لـ اـ رـ بـ يـوـمـ لـكـ مـنـهـنـ صـالـحـ

(٧٢) من قصیدته التي مطلعها :

مـاـ بـكـاءـ الـكـبـيرـ بـالـاطـلـالـ وـسـؤـالـيـ وـمـاـ تـرـدـ سـؤـالـيـ

اسحق الزجاج وأبي علي الفارسي وأبي الحسن الرماني وابن حنيبي والسيرافي ، وكذلك جلة الكوفيين كالكسائي والفراء ومعاذ الهراء وابن سعدان (٧٣) وهشام (٧٤) ولم أجد لهم مخالفًا في ذلك الا صاحب كتاب العين فإنه صرخ بأنها للتکثیر ولم يذكر أنها تجيء للتقليل . وهذا من أطرف شيء لأن « رب » قد كثّر استعمالها في مواضع لا يسوغ فيها التکثیر سندًا لـ « اذا اتهينا اليها ان شاء الله تعالى » .

ورأيت الفارابي قد ذكر في كتاب الحروف : أنها تكون تکثيرًا وتقليلًا . ورأيت قوماً من نحوبي زماننا هذا ومن قرب زمانه من زمانهم يعتقدون أنها للتکثیر مثل « کم » وكأنهم يعتقدون أن النحوين المتقدمين غلطوا فيها ورأيهم يتکلفون بالمواضع التي ظاهرها التکثير ويغفلون الموضع التي لا تحتمل الا التقليل .

ورأيت قوماً منهم يحتاجون بقول سيوويه في « کم » ان معناها كمعنى « رب » وقد يتعين على المصنف اذا رأى رأياً يخالف ما رأاه المبرزون في صناعة من الصنائع أن يتهم رأيه ولا يتسرع في تحطيمهم ، وإنما ينبغي أن يلتمس حقيقة ما قالوه ، فلسنا نشك في أن الخليل وجميع من سميئاه من البصريين والكوفيين قد رأوا الآيات التي ظاهرها التکثیر كما رأها هؤلاء المعارضون عليهم لأنها كثيرة جداً وليس مجئها للتکثیر شاداً قليلاً ففيتهم انه غاب عنهم لقلته ، بل تکاد الموضع التي ظاهرها الكثرة تكون موازية للمواضع التي تقع فيها القلة . وهذا اتفاق جميع ما ذكرناه على ان أصل

(٧٣) هو ابو جعفر بن سعدان الضرير المتوفي سنة ٢٣١هـ . انظر ترجمته في السيوطي بغية الوعاة ٤٥ ، طبقات النحوين للزبيدي ١٥٣ ، نزهة الالباء لابن الانباري ص ١٠٧ ارشاد الاربيب لياقوت ٢٠١/١٨

(٧٤) هو هشام بن معاوية الضرير النحوي الكوفي المتوفي سنة ٢٠٩هـ . انظر ترجمته في انباء الرواة ٣٦٤/٣ ، نزهة الباء ١١٣ ، بغية الوعاة ٤٠٩ ، ابن خلكان ١٩٦/٢ ، طبقات النحوين للزبيدي ١٤٧ نكت الهميان ٣٠٥ .

أن « رب » للتكليل و « كم » للتكلير دليل على أن لهم في ذلك غرضاً ينبغي أن يعلم ويوقف عليه . وكذلك قول سيبويه أن « كم » معناها كمعنى « رب » لا دليل فيه على أنها للتكلير من ثلاثة أوجه : أحدهما : أن سيبويه ينazuغ غيره في قوله : ان « رب » للتكليل و « كم » للتكلير . والثاني : ان سيبويه اذا تكلم في الشواذ في كتابه فمن عادته في كثير منها [قوله] « ورب شيء هكذا » ، يريد انه قليل نادر كقوله في باب « ما وقد » في بيت الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم اذ هم قريش واذ مامثلهم بشر^(٤٥)
وهذا لا يكاد يعرف كما « لات حين مناص » و « رب شيء »
هكذا . وهو كقول بعضهم « هذه ملحقة جديدة في القلة » ، فكيف يتورّهم عليه ان أراد بقوله : ان معنى « كم » كمعنى « رب » أنها مثلها في الكثرة وهو يستعملها في كلامه ، وما يستعمله يتكلم عليه في مسائل كتابه بضد ذلك .

والوجه الثالث : ان كل من شرح كتاب سيبويه لم يقل أحد منهم أن سيبويه أراد بهذا الكلام ان « رب » للتكلير . وقد فسر أبو علي الفارسي هذا الموضع فقال : انما قال : ان معنى « كم » لأنها شارك « رب » في انهما يقعان صدرًا ، وانهما لا يدخلان الا على النكرة ، وان الاسم المذكور الواقع بعدهما يدل على أكثر من واحد ، وان كان الاسم الواقع بعد « كم » يدل على كثير ، والاسم بعد « رب » يدل على قليل فيختلفان في هذا الوجه . ويختلفان أيضاً في ان « كم » اسم ، و « رب » حرف وكذلك قال ابن درستويه والرمانى وغيرهما في شرح هذا الموضع من كلام سيبويه ، وان كانت الموضع التي ظاهرها التكثير عنده أو لا توجب أنها للتكلير ، فقد

(٧٥) من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز مطلعها :
زارت سكينة اطلاحاً انماخ بهم شفاعة النوم للعينين والسمير

يجب أن تكون الموضع التي ظاهرها التقليل توجب أن تكون للتقليل .
ولا أقل من أن يتعادل الامران عندهم فيقول : إنها تكون تقليلاً وتكتيراً
كما قال أبو نصر الفارابي . وأنا أوصل في « رب » أصلاً ينبغي تصريح
مسائلها عليه ويصرح بما أشاره أهل هذه الصناعة المتقدمون إليه ان
شاء الله تعالى .

« باب الكلام على « رب » وحقيقة وضعها »

أعلم ان « رب » و « كم » بنيا على التناقض في أصل وضعهما . لا أن
أصل « رب » للتقليل ، وأصل وضع « كم » للتكتير . هذه حقيقة وضعهما . ثم
يعرض فيهما المجاز للمبالغة وغيرها من الأغراض ، فيقع كل واحد منها
موقع صاحبها ، وهذا سبيل المجاز لأنه عارض يعرض للشيء فيستعار في
غير موضعه ، ولا يبطل ذلك حقيقته التي وضع عليها ، ومثل ذلك المدح
والذم وانهما وضعاً ملبياً للتناقض في أصل وضعهما ، ثم يعرض لهما المجاز
فيستعمل الذم مكان المدح كقول القائل : « أخزاه الله ما أشعره ، ولعنه الله
ما أفضحه » . ويستعمل المدح مكان الذم فيقال للآخر : « يا غافل » ،
وللجهال : « يا عالم » ، وللبخيل : « يا جواد » ، وذلك على سبيل الهزل .
قال الله تعالى : حكاية عن قول شعيب انهم قالوا له : « انك لأنك الحليم
الرشيد »^(٧٦) ، وقال لفرعون « ذق انك أنت العزيز الكريم »^(٧٧) ومثله
قول الشاعر :

وقلت لسيدنا يا حكيم انك لم تأس سوءاً رفينا
وقال بعض شعراء اليمن يخاطب جريراً :
أبلغ كلياً وأبلغ عنك شاعرها اني الأعز واني زهرة اليمن
فأجابه جرير فقال :

(٧٦) سورة هود ، الآية ٨٧

(٧٧) سورة الدخان ، الآية ٤٩

ألم يكن في وسوم قد وسمت به من حان موعظة يا زهرة اليمن^(٧٨)
فسماه « زهرة اليمن » حكاية لقوله ، وهزءا به . وكذلك التذكير
والتأنيث نقىضان في أصل وضعهما ثم يلتحقهما المجاز فيقع كل واحد منها
موقع صاحبه مع حفظه لأصله الذي وضع عليه ، فيقولون للرجل : علامة
ونسابة ، ويرون أنه أبلغ من قولهم : علام ونساب ، ويقولون : امرأة
طاهر وعقر وحاسر ، ويرون ذلك أبلغ من التأنيث لو جاءوا به ههنا .
ووجه المبالغة عندهم في هذا أن النقيضين إنما بينهما حد يفصل بعضهما من
بعض ، فإذا زاد أحدهما في حده انعكس إلى ضده ، لأنه لا منهبه له
يذهب إليه إذ لا واسطة بينهما ، ولذلك قال الشاعر :

· ·

١ وقال أبو الطيب المنبي :

وليجدت^(٧٩) حتى كدت تبخل حائلا للمنتهى ومن السرور بكاء^(٨٠)
وقال أبو العلاء المعري :

[فلا تحسدوا دمعي لوجد وجدته] فقد تدمع العينان من شدة الضحك^(٨١)
وعلى الثاني هذا السبيل من المجاز يضعون النفي موضع الإيجاب ،
والإيجاب موضع النفي ، ويخرجون الواجب بصورة الممكن ، والممكن
بصورة الواجب وغير ذلك من المجازات التي تكثر أن ذكر نهاها وتخرجنا عن
الغرض الذي نحن بصدده ، وقادسدون نحو مقصدده . فكما ان وقوع

(٧٨) سبقت الاشارة الى هذا البيت :

(٧٩) هكذا في الديوان ، اما في الخطوط : ومجدت

(٨٠) من قصيدة مطلعها :

أمين ازديارك في الدجى الرقباء اذ حيث كنت من الظلام ضباء

(٨١) رواية الديوان :

فلا تحسدوا دمعي لوجد وجدته فقد تدمع الاحداق من كثرة الضحك

ومطلع القصيدة :

وصفراء لون التبر مثل جليدة على نوب الايام والعيشة الضنك

بعض هذه الاشياء موضع بعض لا يبطل أصل وضعها فكذلك موقع « رب » موقع « كم » و « كم » موقع « رب » لا يبطل أصل وضعهما على ما نذكر ان شاء الله تعالى ٠

« باب ذكر المراضع التي تقع فيها « اب » للتقليل والتخسيص على حقيقة وضعها »

فمن ذلك قول العرب اذا مدحوا الرجل « ربه رجلا » وهو شبيه بقولهم : الله دره رجلا ٠ وهذه مسألة قد اتفق عليها البصريون والковيون قاطبة ونص عليها سيوه في كتابه ٠ وهذا تقليل محسن لا يتوجه فيه كثرة ٠ لان الرجل لا يمدح بكثره النظراء والأشباه ، وانما يمدح بقلة النظرير أو عدمه بالجملة ٠ وكذا في التعجب : انه ما خفى سببه وخرج عن نظائره ، وانما يريدون بقولهم : « ربه رجلا » انه قليل غريب في الرجال ، فكأنهم قالوا : ما أفلته في الرجال وما أشدده فيهم ٠ ويدل على ذلك تصريحهم في المدح بلفظ القلة في نحو قولهم : « قل من يقول هذا ، وقل من يعلم ذلك الا زيد ونحو ذلك » ٠

قال أبو عبيدة : الأسد توصف بالفداء^(٨٢) ، وهو أن تقبل الرجل الواحدة على الأخرى ، وربما كان الفداء أن ينقلب الرسغ إلى الجانب الوحشي ٠ أراد أن هذا قليل والاول هو الأكثر ٠

وقال أبو العباس المبرد في « الكامل » وكانت الخنساء وليلي مبaitين في اشعارهما لأكثر الفحول ، وربما امرأة تتقدم في صناعة وقلما يكون ذلك^(٨٣) ٠ والجملة ما قال الله عز وجل : « أو من ينشأوا في الحلة لم تشر كتب اللغة إلى قول أبي عبيدة في الفداء ، فليس هو مختصا بالأسد بل مطلق عام ٠

(٨٢) ورد الخبر في الكامل للمبرد [طبعة زكي مبارك] ١٢١٣/٣ على الوجه الآتي : « وكانت الخنساء وليلي بائنتين في اشعارهما ، متقدمتين لأكثر الفحول ، ورب امرأة تتقدم في صناعة ، وقلما يكون ذلك »

وهو في الخصم غير مبين ^(٨٤) . و مما جاءت فيه « رب » بمعنى القلة قول العرب : وربما خان الامير وربما سفه الحليم . أي أن هنا قد يكون ، وان كان الاكثر غيره كما قال قيس بن زهير ^(٨٥) :

أظنّ الْحَلْمَ دَلًّا عَلَى قَوْمِي
وقد يستجهل الرجل الحليم ^(٨٦)
وقال سالم بن واصلة ^(٨٧) :

لَا تَقْرَرْ بِصَدِيقٍ أَنْتَ تَمْحُضُ
إِنَّ الْزَلَالَ وَإِنَّ أَنْجَاكَ مِنْ غَصَصِ
وَقُلْ أَعْشِيْ بِاهْلَةً ^(٨٨) :

لَا يُبَطِّرُنَّ ذَا مَقَةَ أَحْبَابِهِ
فَرِبِّمَا أَرْدَى الْقَتْيَ لِعَابِهِ
وَقَالَ حَاتِمَ الطَّائِي ^(٨٩) :
إِنِّي لَأُعْطِيْ سَائِلِيْ وَلِرِبِّيْ
أَكْلَّفَ مَا لَا يُسْتَطِعُ فَأَكْلَفُ
وَقَالَ زَهِيرٌ :

(٨٤) سورة الزخرف ، الآية ١٨

(٨٥) هو قيس بن زهير بن جديمة بن واحة العبسى ، امير عبس وداهيتها واحد السادة القادة في عرب العراق توفي سنة ١٠١هـ انظر الميداني ١٨٤/١ ، ابن ابي الحديد ٤/١٥٠ خزانة الادب ٣/٥٣٦ ، سمعط الآلبي ٥٨٢ .

(٨٦) انظر شرح الحماسة للتبريزى ١/٣٩٧ ، والبيت من قصيدة مطلعها :
ـ نَعْلَمْ أَنْ خَيْرَ النَّاسِ مِيتٌ عَلَى جَفَرِ الْهَبَاءِ لَا يَرِيمُ

(٨٧) هو سالم بن واصلة بن معبد الاسدي ، امير شاعر ، من اهل الحديث دمشقي سكن الكوفة ، انظر سمعط الآلبي ص ٨٤٤ .

(٨٨) هو اعشى باهلة عامر بن الحارث بن رياح الباهلي من همدان ، شاعر جاهلي يُكنى أبا قحفان . انظر خزانة الادب ١/٩٠ ، سمعط الآلبي ٧٥ .

(٨٩) هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي ، كان فارساً جواداً .
انظر خزانة الادب ١/٤٩٤ ، الشريشى ٢/٣٣٢ .

وابيض فياض يداه غمامه على معقفيه ما تُغب فواضلها^(٩٠)

وهذا خصوص لا وجه فيه للتکثير ، لأنه انما أراد بالابيض حصن بن حذيفة بن بدر الفزاری ، ولم يرد جماعة كثيرة هذه صفتهم . ألا تراه يقول بعده :

حذيفة ينميه وبدر كلها الى باذخ يعلو على من يطاوله
وقال خوات^(٩١) بن جبير الانصاری صاحب ذات النحین^(٩٢) :
وذات عیال واتقین بعقلها خلجمت لها جار استها خلجمات
وانما أراد بقوله : ذات عیال ذات النحین وحدها ، ولم يرد أنه فعل
هذه القصة مراراً كثيرة . وكذلك قوله^(٩٣) في هذه القضية :
وأهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل أنا آجله
وانما أراد هاج بين جبه وجبها من الحرب فسبب هذه الغمة ولم يرد
أهل أخيه كثيرة . وقل صخر بن [عمرو] بن الشريد أخو الخنساء^(٩٤)
وذی أخوة قطعت أقران بينهم كما تركوني واحدا لا أخا لي^(٩٥)
وانما أراد بذی ه هنا زید بن حرملة الحربي ، وهو الذي قتل أحاه
معاوية ، لما قتله بأخيه أشند هذا الشعر . وقوله « كما تركوني واحدا لا

(٩٠) قال زهير من قصيدة مطلعها :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرئي افراس الصبا ورواحله

(٩١) هو الصحيح بتضديده الواو ، أما في المخطوطة : خرات

(٩٢) ذات النحین قصة لامرأة من تم الله بن ثعلبة ومثلها مشهور . انظر
السان مادة « نحا » .

(٩٣) المقصود زهير بن ابی سلمى .

(٩٤) هو صخر بن لحارث بن الشريد الرياحي السلمي المتوفى سنة ١٠
للهجرة . وهو أخو الخنساء ، من الفرسان والغزا . انظر التویری ،
عيون الاخبار ١٥/٣٦٦ ، المبرد ، الكامل ٢٦٦/٢ ، التبریزی ، شرح
الخمسة ٣/١١٠ .

(٩٥) هكذا في المراجع ، اما في المخطوطة : « ذی أخوة قطعت افراد
بيهم » .

أحدٍ ، يبطل معنى الكثرة هنا ، لأن الذين تركوه بلا أحد إنما كانوا بني حرماء، ولم يكن له أحد قتيل غير معاوية . وقال بعض شعراء غسان يصف وقعة كانت بينهم وبين من هاجر في موضع يعرف بالقلاء :
وقد على القلاء لم يك مثله على الأرض قوم في بعيد ولا دان
وأنشد سيبويه وغيره من النحويين :

ويوم شهدناه سليم وعاصم قليل سوى الطعن النهال نوافله^(٩٦)
وقال ابن مخلة الحمار^(٩٧) في يوم مر ج راهط :
ويوم ترى الرایات فيه كأنها حوائمه طير مستدير وواقع^(٩٨)
فهو لاء إنما وصفوا أياماً مخصوصة بأعيانها يرى ذلك أيضاً إذا نظر في أخبار هذه الأشعار التي قيلت فيها ، وذلك ما أنشده النحويون من قوله^(٩٩) :

ونار قد حضأت بعيد وهن^(١٠٠) بدار ما أريد بها مقاماً
وهذا شعر مشهور ، ولا معنى فيه للكثر لانه إنما وصف قصة
جرت له مع الجن مرة واحدة . ونحن نذكر أبياتاً كثيرة من أشعار المحدثين
في جميعها ان « رب » للتقليل كثر استعمالها فلم ينكر أحد من العلماء عليهم
فصارت لذلك كأنها حجة فمن ذلك قول أبي تمام الطائي :

عسى وطن يدنو بهم ولعلما وان تعقب الأيام فيهم فربما^(١٠١)

(٩٦) انظر كتاب سيبويه ٩٠١/١ ونسبة الى البيت (رجل من بني عاصم) .

(٩٧) هو عمرو بن المخلة من كلب . انظر الاغانى [مطبعة التقدم] ١١٢/١٧

١٢٣ - ١١٥/١٠ .

(٩٨) من مقطوعة اولها :

مضى اربع بعد اللقاء واربع وبالمرج باق من دم القوم ناقع

(٩٩) البيت لتأييضاً انظر « اللسان » مادة « حضأ » .

(١٠٠) هكذا في المخطوطات اما في اللسان : هـ .

(١٠١) مطلع قصيدة يمدح بها بن يوسف الشغري .

يريد : ربما اعتبت في بعض الاحيان ، وقال أبو الطيب المتنبي :
ربما تحسن الصنع لياليه ولكن تقدر الاحسانا (١٠٢)
وقال :

ولربما أطمر القناعة بفارس (١٠٣)
وثني فقوّها باخر منهم
وقال :

ويوم كليل العاشقين كمنه
اراقب فيه الشمس أيان تغرب (١٠٤)
وقال يهجو كافورا :

وأسود أما القلب منه فضيق
تحيفا وأما بطنه فرحب (١٠٥)
وقال يمدحه :

وأبلغ يغضي باختصاصي مشيره عصيت بقصديه مشيري ولوّمى (١٠٦)
وانما عنى بالأبلغ كافورا وبمشيره ابن حزراية وزيره وكذلك قوله
لسيف الدولة :

علينا لك الاسعاد ان كان نافعا
ورب كثيـر الدمع غير كثـيـب (١٠٧)

(١٠٢) من قصيدة مطلعها :
صاحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عانا

(١٠٣) من قصيدة مطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضا نظرت وخلت اني اسلم'

(١٠٤) من قصيدة مطلعها :

اغالب فيك الشوق والشوق أغلب واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

(١٠٥) لا توجد هذه القصيدة في الديوان (شرح العكري) .

(١٠٦) هكذا البيت في الديوان ، اما في المخطوطة : وابلغ يغضي باختصاصي
مشيره . وهو من قصيدة مطلعها :

فارق ومن فارقت غير مذمـمـ وـأـمـ ومن يممـتـ خـيـرـ مـيـمـمـ

(١٠٧) هذا البيت في الديوان ، اما في المخطوطة :

ورب لبيـبـ ليس تنـدىـ جـفـونـهـ وـرـبـ كـثـيـرـ الدـمـعـ غـيرـ لـبـيـبـ

ومطلع القصيدة :

وقد أوضح ما أراده من التقليل هنا في موضع آخر فأخرجه بغير
لفظ رب وهو :

وفي الأحباب مختص بوجد
وآخر يدعى معه اشتراكاً^(١٠٨)
الحر طلق ضاحك ولربما
تلقاء وهو العباس المتجمهم
وقال آخر :

احذر عدوك نمرة
واحدر صديقك ألف مرّه
فلربما انقلب الصديق
فكان أعلم بالضرّه
وقال عدي بن زيد^(١٠٩) وقد أغفلنا ذكره في الشعراء المتقدمين :
يا لبني أوقدي النار
ان من تهويَن قد جارا^(١١٠)
رب نار بت أرمقها
تقضم الهنديَّ والعارا
عندها ظبي يؤرّتها
عائد في الجيد تقصّاراً
فيين في الشعر أنه أراد ناراً تبين وحدها وقد أوضح ذلك المعرّي
يقوله :

ليست نَّارَ عَدِيًّا نَّارَ عَادِيَّةٍ باتت تُشَبَّهُ على أيدي مصالحتها^(١١١)

(١٠٨) من قصيدة يمدح بها ابا شجاع عضد الدولة ويودعه مطلعها :
فدى لك من يقصر عن مداكا فلا ملك اذن الا فداكا

(١٠٩) هو عدي بن حماد بن زيد العبادي المتوفى سنة ٣٥٠هـ
شاعر جاهلي من اهل الحيرة ٠ انظر : خزانة الادب للبغدادي ١٨٤/١
الاغاني (دار الكتب) ٩٧/٢ ، السعوطي ، شرح الشواهد ص ٦٦١
الشعر والشعراء ص ٦٣ ، المزرباني ص ٢٤٩ ٠

(١١٠) رويت الابيات في الاغاني ١٤٧/٢

(١١١) من قصيدة يخاطب بها ابا القاسم علي بن ابي الفهم القاضي التنوخي،
مطلعها :

هات الحديث عن الزوراء او هيتا وموقد النار لا تكرى بتكريتا

وما لبني وان عزّت بربتها ^(١١٢) لكن غَذْتها رجال الهند تربيتا

ومما تأني فيه رب للتقليل واتخصيص اتيانا مطراها ويرى ذلك من
تأمل الاشعار التي في الالغاز والاشعار التي يصف فيها الشعراء أشياء
مخصوصة بأعيانها ، فنهم كثيرا ما يستعملون « رب » في أوالمها مصرحا بها
أو الواو التي تنوب مناب « رب » كقول ذي الرمة :

ولا الجن قد لاعبها ومعي ذهني
فصاحت ولا الله ما وجدت ترنى ^(١١٣)
لأعزله عنها وفي النفس أن أئني
وإنما وصف بكرة يستقي عليها ماء . وكذلك قول الآخر :

رب نهر رأيت في جوف خرج
ونهار رأيت متصرف الليل
وثلاثين ألف شيخ قعوا
يعني بالخرج الوادي الذي لا منفذ له ، وبالنهار فرخ الحباري ،
وبالليل فرخ الكروان ، وبالشيخ الرذاذ الصغير من المطر .
وقال الأغلب العجلى ^(١١٤) ووصف ثعلبا ارسل عليه كلبا فقره :

(١١٢) هكذا البيت في الديوان [طبعة صادر] ، اما في المخطوطة :
وما تبين وان عزّت بربتها لكن عزتها رجال الهند تربيتا

(١١٣) هكذا البيت في الديوان ، اما في المخطوطة :

فادخلت فيها قيد شبر موثر فصاحت ولا والله ما وجدت ترنى

(١١٤) هو الأغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة من بني عجل ، شاعر راجز
معمر ادرك الجاهلية والاسلام استشهاده في واقعة نهاوند . انظر خزانة
الادب للبغدادي ٣٣٣/١ ، المؤتلف والمختلف ص ٢٢ سبط اللالي .

لaci مع الصبع غراب البين
فاستقلبته بحضور الحين
فمرّ يهوي ثابت الساقين
والكلب منه راكب المتنين
حتى رأيت شلوه نصفين

وتملب بات قرير العين
وقد عدا مجتمع الشخصين
طلعه كلب أغضف الاذنين
إلى وجار بين صخرتين
فلم يرغمه غير روغتين

قال يصف صقرًا :

يا رب صقر يفرس الصقورا
ويكسر العقban والنسورا
فرّ الاوز منه مستجيرا

وقال ابن الرومي :

درازقي مخطف الخصور كأنه مخازن البلور^(١١٥)
وقال أبو الطيب وقد أمره أبو العشائر أن يصف بطيخة من عليها
عقد :

وسوداء منظوم عليها لآلء لها صورة البطيخ وهي من الند
وكذلك قوله في نزهة أمره أبو علي الأوراجي أن يصفها^(١١٦) :
ومنزل ليس لنا بمنزل ولا لغير الغاديات العُطل
وكذلك قوله في صفة جبل شاهده مع ابن طفج^(١١٧) :

وشامخ من الجبال أمرد جرد كيافوخ البعير الأصيد^(١١٨)

(١١٥) من ارجوزة يصف فيها العنبر الرازقي . انظر الديوان .

(١١٦) في الديوان قالها ارجلا يصف كلبا ارسله ابو علي الاوراجي على ظبيه .

(١١٧) في الديوان : واجتاز ابو محمد ببعض الجبال فأثارت الغلام خشفا فالتفتته الكلاب فقال ابو الطيب مرتجلا .

(١١٨) هكذا في المخطوط ، ، أما رواية الديوان :

وشامخ من الجبال أقود فرد كيافوخ البعير الأصيد

وانما أراد منزلًا معيناً وجبراً معيناً ، ويدل عَلَى ذلك قوله :
[في مثل متن المسد المعد] زرناه للأمر الذي لم نَعْهَدْ
وكذلك قوله في اللعبة التي امتحنه فيها ابن طفج (١١٩) :

وذات غدائِر لا عِيب فيها سُوى ان ليس تصلح للعنق
قال الاستاذ - أعزه الله - فهذه الموضع كلها « رب » فيها للتقليل ،
وهي كثيرة جداً وانما تخيرت منها أوضاحتها . وهذه حقيقة رب وموضوعها
والله أعلم .

- باب ذكر المواقع التي وقعت فيها « رب » بمعنى التكثير على طريق المجاز

انما تأتي « رب » بمعنى التكثير في معظم أحوالها في الموضع التي
يذهب فيها الى الافتخار والمباهة كقول القائل : « رب عالم لقيت ، ورب
يوم سرور شهدت » لأن الافتخار لا يكون الا بما كثُر من الامور في الغالب
من أحواله ، وقد يكون لقاء الرجل الواحد أذهب في الفخر من لقاء
الجماعة ، ولكن الاول هو الاكثر فمن ذلك قول امرئ القيس :
ألا رب يوم صالح لك منها ولا سيما يوم بدارة جلجل (١٢٠)

وقوله :

فإن أمس مكروباً فيا رب بِهِمْنَةٍ كشفت اذا ما اسودَ وجه جبان
وان أمس مكروباً فيا رب قنيةٍ منعمه أعملتها بكران (١٢١)

(١١٩) جاء في الديوان : وقال في وصف لعبة عند بدر بن عمار .

(١٢٠) هكذا في المخطوطة ، أما رواية الديوان وشرح المعلقات للنبريزى :
الا رب يوم نك منهن صالح

(١٢١) هكذا في الديوان ، اما في المخطوطة :
وان أمس مكروباً فيارب منيةٍ
ومطلع القصيدة :

لن طلل ابصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمانى

وقوله :

وخرقٍ بعيد قد قطعت نياته على ذات لوثٍ سهوة المشي مذعان
ومجرٍ كغلانٍ النيعم بالبغ ديار العدو ذي زهاء وأركانٍ^(١٢٢)
فهذه مواضع لا يليق بها الا التكثير . وكذلك قول أبي كبير
الهذلي^(١٢٣) :

أزهير أن يشب القذال فانه ربٌ هيصل لجب لفقت به يصل^(١٢٤)
وكذلك قول أبي عطاء السندي يرثي عمر بن هبيرة الفزارى^(١٢٥) :
فإن تمس مهجور القلاء فربما أقام به بعد الوفود وفوه
وهذا النوع من الشعر كثير جداً . والفرق بين هذا الباب والباب
الأول ، أن الأول حقيقة « رب » ، وهذا الباب مجاز يعرض لها كما
يعرض لل مدح أن يخرج مخرج الدم ، وللتذكرة أن يخرج مخرج التائث ،
وللتائث أن يخرج مخرج التذكرة كما ذكرنا في الباب الأول . ومن الفرق

(١٢٢) هكذا في الديوان ، اما رواية المخطوطة :

وخرقٍ بعيد قد قطعت نياته على ذات لوثٍ سهوة المشي مذعان
وتجرٍ كغلاب الا نيعم بالبغ ديار العدو ذي زهاء وأركانٍ
ومطلع القصيدة :

قفأ نبك من ذكري حبيب وعرفان وسم عفت آياته منذ ازمان^(١٢٣)
التبريزي ٤١/١ ، خزانة الادب ٤٧٣/٣ ، الشعر والشعراء ٢٥٧ ،
سمط اللآلية ٣٨٧ .

(١٢٤) هكذا في « اللسان » ، اما في المخطوطة : [رب هيصل لجب لفقت]
[به يصل] .

(١٢٥) هو افلح بن يسار السندي ابو عطاء ، شاعر فحل ، من مخضري
الدولتين . انظر فوات الوفيات ١/٧٣ ، التبريزى ١/٣٠ ، من
الدولتين . انظر فوات الوفيات ١/٧٣ ، التبريزى ١/٣٠ ، الخزانة
٤/١٧٠ . ذكر ابن قتيبة : قيل اسمه مرزوق .

بينهما ان «كم» يصلح استعمالها في هذا الباب مدنـ . بـ » ولا يصح ذلك في الباب الاول . ولذلك نجد المعنى الواحد في هذا الباب يأتي بلفظ التقليل مرة ، وبلفظ التكثير مرة كقول رجل من فقعنـ ، أشد أبو تمام في الحماسة :

وذوى طبـاب مظهـرين عـداوة^(١٢٦)
ناسـيـتهم بـغضـاءـهم وـترـكتـهم
كـيـما أـعـدـهـم لـابـعـدـهـم
وقـالـ رـبيـعةـ بنـ مـفرـغـ^(١٢٧)ـ فيـ نحوـ منـ هـذـاـ الشـعـرـ أـنـشـدـهـ أـبـوـ تـامـ :
وـكـمـ منـ حـامـلـ لـيـ ضـبـ ضـغـنـ
ولـكـنـيـ وـصـلـتـ الـجـبـلـ مـنـهـ
فـغـرـضـ الشـاعـرـ فـيـ هـذـاـ الشـعـرـ وـاحـدـ . وـقـدـ أـخـرـجـ أـحـدـهـمـ بـلـفـظـ
الـتـقـلـيلـ ، وـأـخـرـجـ الـآـخـرـ بـلـفـظـ التـكـثـيرـ فـدـلـ ذـكـ علىـ اـنـ «ـكـمـ»ـ وـ«ـربـ»ـ
يـتـعـاقـبـانـ عـلـىـ الشـيـءـ الـوـاحـدـ فـيـ هـذـاـ الـبـابـ . وـرـبـماـ جـمـعـهـمـاـ الشـاعـرـ فـيـ شـعـرـ
واـحـدـ كـقـولـ عـمـارـةـ بـنـ عـقـيلـ^(١٢٨)ـ :

فـانـ تـكـنـ الاـيـامـ شـيـبـنـ مـفـرـقـيـ
فـيـ رـبـ يـوـمـ قـدـ شـرـبـتـ بـمـشـرـبـ
وـكـمـ نـيـلـةـ قـدـ بـتـهـاـ غـيـرـ آـشـ
أـلـاـ تـرـاهـ قـدـ أـورـدـ تـكـثـيرـ أـيـامـهـ وـلـيـالـيـهـ فـأـخـرـجـ بـعـضـ ذـكـ بـلـفـظـ «ـربـ»ـ
وـبـعـضـهـ بـلـفـظـ «ـكـمـ»ـ وـرـأـيـ الـأـمـنـ سـوـاءـ . فـانـ قـالـ قـاتـلـ : اـذـاـ كـانـ «ـربـ»ـ

(١٢٦) لم ترد الابيات في حماسة ابى تمام الى اي من الفقهسيين .

(١٢٧) الصحيح هو : يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرغ . انظر المخازنة ٢١٢/٢ ، ارشاد الاربيب ٢٩٧/٧ ، والشعر والشعراء ٢١٩ .

(١٢٨) هو عمارة بن عقيل بن جرير انتوفى سنة ٢٣٩هـ . انظر تاريخ بغداد ٢٨٢/١٢ .

في أصل وضعها وحقائقها للتقليل تقريباً «كم» مما الوجه في استعمالهم ايها في مواضع التكثير التي لا تليق الا بكم ؟

فالجواب : أن ذلك لاغراض يقصدونها : فمنها أن المفتخر يزعم ان الشيء الذي يكثر وجوده منه يقل وجوده من غيره ٠ وذلك أبلغ في الامتداح والفاخر من أن يكثر من غيره كثراً عنه فاستعيرت لفظة التقليل في موضع التكثير اشعاراً بهذا المعنى كما استعيرت ألفاظ الدم في موضع المدح : أخزاء الله ما أفصحه ، ولعنه الله ما أفصحه ، اشعاراً بأن المدوح قد حصل في مرتبة من يشتم حسداً له على فضله ، لأن الفاضل هو الذي يحسد ويوقع في عرضه والناقص لا يلتفت إليه وقد خرج الشاعر بهذا في قوله :

ولا خلوت الدهر من حاسد وإنما الفاضل من يحسد
ولذلك قال بعض العرب : السيد من اذا أقبل همنا ، واذا أذبر
عبنا ٠ وكذلك استعارة ألفاظ المدح في موضع الدم تكون ذلك أشد على
المذموم بلفظ الدم بعينه ، لأن في ذلك مع الدم نوعاً من الهزء كقولهم
للأحمق : يا عاقل ، وللجهل : يا عالم ٠ وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ،
فكذلك اذا استعيرت لفظة التقليل مكان التكثير كان أبلغ من لفظ التكثير
المحض ، ولو وقع هننا ٠ وكذلك يستعيرون «كم» في موضع التقليل على
وجه الهزء فيقولون : كم بطل قتل زيد ، وكم ضيف قرى ، وهو لم
يقتل بطلاً قط ولم يقر ضيفاً فيكون أبلغ من قولهم : هو جبان وهو جواد ٠
ويدل على ان هذا غرضهم في ذكر «رب» في هذا الموضع أنهم قد خرجنوا
به في مواضع كثيرة من اشعارهم كقول سالم بن وابصة :

وموقف مثل حد السيف قمت به أحسي الذمار وترمي بي به الحدق

فما زلقت ولا أبليت فاحشة اذا الرجال على أمثالها زلقو^(١٢٩)
ألا تراه يفتخر بأن هذا الموقف يكثر منه مع قلة وجوده من غيره
ومثله قول الآخر :

يا رب ليلة هول قد سريت بها
اذا تضجع عنها العاجز الوكل وكذلك قول العجاج^(١٣٠) :

ومهمة هالك من تعرجا هائلة اهواله من ادرجا
اذا رداء ليلة تجدجا علوت أحشاء اذا ما أحنججا^(١٣١)

ونظير هذا في ان له نسبتين مختلفتين : نسبة كثرة الى المفترخ ،
ونسبة قلة الى من يعجز عنه فيأتي تارة على نسبة القلة بلفظ «رب» أنهم
اذا سموا رجلا بالحارث والعباس والحسن ونحو ذلك من الصفات فربما
أقروا فيها الالف واللام مراعاة لمذهب الصفة التي انتقلت عنها ، وربما
حذفوا الالف واللام مراعاة لمذهب العلم الذي صارت اليه ، فتكون نسبتان
مختلفتان تأتي احداهما تارة ، والآخرى تارة ٠

ونظير اجتماع القلة والكثرة في هذا الباب لغرض من الاغراض
اجتماع اليقين والشك في قولهم : قد علمت أزيد عندك أم عمرو ٠ وهذا
كلام ظريف على ظهره ، لأن الذي يدعى العلم لا يستفهم ، والذي

(١٢٩) هكذا في التبريزى ٢٣٦/٢ ، اما في المخطوطة :

فما زلقت ولا أبليت فاحشة ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

(١٣٠) هو عبدالله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي ، راجز مشهور
انظر شرح شواهد المغنی ، الشعر والشعراء ص ٢٣٠ ٠

(١٣١) هكذا في المخطوطة ، اما في الديوان ٠

عصرا وحضرنا عيشة المعدلجا ومهمة هالك من تعرجا
هائلة اهواله من ادلجا اهلا رداء ليلة تجدجا
ومطلع الارجوزة :

ما هاج احزانا وشجعوا قد شجا من طلل كالاتحمي انهجا

يستفهم لا يدعني العلم ، وانما تأويله قد علمت حقيقة ما يستفهم غيره عنه .
فهذا وجہ من وجوہ التقلیل فی هذه الاشیاء . وقد یدخلها معنی التقلیل علی
وجہ آخر وهو أن القائل قد يقول : « رب عالم قد لقيت » وهو قد لقى
كثيرا من العلماء ولكنھ یقلل من لقیه تواضعا ، ويكون أبلغ من التکثیر ،
لان الانسان اذا حقر نفسه تواضعا ثم افتخر فوجد اعظم مما يقول جمل
قدره . واذا عظم نفسه وأنزلها فوق منزلتها ثم امتحن فوجد دون ذلك
هان علی من كان يعظمه . فهذا وجہ من التقلیل الذي یستعمل فی هذه
المسائل التي معانیها معانی الكثرة . وقد یدخلها التقلیل علی معنی ثالث
وهو قول الرجل لصاحبه « لا تعادني فربما ندمت » وهذا موضع ینبغي أن
تکثر فيه الندامة ، وليس بموضع تقلیل وانما تأويله أن الندامة علی هذا
لو كانت قليلة لوجب أن یتختلف ما یؤدي اليها فكيف وهي كثيرة ، فصار
لفظ هذا أبلغ من التصریح بلفظ التکثیر . وعلى هذا تأول النحویون قول
الله تعالى : « ربما یودّ الذين کفروا لو كانوا مسلمین » (١٣٢) على نحو هذا
يتأول قول امریء القيس :

ألا رب يوم صالح لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجل
وقول أبي كبير الهمذلي :

أزهير ان یشب القذال فانه رب هیصل لجبا لفقت بهیصل
ان استعارة لفظ التقلیل هنا اشارۃ الى ان قليل هذا فيه فخر لفاعله
فكيف کثیره . وأما قول أبي عطاء السندي في رثاء عمر بن هبیرة الفزاری :

فان تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود
فقد یتأول على نحو هذا المعنی . ويحتمل أن يريد أن مدة حياته
التي کثرت عليه فيها الوفود كانت قليلة . فعلی نحو هذه التأویلات تأول

النحويون الذين أصلوا أن « رب » للتقليل هذه الاشياء التي ظاهرها التكثير ٠ ومن قال في هذا الموضع انها للتكتير تلقى الكلام على ظاهره ، ولم يدقق الكلام فيها هذا التدقيق ولم يقسمها الى الحقيقة والمجاز كما فعلنا نحن والحمد لله كثيرا لما هو أهله ٠

المسألة الثالثة والخمسون :

الجواب - رضي الله عنك وأرضاك - هل نسمى المعز اذا انفردت ولم يخالطها شيء من الضأن غنما حقيقة أو استعارة أو مجازا ٠ وما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من نبي الا وقد رعى الغنم » ٠ هل أراد بذلك الضأن والمعز ، وكذلك ما ورد في القرآن من قوله تعالى : « وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرش اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين » (١٣٣) ٠

وقوله تعالى : « أهش بها على غنمك » (١٣٤) ٠ هل أراد الضأن والمعز والله يعظم لك في شرح الجواب أجرا ويجزل لك به ذخر الجنة ٠

الجواب : من اللغويين من لا يسمى المعز غنما حتى يختلط به ضأن ، كما لا يسمى غير الابل نعما حتى يختلط به ابل ٠ ولأجل هذا قال ابن قتيبة في « أدب الكاتب » : يقال للضأن الكثيرة « ثلة » ، وللمعزى الكثيرة « حيلة » ، و اذا اجتمعت الضأن والمعز وكثرتا قيل لهما : ثلاثة ٠ وقال الخليل في كتاب « العين » المعز ذوات الشعر من الغنم فجعل المعز كما ترى نوعا من الغنم ٠ وذكر من تكلم في الامثال أن العرب تقول في أمثالها : « لا افعل في ذلك معزى الفزر حتى تجتمع معزى الفزر » وقال يعقوب وغيره : ان الفزر هو زيد بن سعد مناة بن تميم ، بل هو سعد بن زيد مناة بن تميم ولقب الفزر لانه كانت له معزى فقال له هبيرة : يابني

(١٣٣) سورة الانبياء ، الآية ٧٨

(١٣٤) سورة طه ، الآية ١٨

اسرح بمعزاك فأرعها ، فقال : والله لا أرعنها من حِسْل ، فقال لابنه
صعصعة : اسرح بعنمك ، فقال : والله لا اسرحها العرة للفتى هبيرة ،
فغضب سعد وسكت على ما في نفسه حتى اذا أصبح غدا بالمعز الى سوق
عكاظ والناس مجتمعون فقال : الا ان هذه معزى فلا يحل لرجل أن يدع
أن يأخذ منها شاة ، ولا يحل لرجل أن يجمع منها شاتين فافهمها الناس .
وذكر أبو عبيدة عن ابن الكلبي أنه قال : من أخذ منها واحدة فهي له ،
ولا يؤخذ منها فزر وهو اثنان ، فضرب بها المثل فقال رجل منبني سعد :

قد انقلب المعزي فبرت يمينه وما ضر سعدا ما له المتهب

وأشد يعقوب لشبيبة بن البرماء :

ومرة ليسوا نافيك ولن تدع لهم مجمعا حتى ترى غنم الفزر^(١٣٥)
فسماها أحد الشاعرين معزا ، وسمها الثاني غنما . وذكر يعقوب
في مساق كلامه : أنه قل لابنه هبيرة : اسرح بمعزاك ، وانه قال لابنه
صعصعة : اسرح بعنمك غنما ، ومرة معزا . وقل في مساق الحكاية :
ولا يحل لرجل أن يأخذ منها شاة ، ولا يصح أن يجمع منها شاتين .
فسماها شاة كما ترى . وإن المشهور من أمر الشاة . إنها الغنم . وقد قال
الخليل في كتاب « العين » الوعيل من شاء الجبل ، فأوقع اسم الشاء على
الأوعل . وقد سموا الطيبة شاة وعنزا . قال عترة :

يا شاة ما قنص لمن حلّت له حرمت علي وليتها لم تحرم^(١٣٦)

وقال امرؤ القيس :

(١٣٥) هكذا في الخطوط ، أما في الاستقاق لابن دريد
ومرة ليسوا ناصريك ولا ترى لهم وافدا حتى ترى غنم الفزر

(١٣٦) هكذا في التبريزي في شرح المعلقات ، أما رواية الخطوط :
فالشاة فاقنص لمن حلّت له ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

كأنها عنز بطن وادٍ تعدو وقد افرد الغزال^(١٣٧)
 وقد كثر اتساعهم في هذا حتى سموا حمير الوحش والبقر الوحشية
 شاء ◦ قال زهير :
 يا شاة ما نقص لمن حلَّتْ لَهُ حَرْمَتْ عَلَيْهِ وليتها لم تحرِّمْ
 فالشياه ه هنا اناث الحمير الوحشية يدل على ذلك قوله :
 ثلاث كأقواس السراء ومساحل قد اخضر لمن لس الغمير جيحافله^(١٣٨)
 لأن المساحل الذكر من حمر الوحش ، ويدل عليه أيضا ذكره
 الجحاش وانما هي أولاد الحمير ◦

(١٣٧) من قصيدة مطلعها :
عيناك دمعهما سجال كأنه شائنيهما ألوشال

(١٣٨) هكذا في الخطوط ، اما رواية اديوان
فقال شياه راتعات بقفزة بمستاسد القرْيان حو مسائله

في اللهجات المغاربية والأندلسية

اذا كان اتقادى من المشارقة^(١) قد فطنوا الى اللحن وشيوخه بين العامة وأفردوا له رسائل تسجله وتؤرخه ، فإن أصحابهم في الطرف الغربي من العالم الاسلامي القديم قد عنوا عنائهم فلاحظوا وسجلوا وأرخوا وخلفوا كتاباً ورسائل^(٢) .

وكان قد نشر المستشرق Colin J. رسالة لغوية في لحن عامة أهل الاندلس وهي نسخة موجزة لكتاب « ايراد الالئ من انشاد الضوال » لابن خاتمة الانصارى في مجلة Hesperis ١٢ سنة ١٩٣١ وقدم لهذه الرسالة بمقيدة اشتغلت على جملة فوائد في موضوع لحن عامة الاندلس والديار المغاربية . ثم نشر الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب كتاب « الجمانة في ازالة الرطانة »^(٣) وهو في لغة التخاطب في الاندلس وتونس وهو بعض علماء القرن التاسع الهجري وزوده بجملة فوائد من تعليقاته واجتهاداته . وقد أفادت من ملاحظات المستشرق الفرنسي Colin الذي نوهنا

(١) انظر قائمة المصادر في هذا الموضوع لـ H. Thorbecke في مقدمة « درة الغواص » للحريري ليبزك ١٨٧١ ص ٧ - ١٢ .
وانظر « خطأ العامة » لكونله زيهير في Zur Literaturgeschichte des Z. D. M. G. T. 35 1881 pp.147-152 .
وفي فهرس المخطوطات الملكية برلين اثبت W. Ahlwardt قائمة بالمؤلفات المهمة في هذا الباب .

(٢) سندليل هذا البحث بقائمة نذكر فيها كتب لحن العامة .
(٣) الجمانة في ازالة الرطانة من منشورات المعهد العلمي للآثار الشرقية في القاهرة سنة ١٩٥٣ .

يذكره في أعلاه ومن ملاحظات العلامة التونسي الجليل ثم أضفت إلى ذلك كل ما توصلت إليه من تحقيقاتي في هذا الباب . والذى نعرفه من كتب لحن العامة في المغرب والأندلس قليل على كثرة التصانيف التي ذكرها أصحاب الطبقات في هذا الباب ولكن أغلبها لم يصل إلينا .

ومن هذه الكتب ما وصل إلينا . وهو نحن ذاكرون من ذلك ما هو معروف :

١ - لحن العامة لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي^(٤) المتوفى سنة ٣٧٩ هـ .

٢ - الرد على الزبيدي في لحن العوام لمحمد بن أحمد بن هشام اللخمي السبتي^(٥) .

٣ - المدخل في تقويم اللسان لعلي بن محمد الغافقي المعروف بابن الشاري وقد ساعده في هذا العمل محمد بن حسن بن عطية . وهذا قد عمدًا إلى الملاحظات التي رد بها ابن هشام اللخمي على الزبيدي ورتبها

(٤) أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي واللغوي وهو من أشبيلية وسكن قرطبة ، وكان من شيوخه أبو علي القالي . وهو من أوائل من بحثوا في لغات الأندلس . وقد طبع كتابه « لحن العوام » بتحقيق الدكتور رمضان التواب [القاهرة ١٩٦٤] . وقد شرشه موسى بن علي الجزيري (انظر التكملة لابن الأبار ٩٢٠) نشرة كوديرا . وانظر مقدمة المحقق . ولهذا الكتاب نسخة موجزة من صنعة المؤلف نفسه ، ذكره ابن خير في فهرستها ٣٤٧ باسم « مختصر لحن العامة » .

(٥) عرض ابن هشام في كتابه لارهام الزبيدي ولاوهام ابن مكي صاحب « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » ولهذا الكتاب نسخة مخطوطه في خزانة الاسكندرية برقم ٦٤ . انظر ترجمته « التكملة » لابن الأبار ٣٧٠ / ١ ، وقد نقل السيوطي في « البغية » ص ١٦ ما ذكره ابن الأبار من ترجمة اللخمي هذا وأضاف ذاكرا (المدخل في تقويم اللسان وتعليم البيان) وقد ذكر هذا التجيبي في رحلته .

وأعطيها اسم « المدخل في تقديم اللسان »^(٦) وكلاهما من علماء القرن
السابع الهجري .

٤ - انشاد الضوآل وارشاد السوآل لمحمد بن هاني التخمي السبتي
المتوفى في جبل طارق سنة ٧٣٣هـ وهو غير محمد بن هاني الشاعر ، وقد
عمد هذا إلى الكتاب السابق وهو « المدخل » وأعاد تصنيفه وتربيته
وزاد عليه .

٥ - ايراد اللآل من انشاد الضوآل لابي جعفر أحمد بن علي بن
خاتمة الانصاري المتوفى سنة ٧٧٠هـ ويعد هذا الكتاب استدراكاً على الكتاب
السابق ، ثم عمد بعد ذلك أحد العلماء فاختصر هذا الكتاب في رسالة
صغريرة ، وقد طبعت في مجلة Hesperis J. Colin المستشرق الفرنسي .

٦ - الفوائد العامة في لحن العامة لأبي القاسم محمد بن أحمد بن
جُزَّيَ الكلبي المتوفى سنة ٧٤١هـ وقد أخذ عنه لسان الدين بن الخطيب
(انظر نفح الطيب ط بولاق ٢٧٢/٣) .

٧ - تثقيف اللسان وتلقيع الجنان لأبي حفص عمر بن خلف بن
مكي^(٧) الحميري المازري الصقلّي المتوفى سنة ٥٠٠هـ وقد حقق

(٦) وهذا الكتاب من مخطوطات الاسكوريال رقم ٩٩ وهو صورة أخرى
لمخطوط رقم ٤٦ كما اشار إلى ذلك « درنبورغ » مصنف فهرست
مخطوطات الاسكوريال . ومن الغريب ان ابن الأبار لم يذكر شيئاً عن
هاتين النسختين مع انه كتب كتابه بعد بن هشام باقل من قرن
واحد .

(٧) وهو من بلزم حاضرة صقلية وقد انتقل منها إلى افريقيا بعد استيلاء
النورمان عليها وتولى قضاء مدينة تونس وبها توفي سنة ٥٠١هـ ،
وكتابه في لغة صقلية ولحن العامة بها يوم كانت عامرة بال المسلمين
وهذا الكتاب من اهم الكتب في هذا الموضوع من الناحية التاريخية
وذلك لأنّه عرض للغلط الذي يدور على السنة الناس في عصره ،
فلم يكن ناقلاً ما ذكره القدامى ومن الف في هذا الموضوع على نحو
ما فعل ابن الجوزي من المشارقة في « تقويم اللسان » مثلًا .

الدكتور عبدالعزيز مطر هذا الكتاب (القاهرة ١٩٦٦) . وكن المستشرق الإيطالي المعاصر (أومبرتو ريسانو) قد نشر مقدمة هذا الكتاب في مجلة مركز الدراسات الشرقية للأباء الفرنسيسكان بالقاهرة في العدد الخامس (١٩٥٦) وقد عرض الناشر لموضوع لحن العامة وما صنف فيه من تصانيف في مختلف أوصار العالم الإسلامي القديم كما ترجم لابن مكي ثم نشر مقدمة الكتاب .

٨ - كتاب الرد على تثقيف اللسان لأبراهيم بن إسحاق الأجدابي صاحب كتاب «كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ» وذكر التجاني التونسي في رحلته ص ١٨٠ هذا الكتاب .

٩ - لحن العام فيما يتعلق بعلم الكلام لأبي علي بن محمد بن خليل السكوني الشيبيلي المهاجر إلى تونس والمتوفى بها سنة ٧١٧هـ وقد عرض فيه لاغلاط العامة في أيمانهم وبدعهم وعاداتهم وهو من مخطوطات المكتبة العبدية الزيتانية بتونس رقم ٢٢٢٩ .

١٠ - الجمانة في إزالة الرطانة مؤلف مجهول وقد حقه العلامة حسن حسني عبدالوهاب كما سبق أن نوهنا به .

١١ - مقدمة تقويم المنطق الحضري ، بكتف اللسان المصري لسيدي محمد التيفر من شيوخ جامع الزيتونة (تونس ١٣١٢هـ ١٨٩٤م) وقد عرض فيه للغة التخاطب في تونس وما يحدث فيها من مجانبة للفصح كما حاول ارجاعها للعربية الفصيحة .

١٢ - الواسطة في أخبار مالطة لأحمد فارس الشدياق أورد فيه فصلاً عن لهجة جزيرة مالطة العربية .

وفي اللغات الأوروبية تصانيف كثيرة عن اللهجات العربية في الشمالي الأفريقي ومنها : « دراسات المستشرق الفرنسي وليم مارسييه عن لهجة

طنجة » و « لهجة تلمسان » و « لهجة أولاد ابراهيم ، واللهجة التونسية » في كتابيه :

1. Textes Arabes de Takrouna.
2. Textes Arabes d'Al-Hamma .

و هذه المصنفات جميعها تقوم على احصاء ما خالف فيه العامة الخاصة من وجوه القول كأن يفتح الخاصة عين الفعل وال العامة تضمه أو العكس أو ما جرى هذا المجرى ٠

من تاريخ العربية في تونس و ديار المغرب

ويجمل هنا أن نفيض مما ذكره المؤرخ الشهير عبدالرحمن بن خلدون في « تاريخه »^(٨) : « فاما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلتهم المستعربين فيقرضون الشعر لهذا العهد فيسائر الأعaries على ما كان عليه سلفهم المستعربون ، ويأتون منه بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء ، ويستطردون في الخروج من فن إلى فن في الكلام ، وربما هجموا على المقصود لأول كلامهم ، وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ، ثم بعد ذلك ينسبون ، فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد (بالأصميات) نسبة إلى الأصمعي راوية العرب في أشعارهم ، وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر (بالبدوي) ٠ الى أن قل : « وأساليب الشعر وفنونه موجودة في أشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب في أواخر الكلم ، فنان غالب كلامتهم موقوفة الآخر ، ويتميز الفاعل من المفعول ، والمبدأ من الخبر بقريائن الكلام لا بحركات الاعراب ٠

وقال أيضا : « ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث

(٨) المقدمة ، فحمل في اشعار العرب وأهل أمصار لهذا العهد ص ٥٧٧

كانوا من الأقطار شأنهم في النطق بالقاف ، فنهم (أي الأعراب) لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الامصار كما هو مذكور في كتب العربية ، بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف ، وهو موجود للجيل أجمع ، حيث كانوا من غرب أو من شرق حتى صار ذلك علامه عليهم بين الام والأجيال ومحظى بهم لا يشاركون فيه غيرهم ، حتى ان من يريد التعرف والاتساب الى الجيل والدخول فيه يحاكيهم في النطق بها ، وعندهم اما يتميز العربي الصريح من الدخيل فيعروبية والحضري بالنطق بهذه القاف ، ويظهر بذلك أنها لغة مصر بعينها ، فان هذا الجيل الباقي معظمهم ورؤسهم شرقاً وغرباً من ولد منصور بن عكرمة ٠٠٠ ابن سليم ابن منصور (بني هلال) ٠٠٠ وهم لهذا العهد أكثر الام في العمور وأغلبهم ، وهم من أعقاب مصر ، وسائل الجيل منهم في النطق بهذه القاف أسوة ، وهذه اللغة لم يتبعها هذا الجيل بل هي متواترة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك أنها لغة مصر الأولين ، ولعلها لغة النبي (ص) بعينها ، وقد ادعى ذلك فقهاء أهل البيت ، وزعموا أن من قرأ في أم القرآن : « اهدنا السراط المستقيم » بغير القاف التي لهذا الجيل فقد لحن وأفسد صلاته ولم أدر من أين جاء هذا فان لغة أهل الامصار أيضاً لم يستحدثوها وانما تناقلوها من لدن سلفهم ، وكان أكثرهم من مصر لما نزلوا الامصار من لدن الفتح ، وأهل هذا الجيل (أي الأعراب) لم يستحدثوها أيضاً الا أنهم أبعد من مخاطبة الاعاجم من أهل الامصار ، فهذا يرجع فيما يوجد من اللغة لديهم أنه من لغة سلفهم ، هذا مع اتفاق أهل الجيل كلهم شرقاً وغرباً في النطق بها ، وانها المخصوصية التي يميز بها العربي من الهجين الحضري ، فتفهم ذلك والله الهادي المبين ^(٩) ٠

(٩) مقدمة ابن خلدون (فصل في ان لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة)

ان نطق القاف على هذا النحو مما أتى به الاعراب وأدخلوه في لغة تونس وما جاورها من الاتاليم ٠ ومن المفيد أن نشير الى أن هذه اقاف قد تحول الى صوت حلفي هو الهمزة وهذا أمر واضح في بعض الحواضر الافريقية العربية وليس شيء من ذلك في القرى وابنواطي ٠ كما في مدن المغرب الاقصى وتلمسان في الجزائر ومثل هذا قد حصل في لغة غرناطة وجزيرة مالطة ، وهذا نظير ما نجده في طائفة من الحواضر المصرية ٠ ومن البديهي أن يعرض البدال للاصوات العربية الاخرى فليست « الجيم » بأسعد حظا من القاف وهي من غير شك في عصر ابن خلدون كانت اما كالقاف المعقودة أو كالجيم المعطشة أو انها مشوبة بما يسميه الشين ٠ ولا بد أن يكون التونسيون في عصرنا قد ورثوا في نطقهم عادب أسلافهم ، ومما هو واضح في هذا النطق ابدالهم الزاي بالجيم فيقولون مثلا في « عجوز » « عزوز » وفي « الجزار » « ززار » وفي « جاز » « زاز »^(١٠) ولا يعرض هذا البدال الا حين مجتمع الجيم والزاء في الكلمة الواحدة ٠

ملاحظات عن اللهجة التونسية

يبدأ الفعل المضارع بـأون للمتكلم المفرد فيقولون : نأكل بمعنى اكل ونضرب بمعنى أضرب ، فإذا أرادوا جماعة المتكلمين زادوا الواو في

(١٠) ومثل هذا يعرض في طائفة من العراقيين في عصرنا فهم يقولون « يزي » وهي « يجزي »

الآخر فيقولون : ناكلوا ونضرموا^(١١) .

والماضي الواقع في حيز الاستفهام فقد التزموا في آخره شيئاً مكسورة سواءً أكان الفعل ثالثياً أم رباعياً أم خماسياً . . . متعدياً كان أم قاصراً دون ذكر لادة الاستفهام نحو : أَكْرِمْتُشْ وَعَلِمْتُشْ . . .

كما زيدت الشين مع غير الماضي الواقع في حيز الاستفهام ، ففي المضارع المبدوء بالباء أو النون أو الياء تزداد الشين فيقولون : تضربوش ونكرموش ويقتلوش . أما المبدوء بالهمزة فلم يلتحقوا به الشين إلا نادراً . وزادوا باطراد قبل الشين المذكورة في الماضي والمضارع الواقعين في حيز الاستفهام أو النفي واوا ولعل ذلك من اشباع الضم .

وقد يشبع الضم في أنتم وهم فيصيران اتوم وهو ، وكذا الكسر في أتن فتصبح وهم يخاطبون المؤنثة الواحدة بخطاب المذكر الواحد فيقولون:

(١١) اود صاحب الجمانة هذه المسألة ص ٣١ ومعنى هذا ابن السائلة قدية في لغة التخاطب في التخاطب في الديار المغربية ، قال الاستاذ حسن حسني عبدالوهاب : « . . . ويظهر ان هذا اللحن قديم في لغة التخاطب عند المغاربة وربما يرجع الى القرن الرابع للهجرة ، وقد كان هذا الاستعمال شائعاً في لغة اهل الاندلس وصقلية وفي سائر جزائر البحر المتوسط العربي ، مثل مالطة وقوصرة وغيرهما وذلك قبل زحفة اعراببني هلال وبني سليم الى المغرب على ان هذه القبائل الهلالية نفسها كانت عند نزوحها الى المغرب - اواسط القرن الخامس للهجرة - تستعمل هذا الخطأ لا محالة كما أفادنا ابن خلدون فيما نقله من اشعار الهلاليين في تاريخه (راجع التعاليق الممتعة التي اوردها الاستاذ وليم مارسييه في كتابه : « النصوص العربية للكرونة » ، ص ٢٤)

قم واخرج والمراد قومي واخرجي^(١٢)

ومن ذلك زيا遁هم الياء في الثاني المضعف اذا اسند للضمير البارز المتحرك فيقولون في رد وحل وطن اذا أسندها الى ذلك ، ردت وردينا ، وحليت وحلينا ونحوه ، فيحيطون المعنى ، الا ترى أن « ردت » يصير بصورة رد الرابع الذي معناه « أسقط » المسند الى التاء ، ولا معنى لزيادة هذه الياء لأن هذه افعال ثلاثة والصواب أنه اذا أتي بالضمير البارز المتحرك سكنت آخر الفعل لاتصال الضمير على قياس غير المضاعف ، ثم تفك الادغام لسكون المدغم فيه وهو آخر الفعل فتحركة الحرف المدغم بحركته الاصلية فتقول على هذا : ردت في « رد » وحللت وظنت بفتح العين ، وتقول : مللت في مل بكسر اللام الاولى وهي العين لأن حركتها اصلية ، وشمتت في شم - بكسر اللام - على اللغة الفصحى ، وبفتحها على الاخرى وهذا ما تبينه من فك الثاني المضعف اذا اتصل به ضمير مرفوع متحرك وهو الفاشي المشهور من لغة العرب ، وبعض العرب يبعي الادغام ويحرك الآخر لالتقاء الساكنين فيقول على هذه اللغة : ردت وردت^(١٣) .

ومن ذلك قولهم « نواية » لواحدة النوى ، يزيدون ألفا بين الواو

(١٢) جاء في « الجمانة » ص ٣٣ [ومن ذلك حذفهم الياء امر المؤنثة المخاطبة فيقولون للمؤنث « قم » والصواب « قومي » بالياء . علق الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب على هذا بقوله : اقول : هنا لحن جاء في لغة التخاطب لأهل الحضر بالبلاد بالتونسية ، اما في كلام الاعراب منهم فان ياء الامر للمخاطبة مستعملة باستمرار فيقولون (قومي) و (اخرجي) و (اشربي)

(١٣) انظر الجمانة ص ٢٩ . اقول وهذا اللحن قيم في العربية ، جاء في « الاقتضاب » لابن السيد البطليوسى ص ١٣٧ . « ويقال انه جاء على لغة من يبدل احد الحرفين المتشابهين ياء نحو قولهم : قصيت اظافري اي قصصتها . والعرب تبدل الياء من احد التضعيفين فيقولون « تظننت » لانه لحن الظن (الكامل للمبرد ٧٦٠ / ٢) .

والباء ، والصواب حذفها فتقلب الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وتفتح النون فيقال (نواة) ، وكما لحنوا في المفرد لحنوا أيضا في جمعه بالالف والتاء فقائوا (نوایات) فزادوا ألفا بين الواو والتاء ، والصواب استقاطها فتقول (نویات) كما تقول حصيات في جمع حصاة لا حصيات^(٤) .

ومن ذلك زيادة تهم ياء في تصغير الثلاثي المذكر ، فيقولون في تصغير جَمَل (جُمِيل) وفي كلب (كليّب) فيزيدون ياء أخرى غير ياء التصغير ويدغمون ياء التصغير فيها وهو خطأ ، والصواب (جُمِيل) و (كُلِيب) باء التصغير وحدها من غير زيادة ياء أخرى ، لأن حق كل ما كان ثلاثة أن يصغر على فُعْيل نحو : فَلَيْس وفُرَيْس ^(٣) .

(١٤) انظر الجمانة ص ٢٨ . اقول ان الذي اثبتته صاحب الجمانة على أنه من لحن عامة الاندلس والديار الافريقيية يتفق هو ولحن العامة في ديار المشرق ويبدو أيضاً أن كثيراً من مادة كتب لحن العامة منقول عما كتبه قدامي اللغويين كما فعل صاحب الجمانة في اعتماده على ما كتبه ابن قتيبة الدينوري في «أدب الكاتب» ، ومثل صاحب الجمانة غير واحد من عرض موضوع لحن العامة من الاندلسيين والمغاربة .

(٣) قال العلامة حسن حسني عبدالوهاب في أسفل صفحة ٢٨ من الجمانة أن تصغير الأسماء من وزن « فعل » على « فعيل » ومن وزن فعلال وفعيل وفعلو لعلى صيغة (فعييل) لم يكن خاصا باللهجة التونسية بل هو موجود فيسائر اللهجات الحضرية لأهل المغرب قديماً وحديثاً ، فإن أهل الاندلس - إلى آخر عهدهم باسبانيا - وكذلك أهل صقلية إلى أواسط القرن السادس للهجرة كانوا يستعملون تلك الصيغ كما يستفاد من النصوص الكتابية والوثائق الواثقة الينا من ذلك العصر راجع « ديوان ابن قزمان » طبعة بطر سبورغ المصور بعنابة سنة ١٨٩٦ فيما يخص لغة أهل الاندلس - وكتاب « تشقيق Gunzlrung اللسان وتلقيح الجنان » لعمرو بن خلف بن مكي الصقلي ٠٠

ملاحظات عن لحن العامة في المغرب في عصر الموحدين^(١٥)

تحول كسرة ما قبل آخر اسم الفاعل الثاني إلى فتحة نحو : ناصر صالح وباطل . ولعل سبب هذا التحول أن أصوات التفخيم وأصوات الحلق أميل إلى الفتح منه إلى الكسر . ومن ذلك شيوع الـِـمالـة في الاسم المختوم بالـِـالفـِـ مقصورة نحو عيسى وموسى .

ومن ذلك أيضاً شيوع المد فهم يقولون « علام » ويريدون بها « علم » وكذلك كان الاندلسيون ، وهم يقولون « سـَـلـُـوم » ويريدون بها « سـَـلـَـم » ولذا جمعوها على « سـَـلـَـاــلـِـيــم » ، ومن ذلك « عـَـسـَـاــكـِـرـِـ » جمع « عـَـسـَـكـِـرـِـ » .

وعلى أنهم يميلون إلى المد تراهم ميلين في الوقت نفسه إلى القصر في الألفاظ عديدة نحو : « مزامر » جمع « مـِـزـَـمـَـرـِـ » و « مفاتح » جمع « مـِـفـَـاتـَـحـِـ » و « مسامر » جمع « مـِـسـَـمـَـارـِـ » و « ثلاثة » للثلاثاء من أيام الأسبوع ، و « واد » للوادي وهم يجمعونه على « وـِـيــدـَـانـِـ »^(١٦) .

ومن ذلك ما يحدث من الابدال في الحروف نحو « سـَـارـِـ » يتحول إلى « صـَـارـِـ » و « سورـِـ » يتحول إلى « صـَـورـِـ » و « سـَـطـِـلـِـ » يتحول إلى « صـَـطـِـلـِـ » .

ومن ذلك تسهل الهمزة إلى الواو نحو : واخي « آخـِـيـِـ » والـِـاــصـِـلـِـ « وـِـدـِـ » ، والـِـاــصـِـلـِـ « أـَـدـَـيـِـ » ومن ذلك عدم استعمالهم لـِـكلـَـمةـِـ « سـَـنـِـةـِـ » إلا بـِـصـِـيــفـِـ ، الجمع « سـَـيــنـِـ » أما في حالة الأفراد فالـِـمـَـسـَـعـِـمـِـلـِـ هو « عامـِـ » وقد أـَـنـَـثـَـوـَـهـِـ في استعمالـِـهـِـ حـَـمـَـلـِـ على « سـَـنـِـةـِـ » مـَـفـَـرـِـدـِـ « سـَـيــنـِـ » التي هـَـجـَـرـَـوـَـهـِـ في الاستعمال .

(١٥) أفادت هذه الملاحظات مما نشره كل من ليفي بروفنسال وكولان المستشرقين الفرنسيين في مجلة Hesperis الفرنسية للدراسات المغاربية والأفريقية في الجزء العاشر .

(١٦) على أن هذا المعيل للقصر في هذه الألفاظ وغيرها غير مقصورة على لغة العامة في المغرب في عصر الموحدين بل هو شائع في جميع أقطار المغرب الإسلامي وما زال شئ كثير من ذلك في اللغات الدارجة لهـَـذـِـهـِـ فـِـمـَـاــ زـَـالـِـ التـِـوــنـِـسـِـيــوــنـِـ يـَـجـَـمـَـعـَـونـِـ (ـِـشـَـبـَـاــكـِـ)ـِـ عـَـلـِـ (ـِـشـَـبـَـاــكـِـ)ـِـ وـِـ (ـِـسـَـنـَـاــعـِـةـِـ)ـِـ وـِـ (ـِـسـَـوـَـاــيـِـعـِـ)ـِـ وـِـ مـَـمـَـثـِـلـِـ هـَـذـِـاــ كـَـثـِـرـِـاــ .

وكلمة « مسجد »^(١٧) وهي مذكرة ولكنها تحولت الى مؤنث في لغة البربر الذين أخذوها كما أخذوا الكثير من الالفاظ العربية ، وتحولوها الى « تمسِّجَد » وهذا التحول راجع الى ان مكان العبادة في اللغة البربرية مؤنث فلماً أسلموا واستعملوا اللفظ العربي جعلوه مؤنثا ، ومثل ذلك كلمة « جامع »^٠

وفي مدينة طنجة تقابل للعامية « موطعة » كلمة « موضع » الفصيحة . ويلاحظ في جميع اللغات المغاربية الدارجة اهتمال المثنى اهتمالا قاما وهذا قديم كما يدلنا على ذلك النصوص التي نشرها « ليفي بروفنسال »^٠

يقولون : قتلهم الاثنين^(١٨)^٠

ويقولون : روج كتب^(١٩)^٠

ومن الشائع في هذه العامية الجمع بالياء والنون لتعيين صنف أرباب الحرف كأن يقال : « الصباغين » أي المحلة التي يقطنها أرباب هذه الحرفة . ويبدا الفعل المضارع المسند للمتكلم المفرد بالنون نحو : « نسير » في قولنا « أسيير » و « نصل » في قولنا « أصل »^٠

أما المضارع المسند لجماعة المتكلمين فيبدأ بالنون ويختتم بالواو نحو « نسروا » أي « نسير » و « نأكلوا » أي « نأكل »^٠

ويحذف نون المضارع المسند الى جماعة الغائبين نحو : « يأخذوا »

(١٧) ويقال له « مصييد » حكاية غير واحد والواو أقصى ، ويبلسو ان (Msaid) لم يكن معروفا لدى الاندلسيين ، والصيغة الوحيدة لمسجد هي مزد Mazad ، غير ان اللهجات المغاربية الحديثة مازالت فيها (Msaid) والجمع « مسايد » Msaid ومعناه المدرسة القرانية الملحقة بامسجد الجامع . ومثل ذلك كلمة (جامع) فهي تشتمل على المعنيين .

(١٨) أقول : ان مسألة اهتمال المثنى اذا كان مكتنى عنه بضمير ، واقع في اللهجات المشرقية منذ عدة قرون فلا يقال في ديار المشرق : (قتلهم) بل يقال : (قتلهم)^٠

(١٩) استعمال « الزوج » للاثنين مما شائع في اللغات المغاربية الدارجة وقد يعرض الابدال في الكلمة « زوج » فتصبح (زوّز) .

أي « يأخذون » (٢٠) .

بقايا العربية في جزيرة مالطا

لم يبق من العربية في جزيرة مالطة الا بقايا لا يمكن أن تفي بحاجة المالطيين ولذلك تستخدم المالطية للامور والاحوال الساقطة (٢١) ، أما اذا أرادوا شيئاً آخر أقرب الى الجد كالوصف والوعظ وغير ذلك لجأوا الى اللغة الإيطالية .

فإذا كان المنادى عظيماً فان اداء النداء ايطالية نحو : « أو مولاي » ،
وإذا كان المنادى شيئاً غير عظيم فأداء النداء عربية نحو : يا تفاح .
يبداً الفعل المضارع المستند للمتكلم باللون نحو : « ناخذ » أي
« آخذ » أما المسند لضمير المتكلمين فانه يذيل بالواو نحو « ناخدوا »
أي نأخذ .

وياء المضارع وتأوه يكونان مكسورتين وآخره مضموم نحو :
يحسّبُك . وبدل بالخاء في هذه اللغة الحاء نحو : « بتبح » في « بطيخ »
و « حوح » في « خوخ » و « حبس » في « خبز » و « حلحال » في
« خلخال » .

ومن المفيد أن نذيل هذا الباب بنماذج من الرجل نستخلص منها
فوائد لغوية . قال مدغليس أحد الرجال الاندلسيين في مطلع أحد أرجائه:

[الله] يعلم ما بقلبي وببيه لقد اتحكمَ هذا العشق فيَه
وأصل الكلمة « تحكمَ » فزيدت الفاً على نحو ما يزيد العامة في
هذه الصيغة ، وما زال العامة في كثير من البلاد يستعملون هذه الزيادة .
ومثل هذه الزيادة قوله في قصيدة اللامية :

(٢٠) هذا الاستعمال شائع في لغات اهل المشرق الدارجة، ويبدو انه قديم .

(٢١) انظر الواسطة في معرفة احوال مالطة لاحمد فارس الشدياق ص ٥٦ (الجواب ١٢٩٩هـ) .

لقد أخذلني جمال هذا المليح ولكن معدور أنا هو ينخدل
والأصل « خذلني » فزادها ألفاً ، ومثل ذلك قوله في قصيدة أخرى :
لو رأيت كفٌ كُنْ نَشِيَّاعُو بِالْعَيْنِ وما ندرى أن روحي نشيع
والأصل « نشيّعه » فزادها ألفاً وكتابته في بيت من زجل مطلعه :
ثَلَثْ أَشْنَى فِي الْبَسَاتِينِ لَسْ تُجَدِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ
النَّسِيمُ وَالخَضْرَاءُ وَالطَّيْرُ شُمْ وَإِنْزَهَ وَإِسْمَعَ
وَمِلَاح بِحَالِ حُورِ الْعَيْنِ فِي رِيَاضِ تَشَبَّهُ الْجَنَّةَ
وَعَسْيَوَةُ قَصَّرِيَّةٌ تَنْظَرُوا الْخَسَّلَاعُ تَجْتَنَّا
لَسْ نَطِيقُ نَفَارِقُوهَا وَهِيَ تَحْمِلُ طَاقَ عَنَّا
فَكَانَ الشَّمْسُ فِيهَا وَجْهٌ عَاشَقٌ إِذْ يَوْدَعَ
فَالْوَاوُ فِي لَفْظَةِ « نَفَارِقُوهَا » زَائِدٌ فِي الأَصْلِ ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي نُظُمِهِمْ
كَثِيرٌ جَدًا . وقد ينقصون حرفًا من أصل الكلمة كقول ابن قزمان في
مطلع زجل له وهو :

يَا مَنْ قَتَلَنِي غَيَّابُو مَتْ نَسْتَرِيحُ مِنْ عَذَابِكُو
وَأَصْلُ الْكَلْمَةِ « مَتْ » فَحَذَفَ الْأَلْفَ مِنْهَا ، وَكَتْبَهُ فِي مَطْلَعِ
قصيده الكافية :

إِنَّمَا حَقًا نَدْرِي مِنْ أَيْنَ مُجِئُكُ شَمْتُو فِيكَ انْفَاسُ الذِّي شَيْعُوكُ
وَأَصْلُ الْكَلْمَةِ « شَمْتُ » ، وَكَتْبَهُ أَيْضًا فِي مَطْلَعِ زجل له وهو :
حَمَلَنِي عَشْقُ الْمَلَاحِ فَوْقَ اسْتَطَاعِي وَمَا قَصَرَ عُمْرِي فِيهِ يَمْتَدُ باعِي
وَأَصْلُ الْكَلْمَةِ « اسْتَطَاعَتِي » .

وَقَدْ يَزِيدُونَ هَمْزَةً فِي كَلْمَةِ لَا وَجْهٌ لِزِيادَتِهَا كَمَا يَنْقُصُونَ أَخْرَى ،
فَمِنْ زِيادَتِهَا قَوْلُ ابْنِ قَزْمَانَ فِي زجل مَطْلَعِهِ :

نَظَرَ بِطْرَفِ عَيْنِهِ وَعَبَسَ
لِلْحَيْطِ نَقْلَهَا وَنَشَكُو وَنَجْسَ
فِي جَمْلَةِ الْكَلَامِ الَّذِي قَالَ :
أَيْنَ الصَّدُودُ وَقَدْ طَالَ مَا طَالَ
أَتَخْيِلُ أَنَّهُ بَعْدَ صُورَةِ الْحَالِ
فَرْجٌ لِعُمْرِي كَرْبَهُ وَآنسَ
وَأَصْلُ الْكَلْمَةِ « تَخْيِيلٌ » بِغَيْرِ هَمْزَةٍ ، وَكَقُولٌ مَدْغَلِيسٌ فِي مَطْلَعِ
زَجْلٍ وَهُوَ :

مِنْ أَشْتَوْتُ أَكْبَادِي وَأَبْكَتْ اجْفَانِي
اللَّهُ لَا يَنْسَاهَا مَقْدَارُ مَا تَنْسَى
وَأَصْلُ الْكَلْمَةِ « شَوْتٌ » بِغَيْرِ هَمْزَةٍ وَمُثْلُهُ هَذَا كَثِيرٌ .
أَمَا انْقَاصُ الْهَمْزَةِ فَكَقُولٌ مَدْغَلِيسٌ فِي مَطْلَعِ زَجْلٍ وَهُوَ :
لَسْ نَتَبْ عَنْ ذِي الشَّرِيرَيْهِ لَوْ نَهَبْتُ السَّبْتَ وَالْحَدَّ
قَدْ أَعْرَتْ آذَانِي لِلْلَّوْمِ وَدَفَعْتُو جَلْدِي لِلْحَدَّ
يَرِيدُ « السَّبْتُ وَالْحَدَّ » فَحَذَفَ الْهَمْزَةَ ، وَكَقُولُهُ فِي قَصِيَّدَتِهِ
الْكَافِيَّةِ الْمَسْطُورَةِ :

إِنَّمَا حَقًا نَدْرِي مِنْ أَيْنَ مُجِيكَ شَمْتُو فِيْكَ أَنْفَاسَ الذِّي شَيْعُوكَ
وَأَصْلُ الْكَلْمَةِ « مُجِيكَ » بِالْهَمْزَةِ وَمِنْ جَمِيلِ الْأَزْجَالِ الَّذِي وَقَعَ فِيْهِ انْقَاصُ
الْهَمْزَةِ كَمَا وَقَعَ اسْتِعْمَالُ الْمَوَادِ الْعَامِيَّةِ بِشَكْلٍ وَاضْعَفَ قَوْلَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدَ بْنَ حَسْوَنَ الْحَلَّا الْمَغْرِبِيِّ فِي زَجْلٍ لَهُ مَطْلَعَهُ :
كَمْ بَتْ مُنْكَدْ . مِنْ هَوَاكَ وَهَجْرَانَكَ . يَا مَلِيعَ الْقَدَّ
يَا مَلِيعَ بِمَنْ سَمَّاكَ أَشَ هَذَا التَّجْنِيَّ
طَولَ مَا نَشْتَهِي قَرْبَكَ تَبْعَدُ أَنْتَ عَنِّي
إِنْ كَانَ الرَّقِيبُ بِلْعَ لِيْكَ قَضِيَّةٌ عَنِّي

لَسْ أَنَا فِي ذَا الْحَدْ عُوذُ بِاللَّهِ يَا حَبِي الْآخِرُ هُوَ أَجْوَدْ
فَقَدْ أَسْقَطَ الْهِمْزَةِ فِي مَوْضِعَيْنِ فِي قَوْلِهِ « لِكَ » بِمَعْنَى « إِلَيْكَ » وَفِي
« عُوذُ » وَأَصْلُهَا « أَعُوذُ » ، وَمَا يُرْضِ لَهُمْ زِيَادَةُ الْمَدِ فِي الْكَلْمَةِ وَالْقَصْرِ
فِي كَلْمَةِ أَخْرَى ، فَمِنْ الزِيَادَةِ قَوْلُ ابْنِ قَزْمَانَ فِي زَجْلٍ لَهُ مَطْلُعَهُ :

مُرْ لِي عَنْ ذَا الشَّرَابِ وَوَجَدْتُهُ أَنَا حَلْسًا
تَرَكُوا قَوْمًا وَأَنَا لَا
إِنْمَا مَذْهَبِي الظَّلَالُ

فمدّ الألف في قوله « آنا » وهو نهج عامي وربما كان شيئاً اقتصادياً الوزن ° ومن قصر المد الذي يعرض في كلامهم قول ابن قزمان في مطلع زجل له :

ومما يعرض لهم من هذه الانواع العامية تشديد المخفف وتحفيض المشدد ، فالاول مثل تشديد حروف الجر في مثل « منه » و « عنه » كقول ابن قزمان في مطلع زجل له وهو :

ذا الصدود نمت منو قد رحلت من أجلسو
قل يا قلبي وَشْ همَّكْ تشكوا جوروا أو عدلوا
وكقول مدغليس في مطلع قصيدة :

أنا تايب من هوا يا مسلمين اللـ[هـ] يجعل قلبي في يدّ أمن
والأصل في «اليد» عدم التشديد •

أما تخفيف المشدّ فهو كثير في أزجالهم ومن ذلك قول ابن قرمان :
أي حسرات في قلب من يهواك إن مضى أو بقى

كان تصدق لو انك آت تلقى عُشر ما قد مضى
أنا في حيرة مَرَّةَ نرجوك وَمَرَّةَ تتقى
ونرى كلاماً نؤمِّلُ فيك إن صدق أو يخيب
فقوله « مره » الأخيرة بغير تشديد وهو مما يقتضيه اقامة الوزن .
ومن ذلك تحريك الساكن وتسكين المتحرك ، ولعل هذا يحدث في فصيح
العربية وذلك مما يقتضيه الضرورة الشعرية .

وقد يشبعون الحركة حتى يتولد المد ، ومن ذلك اشباع الضمة حتى
تصير واواً كقول مدغليس :

توقد أثفاسك الذكية شماع في قلبنا متى نستنشقوك
فالواو في « نستنشقوك » من اشباع ضمة القاف . ومن ذلك قول
ابن قزمان :

يعشاقوا قلبي وهو ما يعشق وماعي فيه الحسود اش يقلق
فالآلف في « يعشاقو » من أشباع فتحة الشين ، وكذلك « ماعي »
فالآلف فيها من الفتحة . ومن أشباع الكسرة حتى تتولد الياء قول ابن قزمان :
قالوا عنِي بأنِي عاشق تَقْلُ يصدقوا

يا حبيبي لقيت كثير في الناس بالحكم ينطقوا
هذا شي والنبي يا نور عيني ما تحدثت فيه
ولـ بالله خطر على بالي لا ولا خضت فيه

انما في الطريق وَنَا نمشي كلـ من نلتقيه
يدـنـ لي بالسلام ويسألني عندـما نلتـقـو
ويقول لي فلان بحق الله من صحيح تعشقـو
والشاهد المطلوب في الكلمة « بـه » فـانـ اليـاءـ نـشـأتـ منـ اـشـبـاعـ الكـسـرةـ

في الباء ° وكما حصل الاشباع في الحركة حصل عكسه فقد قصرت الواو
في « قلْبُنا » والأصل « قلوبنا » كما في قول مدغليس :

توقد أنفاسك الزكية شماع في قلبنا متى ما نستشقوك
وقد يعرض في كلامهم جزم الأفعال وليس من جازم لها كما يعرض
العكس أيضا وهذا هو سبيل العامية في كثير من أقطار العربية ° كما يعرض
في أزجالهم تذكير المؤنث وتأنيث المذكر °

ومما تجب الاشارة اليه اقامة الحرف مقام الكلمة فيقييمون الكاف
مقام « كَانَ » والخاء مقام « خَذَ » فمن الاول قول مدغليس :

وكنحلف أن لا نعشق أبداً لولا ما نخشى بشرَّين اليمين
يريد « وَكَنَا نَحْلَنَ » ، وهذا كثير في أزجالهم
ومن الثاني قول ابن حسون الحال في زجل له :

قد ضحك ضوء الصباح وافتضاح سر النوار
لا زمان غَيْرِ ذَا الزَّمَانِ الصلاةً على الرسول
خُطْرَا ذَا الْمَهْرَجَانِ خُتْرَا جَرَّ الْذَيْوَلِ
فقوله : « خُتْرَا » بمعنى « خذ ترى » °

وفي هذه الأزجال تتضح العامية بألوانها فقد تغيرت الكلمة الفصيحة
تغيراً اقتضته طبيعة العامية في ميلها الى اختصار الكلمة ° ألا ترى ان « ليس »
صارت « لس » و « الذي » صارت « اللي » و « الساعة » صارت « السا »
كقول ابن قزمان في زجل له :

« تعرف اسماها (السا) يقل لك لا » في الكلام على الخمر
وهذا نظير ما حدث في اللغات الدارجة في ديار المشرق العربي °
وكأنهم اشترطوا على الزجال أن يوغل في هذه الالوان العامية فهد
ذكروا ان ابن قزمان امام الزاجلين قد قال في الكلام على عيوب الزاجل :

« ومن عيوب الرجل اعراب كلامه سيما ان قصد الاعراب وأحسن ما كان منه باللغة العالمية »^(٢٢) وقد قال في خطبة ديوانه : وقد جردت فني من الاعراب كما يجرد السيف من القراب ، فمن دخل على من هذا الباب فقد أخطأ وأصاب » .

وبعد فهذه جملة فوائد اقتبسناها لنذيل بها هذا الفصل وهي تكشف عن ألوان من العالمية الاندلسية في عصر ملوك الطوائف .

(٢٢) الكتاب العاطل الحالي والمرخص الغالي لصفي الدين الحلي « عنى بتصحيحه ولهلم هونرباخ الالماني » ص ٦٨ . والازجال التي ذكرتها من الكتاب نفسه .

ابراد الالآل من انشاد الصوال لابن خاتمة الاندلسي حققه وعلق عليه الدكتور ابراهيم السامرائي

ابن خاتمة الانصاري (*)

هو أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد علي بن محمد ابن خاتمة الانصاري الاندلسي . طبيب مؤرخ من الأدباء البلغاء . من أهل المرية (Alméria) بالأندلس . تصدر للاقراء فيها بالجامع الأعظم . زار غرناطة مرات . قال لسان الدين بن الخطيب في « الاحاطة » : « وهو الان بقيد الحياة » وذلك ثاني عشر شعبان سنة ٧٧٠ .

وقال ابن الجزري : « توفي وله نيف وسبعون سنة » .
ولم نستطع التثبت من تاريخ وفاته .
تصانيفه :

- ١ - مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية
- ٢ - رائق التحلية في فائق التورية
- ٣ - الحق العقل بالحس في الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس
- ٤ - تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الواحد وقد وضعه سنة ٧٤٧هـ ابان تفشي الطاعون في المرية وسائر البلدان (La Peste Noire) وقد سماه الافرنج « الطاعون الاسود »
- ٥ - ابراد الالآل من انشاد الصوال

(*) الاحاطة ١١٤/١ ، غاية النهاية ٨٧/١ ، معجم الاطباء ١١١ ،
الاعلام ١٧١/١ ، وهدية العارفين ١١٣/١ وشجرة النور ٢٢٩ ، وانظر
G.A.L, t II pp. 259

أدرج علماء اللغة كتاب ابن خاتمة هذا ضمن كتب « لحن العامة » .
وقد اهتم المستشرقون كما اهتم العرب أنفسهم بهذا الضرب من الكتب (**).

- ١ - ظهرت أول قائمة لكتب « لحن العامة » سنة ١٨٧١ .
وقد صنف هذا الثبت « توربيكه Thorbecke » وكان ذلك في مقدمته
لكتاب « درة الغواص في أوهام الخواص » للحريري .
٢ - وقد استدرك Goldziher على ما فعله توربيكه فنشر ذلك
في مجلة جمعية المستشرقين الالمان Z.D.M.G. Bd. 27 سنة ١٨٧٣ ص ١٥٠
وما بعدها .

- ٣ - وقد استدرك المؤلف نفسه في مقال آخر نشره في المجلة المذكورة
سنة ١٨٨١ ص ١٤٧-١٥٢ فيه على ان في شرح النموي على مسلم وفي
الكلسکول للعاملي اقتباسات من كتاب « تشقيق اللسان » لابن مكي الصفلي .
٤ - وفي عام ١٩٣٤ كتب عيسى اسكندر الملعوف مقالا في « اللهجة
العربية العالمية » في العدد الاول من مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة
ص ٣٥٠-٣٦٨ عرض فيه لمؤلفات القدماء التي تبحث في العامي والدخليل
والعرب . ثم عاد فنشر مقالا آخر في العدد الثالث من المجلة المذكورة .
٥ - وفي عام ١٩٣٦ نشر عزالدين التنوخي كتاب « تكملا اصلاح
ما تغلط فيه العامة » للمجواليقي بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق
(مجلد ١٤ ص ١٦٣-٢٢٦) وعرض في المقدمة لطائفة من كتب
« لحن العامة » .

- ٦ - ثم عقب كوركيس عواد في مقالة في مجلة المجمع العلمي العربي
بدمشق (مجلد ١٧ سنة ١٩٤٢) ص ٢٧٢-٢٨٣ فأشار الى طائفة من كتب
لحن العامة وكان عنوان مقالته : « نظائر اخرى لتكملة الجواليقي » .
٧ - وجاء عبدالقادر المغربي واستدرك على سابقيه فنشر ثبا آخر في
مقالة بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مجلد ٢٥ سنة ١٩٥٠)
ص ٤٧١-٤٧٧ عنوانها « كتاب تصحيح التصحيف للصلاح الصفدي » .
٨ - وفي عام ١٩٥٣ نشر « حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي »
كتاب « الجمانة في ازالة الرطانة » لاحد علماء المغرب في القرن التاسع
الهجري وأحصى مما ألفه علماء المغرب والأندلس في لحن العامة احد
عشرين كتابا .

- ٩ - وفي عام ١٩٥٦ نشر المستشرق الايطالي « أمبرتو ريزيتانو » Umberto Rizzitano
« تشقيق اللسان » لابن مكي الصفلي نشرها في مجلة مركز الدراسات
الشرقية الايطالية .

وكتاب ابن خاتمة هذا يعرض لطائفة من الكلمات مما ورد في الفصيح فاستعملها العامة فغيروا من ضبطها أو غيروا من دلالتها . على أن جملة كبيرة من هذه المواد بقيت في لغة العامي على هيئتها الفصيحة .
ولهم نعرف الا القليل عما كتب في عامية الاندلس والمغرب على كثرة المصنفات التي أشارت اليها كتب الفهارس وكتب التراجم ولكنها لم تصل اليانا .

وقد أشار ابن خاتمة الى أن كتابه كان مما اختصره من كتاب ابن هشام السبتي في لغة عامية أهل الاندلس .

وابن هشام^(١) هنا هو محمد بن أحمد بن هشام بن ابراهيم بن خلف اللخمي السبتي وكتبه أبو عبدالله ، أديب ولغوی أندلسي . أخذ عن أبي بكر بن الاعرابي وأبي طاهر السلفي ونقل عنهما ، ودرس النحو واللغة والادب . واهتم باللغة اهتماما كبيرا . وصنف كثيرا من الكتب وهي :

- ١ - الفصول والجمل وفيه شرح لشواهد الجمل للزجاجي
- ٢ - كتاب لحن العامة
- ٣ - شرح فصيح سلب
- ٤ - شرح مقصودة ابن دريد
- ٥ - المدخل في تقويم اللسان وتعليم البيان^(٢)

٦ - استدرك صديقنا الدكتور رمضان عبدالتواب على قائمة « زيز تانو » وصحح فيها في كتابه « لحن العامة والتطور اللغوي » ، ص ٨٢ . كما نجد عرضا وافيا في هذا الكتاب لقوائم الكتب التي أشرنا اليها وزاد عليها فوائد ذات قيمة في هذا الموضوع .
استدرك : فاتنا ان نشير الى ان في فهرس المخطوطات الملكية لخزانة برلين قائمة بالمصنفات المأ (Vol. 6 1894 p. 319) التي جمعها W. Ahlwardt

(١) انظر اتكملاة لابن البار ١/٣٧٠ وبغية الوعاة .

(٢) ما زاده السيوطي على ما ذكره ابن البار .

وفي الاسكوريا مخطوطتان برقم (٤٦) و (٩٩) لابن هشام في باب « لحن العامة » كما في فهرست (دربورغ) ٠

المخطوطة الاولى رقم (٤٦) وهي تشتمل على « كتاب الرد على الزبيدي »^(٣) في « لحن العوام » وقد أشار (دربورغ) ان ابن هشام لا يرد على الزبيدي وحده بل انه يرد على ابن مكي^(٤) صاحب « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » ٠

أما المخطوطة الثانية رقم (٩٩) فان « دربورغ » قد أشار الى أنها تتضمن مادة المخطوطة الاولى (٤٦) وهذه المخطوطة هي التي أشار اليها السيوطي وسمها « المدخل في تقويم اللسان وتعليم البيان » ٠

ومن الغريب ان ابن الأبار لم يشر بشيء الى هذا الكتاب ٠ ولعل هذا الكتاب هو كتاب « لحن العامة » الذي أشار اليه ابن الأبار ٠ وكانت وفاة ابن هشام هذا سنة ٥٥٦هـ ٠

ولقد أشار صاحبنا ابن خاتمة الى ابن هاني السبتي^(٥) وهو محمد بن علي بن هاني اللكمي السبتي أبو عبدالله المتوفى سنة ٧٣٣هـ ٠ وقد أشار السيوطي الى ان له من التصانيف « لحن العامة » ٠

ولعل هذا الكتاب هو الذي أشار اليه ابن خاتمة وسماه « انشاد الضوال وارشاد السؤال » واختصره في كتابه الموسوم بـ « ايراد اللآل من انشاد الضوال » ٠٠٠ ٠

(٣) هو ابو بكر محمد بن الحسن النحوي واللغوي الاندلسي ٠ سكن قرطبة وكان تلميذ ابي علي القالي وقو توقي سنة ٣٧٩هـ وكان اول من بحث في « لحن العامة » في الاندلس ٠ انظر بقية الوعاء ص ٣٤ وارشاد الاربيب ٥١٨/٦ ٠

(٤) أبو حفص عمر بن خلف بن مكي الصقلي المتوفى سنة ٥٠١هـ ٠ انظر انباء الرواية على انباء النحاة ٣٢٩/٢ ، بغية الوعاء ص ٣٦١ ٠

(٥) انظر بغية ٨٢ ٠

عملنا في « ايراد اللآل »

لقد نشر المستشرق الفرنسي G.S. Colin هذا الكتاب في مجلة .

وقدم له • وقد وجدت ان تلك النشرة Hesperis V. 12 1931

لم تستوف حقها من العناية فتيسر الفوائد للدارسين • ثم انها خلت من
كثير من التعليقات المفيدة فكان ذلك حافزا على اعادة نشرها واكمالها بما
يبدا لي انه مفيد ضروري •

ومن المفيد أن أشير الى أن تلك النشرة نادرة كل الندرة ذلك أنها من
مواد المجلة المشار اليها • والمجلة عزيزة المنال في ديارنا المشرقية بل قل
لا وجود لها في كثير من بلداننا في المشرق العربي •

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

ومن « ايراد اللآل من انشاد الضوال » لابن خاتمة الانصارى
- رحمه الله - اختصر فيه كتاب « انشاد الضوال وارشاد السؤال للأستاذ
أبي عبدالله بن هاني السبتي الذي رتب فيه « لحن العامة » للأستاذ التحوى
أبي عبدالله ابن هشام - رحم الله الجميع بهـ - :

أصوّع وأصوّع وأصوّع (على القلب) وأصوّع (على النقل) -
لغات في جمع صاع وهو يُذَكَّر ويُؤْنَث^(٦) •
اصبع وأنملة - في كل واحد منها تسع لغات : فتح الاول والثالث
وضمهما معاً ، وكسرهما ، وبفتح الاول وضم الثالث وكسره ، وضم الاول
وفتح الثالث وكسره ، وكسر الاول وفتح الثالث وضمه •
وفي « اصبع » لغة عشرة وهي « أصبع » مثل أسلوب والأفضل

(٦) ليس في استعمال العام لهذا اللفظ ما يبعده عن الفصيح المشهور •

في « الاصبع » كسر الاول وفتح الثالث ، وفي « الانملة » فتحهما معاً^(٧) .
 اسرافيل - يقال اللام والنون ، وكذلك اسماعيل واسرائيل^(٨) .
 أبئار وآبار (على النقل) وأبئر وبار (على القلب) جمع بئر^(٩) .
 اصطل - (باسكان الباء وتحقيق اللام) لوقف الدواب ، ويجمع
 على أصاطب وأصاطيب وصطابل وصطابل ، ويصغر على أصيَطِب
 وصُطَطِبْ^(١٠) .

برقع - فيه ثلاث لغات ضم القاف وفتحها وبرقوع بالواو .
 بطة - للذكر والاشتى والجمع بـ « ط » ، وهي الاوزة . والبطة أيضاً

(٧) ومثل « أصوع » اصبع وانملة فاستعمال العامة لهما جار على الفصاحة .

(٨) جاء في المعرف ص ١٤ : اسماعيل فيه لغتان : « اسماعيل » و « اسماعين » .

قال الراجز :

قالت جواري الحي لما جينا هذا ورب البيت اسماعينا
 وأما اسرائيل فيه لغات قالوا : « اسرال » كما قالوا : « ميكال »
 وقالوا : « اسرائيل » وقالوا أيضاً : « اسرائين » بالنون . قال أمية على
 « اسرال » :

لا أرى من يعينني في حياتي غير نفسي الابني اسرال
 وقال أعرابي صاد ضبا فجاء به الى أهله ، وقال :
 يقول أهل السوق لما جينا هذا ورب البيت اسرائينا
 (٩) قال G.S. Colin في تعليقه : تحولت الكلمة الى « بير » في
 عامية أهل الاندلس كما قالوا لصانع البئر « بيار » .

قلت : وليس في معجمات العربية (بـ « بيار ») جمع بئر .
 (١٠) جاء في اللسان : قال ابن بري : لم يذكر الجوهري الاصطل
 لانه أعجمي ، وقد تكلمت به العرب .

قلت : وجمعيه في لغة أهل عصرنا اصطبلات على التأنيث . وقال
 G.S. Colin في اللاتينية Stabulum ومنه اختصر صبال
 وجمعيه صبول . وفي اليمن في عصرنا هذا صبل للملجأ الذي يلتتجيء اليه
 المسافر في الطريق .

الإِناءُ الَّذِي يَجْعَلُ فِيهِ الْزَّيْتُ وَهِيَ لُغَةُ شَامِيَّةٍ عَرَبِيَّةٍ صَحِيقَةٌ^(١١) ٠

برنامِج - (فتح الميم) كلمة فارسية وهو زمام تسمية متابع التجار
وسلعهم وقد قيل « برنامِج » بكسر الميم والواو أشهَر^(١٢) ٠

بَوْقَال - بفتح الباء والجمع بوأقال^(١٣) ٠

برَادَة - والجمع براريد عربية فصيحة، ويقال لها السقاية أيضاً^(١٤) ٠

بلورج - للطائرة المعروفة الآتية في الربع^(١٥) ٠

ثمان - في عدد المؤنث يقال باتبات الياء نصباً ومحذفها خفضاً ورفعاً ،
وحكمة حكم المتقوص في كافة أحواله وبمحذفها جملة ، والاعراب على النون
وكذلك ثماني عشرة يقال باتبات الياء ومحذفها ٠

ثلاثة الدنانير وأربعة الدراما - وكذلك الى العشرة يقال بمحذف
الالف واللام من أسماء الاعداد في حالة اضافتها الى العشر المعرف بالالف
واللام ، وهو المختار عند جميع النحاة كوفيهم وبصريهم . وأجاز الكوفيون
مع ذلك قياساً ابادتهما فنقول : الثلاثة دنانير والأربعة دراما^(١٦) ٠

(١١) كنا في « اللسان » وزاد عليه : انها أعمجمية معربة . وفيه : ان
البطة الدَّبَّة بلغة أهل مكة لأنها تعمل على شكل البطة من الحيوان . وأنظر
« المَعْرُوب » ص ٦٤ ٠

(١٢) الالفاظ الفارسية المعربة ص ١٥ وهو تعريف بارنامِج ٠

(١٣) جاء في « اللسان » : انه ضرب من الكيزان ٠

(١٤) جاء في « اللسان » : قال الاذهري : لا ادرى أمن كلام العرب
أم المولدين .

(١٥) قال G.S. Colin من اليونانية « بـلـارـج » هو معروف في بلاد
الشمالي الافريقي Cigogne أنظر W. Marcé: Textes Arabes de Tanger, p. 235

وهو معروف في اسبانيا باسم Bullaga

(١٦) الذي اجازه الكوفيون من تعريف العدد دون المعدود هو الشائع
في لغتنا الحديثة . ولا يلتجأ الى الاسلوب الاول نحو ثلاثة الدراما .

جِير وَجِيَّار - لغتان بمعنى وهو الذي تلاط به البيوت^(١٧) .

جَدْرِي : يقال بضم الجيم وفتح الدال وبفتحهما معاً .

جَسْر - لـ«القطرة» ، يقال بفتح الجيم وكسرها .

جِزْءُ الصَّوْفَ - بـ«كسر الجيم» .

جَمَادِيُّ الْأُولَى وَجَمَادِيُّ الْآخِرَة - عَلَى التَّأْيِثِ ، وَأَجَازَ قَطْرَب^(١٨) :

جَمَادِيُّ الْأُولَى وَجَمَادِيُّ الْآخِرِ عَلَى التَّذْكِيرِ وَقَالَ : إِذَا قَلْتَ الْأُولَى

وَالآخِرَ فَعْلَى تَذْكِيرِ الْمُفْسَرِ ، وَإِذَا قَلْتَ الْأُولَى وَالآخِرَةَ فَعْلَى تَأْيِثِ جَمَادِيِّ

فَالتَّأْيِثُ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَفْظُوْتِ وَالْتَّذْكِيرِ عَلَى الْمَعْنَى .

ذَوُ الْحَجَّةِ - بـ«كسر الحاء خاصة وفي «المشارق»^(١٩) : «ذَوُ الْحَجَّةِ»
بفتح الحاء ولا يجوز فيه الكسر عند أكثرهم وأجازه بعضهم «على ما
قِيلَ أولاً .

خَوْخَ - بفتح الخاء والواحدة خَوْخَة و هو الفرسك^(٢٠) . والخوخة
أيضاً الكوأة النافذة في الحائط .

(١٧) في معجم ابن العشائـ : ان الجـير كـلمـة عـامـية تعـني الجـبس او
الجـصـ Chaux والـلـفـظـ الفـصـيـعـ جـيـارـ الاـنـ هـذاـ قدـ تـرـكـ استـعـمالـهـ
لـاـنـصـرافـهـ إـلـىـ العـاـمـلـ فـيـ الجـيـرـ G.S. Colin

(١٨) هو ابو علي محمد بن المستنير البصري المعروف بـ«قطـربـ» لــحدـ
الــعــلــمــاءــ بــالــلــغــةــ وــالــنــحــوــ . المتوفـيـ سنةـ ٢٠٦ـ هـ . انـظـرـ تـرـجـمـتـهـ فـيـ أـخـبـارـ
الــنــحــوــيــنــ الــبــصــرــيــنــ لــلــســيــرــافــيــ صــ٤ــ٩ــ ، نــزــهــةــ الــالــلــبــاءــ لــابــنــ الــانــبــارــيــ صــ٦ــ٠ــ ،
بغــيــةــ الــوــعــاــةــ صــ١ــ٠ــ٤ــ .

(١٩) انـظـرـ «ـمـشـارـقـ الــاـنــوــارــ»ـ عــلــىــ صــحــاحــ الــآـنــارــ»ـ للــقــاضــيــ عــيــاضــ
طــ . فــاســ ســنــةــ ١٣٢٨ــ صــ١٨١ــ .

(٢٠) لــعــلــ الــفــرــســكــ مــنــ الــيــونــيــةــ اوــ مــنــ الــلــاــتــيــنــيــةــ

خولنجان - باشباع الخاء واواً ولام مكسورة^(٢١) •

- دفتر^(٢٢) - بفتح الدال وكسرها وتفتر بابدال الدال تاء لغات بمعنى •
ديس^(٢٣) - لفظ عامي والعرب تسميه الأسل وهو الذي تتخذ منه
الحُصر • ووقع في كلام أبي حنيفة ما يقتضي ان الديس عربي •
دُرّاعة^(٢٤) - بضم الدال وتشديد الراء •

رغوة - مثلثة الراء ورَغْوة ورغایة خمس لغات •
الرَّخْو والرَّطْل - يقالان بفتح الراء وكسرها والكسر أفعى •
رَبِيع الأول وربيع الثاني - بتنوين عينهما وقد يحذف لالتقاء الساكنين
وبابه الضرورة •

زجاج - مثلث الزاء •
زريعة - بالتحقيق للمحب المزدرع والجمع زرائع ، وزِرِيعة بكسر
الأول وتشديد الثاني والجمع زراريع وليس في الكلام فَعَيْل ولا
فَعِيلَة بالفتح •

(٢١) لم يذكر « الخولنجان » في « المعرف » ولا في « شفاء الغليل »
ولا في « كتاب الالفاظ الفارسية المعرفة » . ولعله الخلنج وهو شجر
فارسي تتخذ من خشبته الاواني والجمع الخلنج . انظر اللسان « خلنچ » .

(٢٢) جاء في « المعرف » ص ١٤٧ : ان الدفتر عربي صحيح لا خلاف
في ذلك . قال ابن الانباري : ولا يعرف له استقاق . وأنظر شفاء
الغليل . أما « التفتر » فقد جاء في « اللسان » : انه لغة في الدفتر ،
حكاه كراع عن اللحياني ، قال ابن سيده : وأراه عجميا .

(٢٣) لعله من العامية الاندلسية . أما الاسل فقد ذكر أبو حنيفة
« اللسان » : انه عيدان تنبت طوالا دقاقا مستوية لا ورق لها يعمل
منها الحصر .

(٢٤) الدُّرّاعة والمِدرَاع : ضرب من الشياب التي تلبس ، وقيل جبة
مشقوقة المقدّم . اللسان (درع) .

زَفِيزَفٌ^(٢٥) - أَعْجمي وَهُوَ عِنْدَ الْعَرَبِ الْعُنْتَابِ .
زَرِيابِي - لِلْفَوْلِ الْمَقْلُو الْمَلْوَحِ مَنْسُوبٌ إِلَى زَرِيابِ غَلامِ اسْحَاقِ
الْمُوَصَّلِي وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهُ فَسْبَهُ إِلَيْهِ .
زِرَبِيَّة^(٢٦) - بِكَسْرِ أَوْلَهُ لِلْطَّنْفَسَةِ وَالْجَمْعُ زَرَابِيٌّ .

طَفَالٌ^(٢٧) - بِكَسْرِ الطَّاءِ وَضَمِّهَا لِلْطَّينِ الْيَابِسِ الَّذِي يَغْسِلُ بِهِ الشِّعْرَ ،
وَهُوَ الْطَّرْبُونُ أَيْضًا .

طَفَلٌ - بِكَسْرِ الطَّاءِ لِلصَّبِيِّ الصَّغِيرِ وَالْمُؤْنَثَةِ طَفَلَةٌ ، وَأَمَّا الطَّفْلَةُ بِالْفَتحِ
فَالْجَارِيَّةُ النَّاعِمَةُ الْجَسْمُ .

كَاغِدٌ^(٢٨) - يَقَالُ بِالْذَّالِّ مَعْجَمَةً وَمَهْمَلَةً وَبِالظَّاءِ الْمَعْجَمَةَ أَيْضًا ، وَهَذِهِ
عَنْ ثَلْبٍ وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ دَرِيدٍ .

كَبَدٌ وَكَرْشٌ - فِيهِمَا ثَلَاثُ لِغَاتٍ : فَتْحُ الْفَاءِ وَكَسْرُ الْعَيْنِ ، وَسُكُونُ
الْعَيْنِ مَعَ كَسْرِ الْفَاءِ وَفَتْحِهَا ، وَكَذَلِكَ فِيمَا شَاكَلُوهُمَا ، فَإِنْ كَانَ الثَّانِي حِرْفٌ
حَلْقٌ كَ (لَعْبٌ) وَ (ضَحْكٌ) جَازَ أَيْضًا كَسْرُ الْفَاءِ اتِّبَاعًا .
كَرَاءٌ - بِالْمَدِ وَالْقَصْرِ لِغَتَانِ بِمَعْنَى ، وَمِنْ قَصْرِ كَتْبِ الْأَلْفِ لِقَوْلِهِمْ :

(٢٥) لَمْ يَذْكُرْ « زَفِيزَفٌ » فِي كَتَبِ الْلِّغَةِ . وَلَيْسُ فِي كَتَبِ الْمُعْرِبِ
وَالْدِخْيَلِ ذَكْرٌ لَهُ ، وَلَعْلَهُ مَا عَرَبَهُ أَوْ اسْتَعْمَلَهُ عَامَةً أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ ،
وَالَّذِي يَدْلِلُ عَلَى هَذَا تَعْلِيقٍ Colin عَلَيْهِ فَقَالَ : زَفِيزَفٌ مَنْ الْلِّغَةُ
الْدَّارِجَةُ فِي الشَّمَالِيِّ الْأَفْرِيْقِيِّ وَهُوَ Jujubier . وَفِي جَامِعٍ « مَفَرَّدَاتُ
ابْنِ الْبَيْطَارِ ١٦٥/٢ » أَنَّهُ الْعَنَابُ عِنْدَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ .

(٢٦) فِي الْلِّسَانِ : الزَّرِبِيَّةُ الْطَّنْفَسَةُ وَتَكْسِرُ زَايِهَا وَتَفْتَحُ وَتَضْمُنُ
وَجْمِعُهَا زَرَابِيٌّ . وَقَالَ الْفَرَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « وَزَرَابِيٌّ مَبْثُوثَةٌ » الْطَّنْفَسُ لَهَا
خَمْلٌ . وَرَوَى عَنِ الْمُؤْرِجِ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « الْآيَةُ » : زَرَابِيٌّ النَّبْتُ
إِذَا اصْفَرَ أَوْ احْمَرَ وَفِيهِ خَضْرَةٌ .

(٢٧) لَمْ اهْتَدَ إِلَى وَجْودِ الطَّفَالِ أَوِ الْطَّرْبُونِ فِيمَا بَيْنَ يَدِيِّي مِنْ مَظَانِ .
وَلَعْلَهُمَا مِنْ عَامِيَّةِ الْأَنْدَلُسِ .

(٢٨) فِي « كِتَابِ الْأَلْفَاظِ الْفَارِسِيَّةِ الْمَعْرِبَةِ » : أَنَّهُ فَارِسِيٌّ مَحْضٌ بِمَعْنَى
الْقَرْطَاسِ . وَلَا وَجْدَ لَهُ فِي « شَفَاءِ الْغَلِيلِ » .

« أَعْطِ الْأَجِيرَ كِرْ وَتَهُ » ٠

كِرَاعٌ - بضم الكاف وهو من الانسان ما دون الركبة ، ومن الدواب
ما دون الكعب ٠

كِرِستَةٌ^(٢٩) - بكسر الكاف لنبات معروف ٠

كَوَّةٌ - بالفتح والضم والاول أفعى وأشهر ٠

كَبَرٌ^(٣٠) - بفتح الكاف والباء المخففة لنبات معروف ٠

كَرْوِيَا^(٣١) - قال أبو حنيفة : الكَرْوِيَا تابل ليس عربي ، ولا
يُدرى أيمدأ أم لا فان مُدَّ فهو اتشى ٠

كَدْسٌ - يقال بضم الكاف، وفتحها والجمع أكْدَسٌ وهو ما جمع من
طعام أو غيره ٠

كَبُوشٌ^(٣٢) - لفظ أعمجي تقوله العامة لما يجعله المرأة على رأسها
تحت مقنعتها من حرير وغيره ، وهو عند العرب الصقاع^(٣٣) والغفارة^(٣٤) ٠

(٢٩) جاء في جامع « مفردات ابن البيطار » ٦٣/٤ : أنها شجيرة صغيرة
دقيقة الورق والاغصان لها ثمر في غلُفٍ ٠

(٣٠) جاء في « المغرب » : قال ابو بكر : واحسب ان الكبر مغرب
واسمه بالعربية الاصف . قال أحمد محمد شاكر محقق « المغرب » : لم
أجد هنا النص في « الجمهرة » ولكن فيها : ٢٦٠/٣ : « الاصف الشجر
الذى يسمى الكبر وأهل نجد يسمونه الشفلح . وكذا في « الجمهرة »
٣٢٩/٣ . وفي « اللسان » : الكبر الاصف فارسي مغرب وهو نبات له
شوك . ونقل أدي شير ان لفظه في الفارسية كلفظه في العربية . والذى
يتراجع عندي انه عربي خالص .

(٣١) في جامع « مفردات ابن البيطار » ٦٥/٤ : هي القرنباذ
والقرنقار وهو بزر صغير الحبة معروفة عند الناس ٠٠

(٣٢) ليس الكتبوش من مواد « المغرب » ولا « شفاء الغليل » الا ان
ادى شير في كتاب « الالفاظ الفارسية العربية » قد ذكر انه : البرذعة تجعل
تحت سرج الفرس ٠

(٣٣) في « اللسان » الصقاع : خرقة تكون على رأس المرأة توقي
بها الخمار من الدهن . وربما قيل للبرقع صقاع ، ولله معان أخرى ٠

(٣٤) في « اللسان » الغفارة : خرقة تكون دون المقنعة توقي بها
المرأة الخمار من الدهن . ولله معان أخرى ٠

والوقاية^(٣٥) والقيقة^(٣٦) والشنتقة^(٣٧) .

كشاجم^(٣٨) - بفتح الكاف لقب لشاعر جمعت أحرفه من صناعاته أخذت الكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من منجم ، والميم من مغن ، ثم طلب الطب بعد ذلك حتى مهر فيه وصار أكثر علمه فزاد في لقبه طاء من طبيب ، وقدمت على سائر الحروف لغلبة الطب عليه ، فقيل طكشاجم ، ولكنه لم يسر سير كشاجم .

كوب - بعض الآنية وزعم أبو عيادة إن الكوب من الأباريق ، الواسع الذي لا خرطوم له ، وقيل : بل هو الذي لا عروة له .
كوز - للاناء اذا كانت له عروة والا فهو كوبة .

كيت وكيت - لا يكنى بهما الا عن الافعال . وذيت وذيت لا يكنى بهما الا عن الاقوال .

لُص - بكسر اللام وضمها . ولَصت^(٣٩) بكسر اللام وفتحها أربع لغات .

(٣٥) في « اللسان » : الْوِقَاءُ وَالْوَقَاءُ وَالْوِقَايَةُ وَالْوَقَايَةُ والواقية : كل ما وقيت به شيئاً .

(٣٦) أرى أن تكون « القيقة » مصحفة من التوقية التي تفيد الكلاءة والحفظ اذ ليس في اللغة « القيقة » .

(٣٧) في « اللسان » : الشنتقة خرقة تكون على رأس المرأة تقى به الخمار من الدهن .

(٣٨) هو محمد بن الحسين (أو ابن محمد بن الحسين) بن السندي بن شاهك ابو الفتح الرملي المعروف بكشاجم شاعر متفنن أديب من كتاب الانشاء . فارسي الاصل توفي سنة ٣٦٠ هـ . انظر الديارات للشاباشتي ١٦٧-١٧٠ وانظر الاعلام للزركلي ٤٣/٨ .

(٣٩) في اللسان : واللصت لغة في اللص أبدلوا من صاده تاء وغيروا بناء الكلمة لما حدث فيها من البدل ، وقيل : هي لغة ، قال اللحياني : وهي لغة طيء وبعض الانصار وجمعه لصوت . وانظر المغرب ص ٢٢١ .

بيان - بضم اللام وهو الكند ^(٤٠) .

مغزل المرأة - مثلث الميم عن المطرز ^(٤١) والكسر أفعىهما
مائدة وميادة ^(٤٢) - وهي أضعف .

مسجد ^(٤٣) - ويقال « مسيد » حكاه غير واحد والواول أفعى

مشمش - يقال بكسر الميمين وهو أفعى وبفتحهما وهو أضعف .
مرأة وامرأة ومرأة ^(٤٤) - بنقل حركة الهمزة للراء وتسييلها ،
ومرَّة بالنقل وحذف الهمزة ، أربع لغات بمعنى .

منديل - فيه ثلاثة لغات : كسر الميم وهي الفصيحة وحکى ابن جنی

(٤٠) انظر جامع مفردات ابن البيطار ٤/٨٣ .

(٤١) هو محمد بن بـ الدواحد بن ابـي هاشـم ابو عمر المطرـز الباوردي ، المعـروف بـ غلام ثعلـب أحد أئـمة اللغة صاحـب التصـانيف الكـثيرة المتـوفـي سـنة ٣٤٥هـ أنـظر فـي: انبـاء الرـواة ٣/١٧١ ، نـزـهـة الـالـباء صـ ١٩٠ ، بغـية الـوعـاة ٦٩ .

(٤٢) في « شفاء الغـليل » ص ٢٥٥ : مـيـدة لـغـة فـي المـائـدة .

(٤٣) قال G.S. Colin : لم يكن مـسـيد مـعـروـفاـ في الانـدـلـسـيـة والـصـيـغـةـ الـوـحـيـدـةـ التـيـ كـانـتـ مـعـرـوفـةـ هيـ مـزـادـ Mazad ، غير انـ الـلـهـجـاتـ الـمـغـرـبـيـةـ الـحـدـيـثـةـ تـعـرـفـ « مـسـيدـ » Masid وـانـجـمـعـ « مـسـاـيدـ » وـمـعـنـاهـ المـدـرـسـةـ الـقـرـآنـيـةـ الـمـلـحـقـةـ بـالـمـسـجـدـ الـجـامـعـ . وـكـذـلـكـ كـلـمـةـ « جـامـعـ » تـشـتـتـمـلـ عـلـىـ الـمـعـنـيـنـ كـمـاـ فـيـ : W. Marcais, Texte Arabes de Tanger p. 52

وـلـيـسـ مـنـ السـهـلـ انـ نـعـرـفـ التـارـيـخـ الـذـيـ تـحـولـ فـيـهـ مـسـاجـدـ إـلـىـ مـسـاـيدـ . وـالـيـاءـ اـبـدـالـ مـنـ الـجـيـمـ . وـمـنـهـ أـخـذـتـ الـكـلـمـةـ الـإـسـبـانـيـةـ

ta-Mezqida وـالـإـيطـالـيـةـ Meschita وـالـبـرـبرـيـةـ Mesqida—Mezqita

وـفـيـ الـلـهـجـةـ الـانـدـلـسـيـةـ تـحـولـتـ مـسـجـدـ إـلـىـ مـسـيدـ ، مـسـيـدـ ثـمـ إـلـىـ مـزـادـ . وـمـنـ الـفـيـدـ أـنـ نـشـيرـ إـلـىـ أـنـ مـسـيدـ كـانـتـ مـعـرـوفـةـ فـيـ لـغـةـ صـقـلـيـةـ الـاسـلـامـيـةـ .

(٤٤) هذهـ الـلـغـةـ لـمـ تـرـدـ فـيـ الـكـتـبـ الـمـطـوـلـةـ . وـهـذـاـ يـعـنـيـ أـنـ لـكـلـمـةـ ثـلـاثـ لـغـاتـ مـنـهـاـ (ـمـرـةـ)ـ وـهـيـ الـتـيـ بـقـيـتـ فـيـ اـكـثـرـ الـالـسـنـ الـعـرـبـيـةـ الـدارـجـةـ وـفـيـ هـذـهـ الـلـغـةـ وـرـدـ قـوـلـ الـراـجـزـ :

تـقولـ عـرـسـيـ وـهـيـ لـيـ فـيـ عـوـرـةـ بـئـسـ اـمـرـءـاـ وـانـتـيـ بـئـسـ مـرـأـهـ

فتحها ، والثالثة مِنْدَل واشتقاقه من الندل وهو الجذب^(٤٥) . ويقال له أيضاً المشوش •

مِلَّاك التزويع وإملأكه – لفتان بمعنى ، فَمَا مِلَّاكُ الْأَمْرِ فيقال بكسر الميم وفتحها •

مَعْدَةً وَمِعْدَةً – لفتان بمعنى ككلمة وككلمة •
مَرَدْ قُوْشٌ وَمَرَزَ جُوْشٌ وَمَرْزَنْجُوْشٌ – ثلات لغات بمعنى العنقَر^(٤٦) •

محبرة – فيها خمس لغات فتح الميم والباء ، وكسر الميم وفتح الباء ، وفتح الميم وضم الباء ، وحابورة ، ومحبرة بشدید الباء •
ملك اليمين – مثلث الميم •

مقبض السكين وغيرها – بفتح الميم وكسر الباء ، وكسر الميم وفتح الباء ، وبفتحهما ثلات لغات بمعنى وو ما قبضت عليه منه •
مِخْدَة – بكسر الميم •

(٤٥) وفي « اللسان » : قالوا واشتقاقه من الندل اي الوسخ .
(٤٦) في « اللسان » : قال ابو الهيثم : مردقوش معرب معناه الليّن الاذن ، وفي « القاموس » ان المردقوش معرب « مرده كوش » وأن المزجوش معرب « مرذتكوش » وفي « المعرب » ص ٣٠٩ : وليس المزجوش والمردقوش من كلام العرب ، انما هي بالفارسية « مُرْدُقُوش » (بضم الميم والدال) أي ميت الاذن . وقد استعملوه . قال ابن مقبل :
يعلون بالمردقوش الورد ضاحية على سعابيب ماء الضالة للجن
نعته بالورد لأن المزجوش اذا بلغ أحمرت أوراقه . والمردقوش أيضاً الزعفران . وقال صاحب « المعيار » ، « مرزن » بالفارسية الفار
و « كوش » الاذن ، سمي لأنه شبيه بأذن الفأر . وقال ادي شير :
المزنجوش : من الرياحين دقيق الورد بزهر أبيض عطري تعريب « مُرْزَنْ كوش » ومعناه آذان الفأر .

وعنقز صحف « المطبوع » الى « عبقر » وفي « مفردات ابن البيطار » الى عنقر والصحيح ما اثبتناه . وفي « اللسان » : قال ابو حنيفة : ولا يكون الا ببلاد العرب . وأنظر وصفه في « المعتمد » ص ٣٣٩ .

منجم^(*) - مثل منجل للذى يُدَقَّ به الوتد وغيره .
 مقلين^(**) - بكسر الميم واللام لبعض الطيور ويكتفى بأبى الدنانير .
 متَرَدٌ^(٤٧) - لفظ مولد يقال بكسر الراء وفتحها وميمه مفتوحة ،
 متَرَدٍ يثِرِدُ ويثِرُدُ . فعلى الكسر يقال : بالكسر ، وعلى الضم يقال :
 بالفتح .

مسلح - بفتح الميم لوضع من الحمام تنزل فيه الثياب . فأما المسلح
 بكسرها فالثوب الذى يُسلَحَ كالمِجسَد : وهو الثوب الذى يلي الجسد ،
 والمِفضل : وهو الثوب الذى تفضل به المرأة .
 مالنخونيا^(٤٨) - بنون ساكنة بعد اللام لداء معروف .

معجب بنفسه - بفتح الجيم للمتكبر من العُجب وهو الكبر .
 مشق - بفتح الميم وكسر الشين للذى تصطرك أية اتهام حتى
 تتشحجا^(٤٩) والفعل منه : مشيق يمشقَ مَشَقاً فهو مشق .
 ميضة^(٥٠) بكسر الميم والهمز للمتوضاً وهو حيث يتَوَضَأ والجمع
 المواضيء والياء فيها منقلبة عن واو لسكنها وانكسار ما قبلها .
 موسيقاء^(٥١) - بياء بعد السين .
 اء ورد^(٥٢) - بالمد وقد يقال « ماورد » على اعة من يقول « ما

(*) وفي اللهجة المغربية « ميجم » .

(**) وفي اللهجة المغربية مقنين . وفي الجزائر « مرقومة » .

(٤٧) لا وجود له في المعجمات ولا في كتب اللغة الأخرى .

(٤٨) لم أجده في سائر كتب المعربات والدخليل . وهو داء السوداء المعروف بين الناس بالمالخوليا .

(٤٩) كنا في « اللسان » وهو الصواب أما في المطبوع فقد تصحف الى : تنسحجا .

(٥٠) ذكر الخفاجي في « شفاء الغليل ص ٢٥٧ » : ان العامة تقول « ميضة » .

(٥١) وقد تقصر فيقال « موسيقي » ، وقد تكون بالياء موسيقي .

(٥٢) أنظر جامع « مفردات ابن البيطار » ١٣٦ / ٤ .

بالقصر

٥٣) - بكسـر الميم والهمزة لسلة الحديد ، فـاما الذي تجـبس
فيه الـابر فقيـسه مـأبـر .

موسوس - بـكسـر الواو الثانية للـذـي غـلـبتـ الوـسـوـسـةـ وهيـ حـدـيـثـ
الـنـفـسـ .

مـقـرـفـ - للـذـيـ أـمـهـ كـرـيـمةـ وـأـبـوهـ خـسـيـسـ وـهـوـ المـذـرـعـ أـيـضاـ ،
وـانـماـ سـُمـيـ المـذـرـعـ لـلـرـقـمـتـيـنـ فـيـ ذـرـاعـ الـبـغـلـ وـانـماـ صـارـتـ فـيـهـ مـنـ أـجـلـ
الـحـمـارـ .

الـنـونـ

نعم (٥٤) - بـضمـ النـونـينـ وـفـتحـهـماـ لـرـيـحـانـةـ طـيـةـ الـرـيـحـ .ـ قـالـ
الـزـبـيـديـ (٥٥) :ـ وـالـضـمـ أـعـجـبـ الـيـ وـأـفـصـحـ .ـ
ندـ (٥٦) - بـفتحـ النـونـ وـكـسـرـهـاـ لـضـربـ منـ الـطـيـبـ .ـ
نيـةـ (٥٧) - تـقـالـ بـتـخـيـفـهـاـ وـتـشـدـيـدـهـاـ .ـ

(٥٣) جاءـ فيـ الـلـسـانـ :ـ «ـ وـالـابـرـ مـسـلـةـ الـحـدـيدـ وـالـجـمـعـ اـبـرـ وـابـارـ ،ـ
قالـ القـطـاميـ :

وـقـولـ الـمـرـءـ يـنـفـدـ بـعـدـ حـيـنـ اـمـاـكـنـ لـاـ تـجـاـوزـهـ الـاـبـارـ
أـمـاـ الـمـأـبـرـ لـاـ تـجـبـسـ فـيـهـ الـاـبـرـ فـهـوـ مـقـيـسـ لـمـ تـذـكـرـهـ كـتـبـ الـلـغـةـ .ـ
(٥٤) فيـ الـلـسـانـ :ـ النـعـنـ (ـ بـضمـ النـونـينـ وـفـتحـهـماـ)ـ وـالـنـعـنـاعـ :ـ
بـقـلـهـ ٠٠ـ وـالـعـامـةـ تـقـولـ :ـ نـعـنـ (ـ بـفتحـهـماـ)ـ ،ـ وـفـيـ الصـحـاحـ :ـ وـنـعـنـاعـ
مـقـصـورـ مـنـ نـعـنـاعـ وـلـمـ يـتـسـبـهـ إـلـىـ الـعـامـةـ .ـ

(٥٥) هوـ أـبـوـ بـكـرـ مـحـمـدـ بـنـ حـسـنـ بـنـ مـذـحـجـ الـزـبـيـديـ الـمـتـوـفـىـ
٣٧٩ـ هـ .ـ أـنـظـرـ مـقـدـمـةـ «ـ لـحـنـ الـعـوـامـ »ـ صـ ٣٢ـ٨ـ ،ـ وـقـولـ الـزـبـيـديـ الـمـشـارـ
إـلـيـهـ فـيـ لـحـنـ الـعـوـامـ صـ ٨٨ـ :ـ وـقـدـ روـيـ بـعـضـ الـلـغـوـيـنـ «ـ نـعـنـ »ـ بـالـفـتـحـ
وـالـأـوـلـ «ـ أـيـ بـالـضـمـ »ـ أـفـصـحـ وـأـعـرـفـ .ـ

وـجـاءـ فـيـ «ـ تـاجـ الـعـرـوـسـ »ـ :ـ أـمـاـ النـعـنـ فـأـحـسـبـهـ عـرـبـيـاـ .ـ
(٥٦) فيـ الـلـسـانـ :ـ النـدـ ضـربـ منـ الـطـيـبـ يـدـخـنـ بـهـ .ـ قـالـ اـبـنـ
درـيـدـ :ـ لـاـ أـحـسـبـ النـدـ عـرـبـيـاـ صـعـيـحاـ .ـ
(٥٧) لـمـ اـهـنـدـ إـلـىـ وـجـهـ التـخـيـفـ فـيـ كـتـبـ الـلـغـةـ وـلـعـلـهـ مـنـ لـحـنـ الـعـوـامـ .ـ

نيوفر^(٥٨) - بفتح النون والفاء ، ونيلوفر باللام لنَور أصفر ينبع بالفُدُر .

نقس^(٥٩) - بكسر النون وفتحها للمداد .

نسوة^(٦٠) - بكسر النون وضمها لقتان .

نحوي^(٦١) - باسكان الماء وفتحها منسوب الى النحو ، وقد أجمع نحاة الكوفة وطائفة من نحاة البصرة على جواز فتح عين فعل اذا كان حلقياً .

نُعرة - مثل توعدة ذباب أخضر أزرق يدخل في أنوف الذباب .

نفقة - بضم النونين اللحمة المتسلية على أعلى الجلق .

نفاحة - بفتح النون وهي الحجا والواحدة حِجَّة^(٦٢) وهي الفقائق التي تطفو على الماء ، وهي الحبَاب أيضاً والواحدة حَبَّة .

الصاد

صنف - بكسر الصاد وفتحها للنوع .

صنوبر - بفتح الصاد والنون لضرب من الشجر معروف .

صِفْر - بكسر الصاد للشيء الحالي ويكون للواحد والجمع .

(٥٨) ذكر الخفاجي في شفاء الغليل ص ٢٦٧ : انه اسم فارسي ۰۰۰ وقد تلاعبوا به فخففوه وقالوا نَوْفَر . وذكره أدي شير ص ١٥٥ .

(٥٩) في اللسان : النقس الذي يكتب به بالكسر . ولعل النقس بفتح النون المشار اليه من لحن العامة .

(٦٠) وكذا النسوان والنسوان (بالكسر والضم) (اللسان) .

(٦١) أقول : ان فتح عين الفعل اذا كان حلقياً غالباً في العربية وليس مسألة جواز . ولا يدخل في هذا «نحو» . والذي أراه ان الفتح في حاء «نحوي» من باب لحن العوام .

(٦٢) في اللسان : والحجاة نفّاخة الماء من قطر أو غيره . وقد ضبطت النفاحة بضم النون وتشديد الفاء وهذا يعني ان «النفاحة» بفتح النون المشار اليها من لحن العوام .

صَبَ (٦٣) - لغة عجمية تقولها العامة زجراً للهير اذا أبعدته ، وانما تقول له العرب : إِخْسَاً وكذلك للكلب .
صِرَاح - بكسر الصاد مصدر صارت بالامر تقول : فعلت ذلك **صِرَاحاً** فاما الصراح بالضم فالخالص من كل شيء .
صَقْلَية - بفتح الصاد والقاف لجزيرة معروفة .

الضاد

ضَحِيَّة - فيها أربع لغات : **أُضْحِيَّة** (بضم الهمزة) وهي العليا ، **وِاضْحِيَّة** (بكسرها) ، **وَاضْحَاء** ، **وضَحِيَّة** وهي أضعفها .
صَفَّةُ الْوَادِي - بكسر الضاد وضمها لجانبه .

العين

عَزَّبَ (٦٤) (بفتح العين والزاي) للذكر والاثني وهو مصدر وصف به لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث .
عَجَزَتْ عن الشيء - (بفتح الجيم وقد تكسر) اذا لم تستطعه ، فان استطعته قلت : كسلت عنه .
عَارِيَّة - (بتشديد الياء) والتخفيف فيها لغة قليلة ، وقالوا أيضاً « عارة » مثل غارة .

عَجُوزٌ وَعَجُوزَة - لغتان بمعنى والأولى أفصح .
عَزَّفَ - لفظ أعمجي تقوله العامة لورق الدوم (٦٥) وهو عند العرب الخوص والواحدة خوصة ، والخوص أيضاً ورق النخل وما شاكله .
(٦٣) يبدو أن « صب » الكلمة أندلسية ما زال المغاربة يستعملونها زجراً للقط . وهي في الاسانية Zape لزجر الكلب والقط .
(٦٤) جاء في اللسان : رجل عزب لا أهل له . وامرأة عزبة وعزب لا زوج لها .
(٦٥) في اللسان : قال أبو منصور : الدوم شجر يشبه النخل الا أنه يشمر المقل ، وله ليف وخصوص مثل خوص النخل .

الفاء

- فِدِنْر وَفَرِنْد^(٦٦) - لغتان بمعنى ، وفي الصحاح إفرند (بالهمز)
وهي طرائق السيف .
- فقار الظهر - بفتح الفاء والواحدة فقارة وكذلك ذو الفقار سيف
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .
- شَطَان^(٦٧) - اسم أعمجي تقوله العامة بعض النياب الروملة .
- فَقَوْص^(٦٨) - بفتح الفاء .

الكاف

- قُنْد - بالذال المعجمة وعنه تضم وتنفتح ويقال له أيضا قُنْفُط
وقنَفَط^(٦٩) .
- قرَمِيد^(٧٠) لآجر مطبون فارسي معرَّب والواحد قِرمِيد . فاما
القرَمَد فما طلي به الحائط من جص أو جَيَار^(٧١) أو غيرهما .
- قط - والاثنى قطة ، ويقال له أيضا الهر والسِّنُور والقطوس^(٧٢)
والضيون .

(٦٦) الفرند والافرند لغتان أما الفدنر فهو على القلب ولم يرد في
كتب اللغة وأكبر الظن أنه من الكلام العامي ، فالعامة يقلبون كثيرا من
الكلم الفصيح .

(٦٧) الشيطان من العامية الاندلسية وهو من الكلمة الرومانية فستان
(٦٨) في اللسان ان الفقوص هو البطيخ . وما زالت الكلمة معروفة
في الشمالي الافريقي لتدل على اليقطين الافرنجي .

(٦٩) لعل القنفط (بضم الكاف والفاء) وفتحهما من العامية
الاندلسية . وفي اللهجات المغاربية الحديثة نرى « قُنْفُود » أو « قنفوط » .
(٧٠) في « المغرب » ص ٢٥٤ قال ابن دريد : القرميد قالوا : هو
الأجر بالرومية أو شيء يشبهه .

(٧١) جيار الصاروج وهو اذا خلط الرماد بالنورة . أنظر اللسان .
(٧٢) لعل القطوس من العامية الاندلسية والذي يحمل على هذا ان
الكلمة ما زالت معروفة في بلاد الشمالي الافريقي . وهي في اللاتينية
Cattus . والضيون السنور الذكر .

قُبَيْطٌ (٧٣) – و**قُبَيْطِي** و**قُبَيْطَاء** (بالمد والتحفيف) لضرب من الحلواء وهو الناطف •

قِنَبٌ (٧٤) – يقال بكسر القاف وضمها وهو قِنَبٌ وقِنَمٌ •
قِمَارِي – بكسر القاف وفتحها للعود المنسوب إلى مكان بالهند يقال له قِمَار وقِمَار •

قَيْرَدَان – بفتح الراء وضمها وكذلك في النسب إليه وأصله فارسي •
قُلَّةُ الْجَبَلِ وَقُنْتَهُ – أعلىه والقلة الجرة العظيمة •
قَطْنُ – بنون مخففة للذى تسميه العامة شاه بلوط • فأما القسطل
باللام فالغبار •

قِبَاقٌ (٧٥) – لفظ عامي يطلقونه على ما يصنع من الخشب على هيئة النعل • وإنما القباق عند العرب الرجل الكثير الكلام • والقباق أيضاً صوب أنياب الفحل •

قَارِبٌ (٧٦) – (بكسر الراء) لضرب من السفن •
قَرْنَانٌ (٧٧) – (بفتح القاف) الديوث لأنه يقرن بأهله غيره •
قُرْقَ (٧٨) – لفظ أعمجي والعرب تسميه النعل •

(٧٣) هو حلوى من السمسم والعسل يُعرف قبيطي في صقلية ، أما في المغرب **قُبَاطٌ** •

(٧٤) من المفيد أن نقول انه في اللاتينية *Canabis* (٧٥) في اللسان : القباق النعل المتخذة من خشب بلغة أهل اليمن • وكذلك للرجل الكثير الكلام وله معان أخرى في كتب اللغة •
(٧٦) من المفيد ان نشير الى انه في اليونانية واللاتينية *Carabis* (٧٧) جاء في « شفاء الغليل » ص ٢١٣ : قرنان بوزن سكران عامية مولدة • وفي اللهجة الاندلسية « قرآن » • وما زال العراقيون يستعملون في المعنى نفسه « أبو قرون » أي ذو القرؤن •

(٧٨) ما تزال الكلمة معروفة في اللهجات المغربية وموريطانيا ومالطة وهي رومانية الأصل • وجاء في زجل لابن قزمان (أنظر الشفاء ص ١٥٤)

بعثت قرقى للقراق يصلحوا
وقد تعذر قيراط من الشمن
تعليق G.S. Colin

قُمْقُم^(٧٩) - (بضم القافين) لا ناء من نحاس وهو في الرومية .
قدَس - (فتح القاف والدال) والجمع أقدس وقدوس لكتيران
الدولاب وهي العماتر^(٨٠) .

قَفْقَفَ من البرد وتفتفف وقرقف بمعنى ، والقففة والقرفة
الرعدة .

السين

سَفَرَي - منوع من الرمان [منسوب] الى سَفَرَ بن عبد الله وكان
من رجال عبد الرحمن الداخل الى الاندلس الأموي . وكان عبد الرحمن
قد وجه هدية الى اخته بالشام من الاندلس فوجئت له هي أيضا من طرائف
الشام وفواكهه ، فكان فيما وجهته رمان شامي فلم يصل الى الاندلس الا
وقد فسد ، فأعطى عبد الرحمن رجاله من تلك الهدية وقسم عليهم من ذلك
الرمان ، فأخذه سفر بن عبد الله وغرسه فنبت فأخذه الناس من عنده وزرعوه
ونسبوه اليه فقالوا سفري .

سَفِيَان^(٨١) - (مثلث السين) والضم أفعح ، والفتح أضعف .
سوار (بكسر السين وضمه) وأسوار - ثلاثة لغات بمعنى .
سداد - (فتح السين) القصد والصواب ، فاما سِداد الثغر والقارورة
وهو ما يسد به الشيء فالكسر .
وقولهم : « سداد من عوز ومن عيش » لما تُسد به الخلة تكسر

(٧٩) في اللهجات المغاربية : قمقوم .
(٨٠) والعماثر بهذا المعنى لم تعرف في اللغة الفصيحة ولا في لهجات
الأندلس ولعلها «العصامير» جمع عصمور وهو دلو الدولاب كما قال ابن
الاعرابي . وقال الليث : العصامير دلاء المنجتون . وهي عظامير جمع
عصمور بالضاد المعجمة (اللسان) .
(٨١) جاء في الاشتقاقي ص ١٦٦ : (سفيان) فُعلان بضم السين
وكسرها واشتقة من السافي وهو ما سفتنه الريح .

سيه وفتح لأنه أخذ بطرفين من معنیین : سداد الشع وسداد الرأی ،
ولكونه الى معنی سداد الشع أقرب كان الكسر أفصح ٠

سلة وسل (٨٢) - لوعاء كالجؤنة ٠

سر عان الناس (٨٣) - يقال بفتح السین والراء ، وسکون الراء والسين
مفتوحة ومضمة ٠

ساف (٨٤) - لفظ عامي يطلقونه على طائر تسمیه العرب الباشق
بكسر الشین المعجمة وفتحها ٠

سرذین (٨٥) - بكسر السین وبذال معجمة وليس بعربي ٠

سانیة (٨٦) - للبعير ونحوه من الدواب التي يربط بها الرشاء ليخرج
الغرب من البئر سانیة ٠ فأما الآلة فهي الدوّاب بضم الذال وفتحها ،
والعمود القائم في الوسط المنجون ، والکیزان يقال لها العمایر (٨٧) والأقداس
واحدها قدس والبئر آتی يستقى منها تسمی المستویة ٠

(٨٢) عبارة اللسان : لوعاء كالجؤنة المطبقة ٠ وقال ابن درید :
لا أحسب السلة عربية ٠ ولم ترد في كتب المعرب ٠ والجؤنة سلیلة
مستدیرة مغشاة أدما ٠

(٨٣) في « اللسان » سر عان الناس وسر عانهم (يفتحهما ثم بسکون
الراء) أوائلهم المستبقون الى الامر ٠ ولا وجه لضم السین الا أن يحمل
على لحن العامة ٠

(٨٤) الساف في الكلام الفصيح لصف الحجارة في الجدار ، يقال :
ساف من البناء وسافان وثلاثة آسف ٠

(٨٥) ويقال : سرذین بالذال المهملة ٠ وهذا يدل على تقدم الكلمة
في الاستعمال ٠

(٨٦) هي الناقة التي يستقى عليها أو البعير . وقيل : الغرب
وأداته ٠ (اللسان) ٠

(٨٧) لم يرد هذا المعنی في كلمة « عماره » في كتب اللغة . وأكبر
الظن أنها من مصطلحات الکیزانی في لغة أهل الاندلس . ولعلها « العصامیر »
انظر مادة « قدس » التي تقدمت في « القاف » ٠

سَبَّيْنَةٌ^(٨٨) - (فتح السين والباء) لضرب من الثياب ، ومنهم من يهمزها

سُرَّةُ الْبَطْنِ - ما تبقى بعد القطع فان لم تقطع فهي السر والسرار أيضا بالفتح

سُلُوقٍ - (فتح السين) بعض الكلاب منسوب الى سلوق موضع باليمن تسبب اليه الكلاب والدروع

سَحْنُونَ - (فتح السين) ويقال بضمها ، اسم لطائر حديد ، لقب به أبو سعيد عبدالسلام^(٨٩) لحدة ذهنه في المسائل

الشين

سُونِيز - (بضم الشين) وشينيز^(٩٠) لغة فيه

شَطْرُنْجٌ^(٩١) - ومن جوز اشتقاقه من المشاطرة قيده بالشين المعجمة . ومن جوز اشتقاقه التسيطر قيده بالشين المهملة . وحكى ابن جني : ان الصواب كسر الشين ليكون على بناء جِرَدَ حَلَ .

(٨٨) جاء في اللسان : السبنية ضرب من الثياب تتخذ من مشaque الكتان اغلظ ما يكون ، وقيل : منسوبة الى موضع بناحية المغرب يقال له سَبَّين ، ومنهم من يهمزها فيقول السَّبَّينِيَّة . قال ابن سيده : وبالجملة فاني لا أحسبها عربية . وما زالت عند المغاربة معروفة « سبنية » بكسر الشين وسكون الباء لفظاء الرأس .

(٨٩) هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون قاض ، فقيه انتهت اليه رياضة العلم بالغرب وقد توفي سنة ٢٤٠ هـ . انظر معالم الايمان ٤٩/٢ .

(٩٠) الشينيز من البذر بكسر الشين غير مهموز ، عن أبي حنيفة : هي الجبنة السوداء ، قال : وهو فارسي الاصل ، قال : والفرس يسمونه الشونيز بضم الشين ، وفي المطبوعة قد صحفت الى « شينير » . انظر اللسان .

(٩١) جاء في « المعرف » ص ٢٠٩ : الشطرنج : فارسي مغرب وبعضهم يكسر شينه . جاء في « اللسان » : وكسر الشين فيه أجود ليكون من باب « جردحل » . وقال في « القاموس » : والشين لغة فيه .

شحاذ^(٩٢) - للسائل يأخذ من الناس اليسير وبشحذهم كما يشحذ
المسن الحديدية ويأخذ منها شيئاً فشيئاً .

شاشية - لفظة أعمجية وهي عند العرب القلنسوة^(٩٣) .
شهر كذا - الشهور كلها بأسمائها دون إضافة إلى شهر ، إلا ملائمة
فانه يقال فيها شهر كذا وهي : شهر رمضان وشهرًا ربيع ، وقد استعمل
بغير إضافة والأول أشهر .

الهاء

هرّاقة - لفظة عامية يطلقونها على القارورة التي يبول فيها العليل
وانما يقال لها مِبولة بكسر الميم .

هات^(٩٤) - أصلها « عات » المأخوذ من « عاتي » « يؤتى » بمعنى
أعطى فقلبت الهمزة هاء كما قلبت في أرقت فقيل : هرقت ، وتصريفها
تصريف عات في الأفراد والثنية والجمع .

هيدورة^(٩٥) - لفظة أعمجية والعرب تسميتها الملاخ .

(٩٢) جاء في « شفاء الغليل » ص ١٦١ : شحات للسائل وسموا
شحاثة بالثلثة وصوابه شحاذ وشحاذة من شحذ السيف صقله .

(٩٣) في « شفاء الغليل » ص ١٦٥ : الشاش هو معروف يلف على
الرأس وبعد اللف يسمى عمامة وهو مولده منقول من اللغة الهندية .
وما زالت الشاشية معروفة في أقاليم المغرب العربي لضرب من القلنس
مصنوعة من الشاش .

(٩٤) لا أظن ان « هات » أصلها « آت » من « آتي » بمعنى أعطى
بل الوجه عند يان هذه لغة وتلك لغة . ومن المؤكد ان الذي يقول « هات »
لا يقول « آت » . والهمزة في أول الفعل تقابل الهاء في أول الفعل ومنه :
هرق ، وأرق ، وهلا وألا ومثله الزيادة بالهمزة والهاء نحو : هراق
وأراق .

(٩٥) لم أجدها في كتب اللغة ولعلها الكلمة مغربية قديمة ، والذي
يحمل على هذا أنها ما زالت معروفة في المغرب بمعنى جلد الغنم المسبوغ مع
ابقاء صوفه ليتتخذ منه سجادة .

الواو

وصم - (بفتح الصاد) لكل شيء وقيت به اللحم من الأرض من خشبة أو خوان أو غير ذلك ٠

واد - لكل بطن مطمئن من الأرض ، وربما استقر فيه ماء والجمع أودية على غير قياس وأوداء وأوداية ٠ قال أبو الفتح : ولم يأت في كلامهم فاعل يجمع على أفعلة غير حرفين خاصة : وادٍ وأودية ، وجائز وأجوزة للجذع يبني عليه البيت^(٩٦) ٠

الياء

وادي يليان - لوضع قريب من سبتة ٠ ويليان هو صاحب سبتة وطنجة الرومي الذي صالح موسى بن نصير ٠

يوسف مثلث السين بالواو وبهمزة عوضها ٠ ست لغات بمعنى والضم مع الواو أفصحها ٠

يونس - فيه ست لغات كذلك ٠

يشق^(٩٧) - لفظة عامية يطلقونها على الذي يعقد به اللبن والعرب تسميه إلا لفحة بكسر الهمزة والراء مخففة ومشددة ٠
يمنة ويسرة - بفتح أولهما وإسكان ثانيهما ٠

(٩٦) الجائز من البيت : الخشبة التي تحمل خشب البيت ، والجمع أجوزة وجوانز وجوايز عن السيرافي ، وال الأولى نادرة ، ونظيره واد وأودية ٠ (اللسان) ٠

وقد جد في لغة هذا العصر ناد وأندية ٠

(٩٧) لعلها من عامية أهل الاندلس ٠

مصادر التحقيق

- ١ - الاهاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ، جزءان منه طبعا في مصر . ١٣١٩هـ
- ٢ - ارشاد الاربيب الى معرفة الاديب (معجم الادباء) لياقوت ، طبعة مرجليلوث مصر ١٩٠٧ - ١٩٢٥ .
- ٣ - الاعلام لخيرالدين الزركلي ، الطبعة الثانية مصر ١٩٥٩ .
- ٤ - انباء الرواة في انباء النحاة للقسطي ، طبع مصر ١٩٥٠ - ١٩٥٥ .
- ٥ - بغية الوعاة للسيوطى طبعة بالاوسيت بدار المعرفة بيروت .
- ٦ - تاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدي ، طبع مصر ١٣٠٦-١٣٠٧ .
- ٧ - تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، طبع مصر ١٩٥٦ .
- ٨ - تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامة للجواليقي ، طبع المجمع العلمي العربي بدمشق .
- ٩ - التكملة لكتاب الصلة لابن البار ، طبع جزءان في مجريط ١٨٨٦ م والثالث في الجزائر ١٩١٩ م .
- ١٠ - الجمانة في ازالة الرطانة لبعض علماء القرن التاسع الهجري ، طبع المعهد الفرنسي للآثار في القاهرة ١٩٥٣ .
- ١١ - جمهرة اللغة لابن دريد ، طبع في حيدر آباد ١٣٤٤-١٣٥١هـ .
- ١٢ - الديارات للشافعى ، طبع في بغداد الطبعة الثانية ١٩٦٠ .
- ١٣ - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف ، طبع مصر ١٣٤٩هـ .
- ١٤ - شفاء الغليل للخفاجي ، طبع مصر ١٩٥٢ .
- ١٥ - غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين بن الجوزي ، طبع مصر ١٣٥١هـ .
- ١٦ - القاموس المحيط للفيروز آبادي ، طبع مصر ١٩١٣ .
- ١٧ - كتاب الالفاظ الفارسية المعربة ، لادي شير ، طبع بيروت ١٩٠٨ .
- ١٨ - لحن العامة والتطور اللغوي للدكتور رمضان عبدالتواب ، طبع مصر ١٩٦٧ م .
- ١٩ - لحن العوام للزبيدي طبع مصر ١٩٦٤ م .
- ٢٠ - لسان العرب لابن منظور طبع بيروت .

- ٢١ - مشارق الانوار على صحاح الآثار للقاضي عياض ، طبع فاس سنة ١٣٢٨ هـ .
- ٢٢ - المعتمد في الادوية المفردة للملك المظفر الاشرف يوسف بن عمر الغساني ملك اليمن ، طبع مصر ١٣٢٧ هـ .
- ٢٣ - المغرب للجواليقي ، طبع مصر ١٣٦١ هـ .
- ٢٤ - معيار اللغة لميرزا محمد علي بن محمد صادق الشيرازي ، طبع حجر طهران ١٣١١ هـ .
- ٢٥ - نزهة الالباء في طبقات الادباء لابن الانباري ، طبع بغداد سنة ١٩٥٩ .
- ٢٦ - هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي ، طبع استانبول ١٩٥٥ - ١٩٥١ .

فهرس بمواد الكتاب

الصفحة

١	١ - من الادب التونسي
٣	اللون التقليدي المحافظ
٣٢	الجديد في الادب التونسي (أبو القاسم الشابي)
٤٢	العربة التونسية
٦٠	٢ - الاقليمية والنقد الادبي
٧٦	٣ - قطوف من تونس
٨٦	٤ - علم اللغة بين علماء العربية وابن خلدون
٩٢	٥ - امارة للشعر وأمير للشعراء
١٠٠	٦ - عرض في التعليم التونسي بين القديم والجديد
	٧ - رسالة في السمسرة والسمسار وأحكامه
١١٩	لابي العباس الابياني التونسي
	٨ - من كتاب المسائل والاجوبة
١٤٠	لعبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى
١٩٠	٩ - في اللهجات المغربية والأندلسية
٢٠٩	١٠- ايراد اللآل من انشاد الضوال لابن خاتمة الاندلسي



جدول التصويبات

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
السمار	السمسار	١١٩	١
البطليومي	البطليوسى	١٤٠	١
الصوال	الضوال	٢٠٩	١





ثمن النسخة ٢٠٠ فلس

المؤسسة العامة للصياغة والطباعة
مطابع الجمهورية بغداد

صميم الغلاف : محمد سعيد الصياغ